بيت الفقراء

نشر الثقافة الروحية

الجزء الثاني والعشرون

ألواح ما بين قبر ومنبر

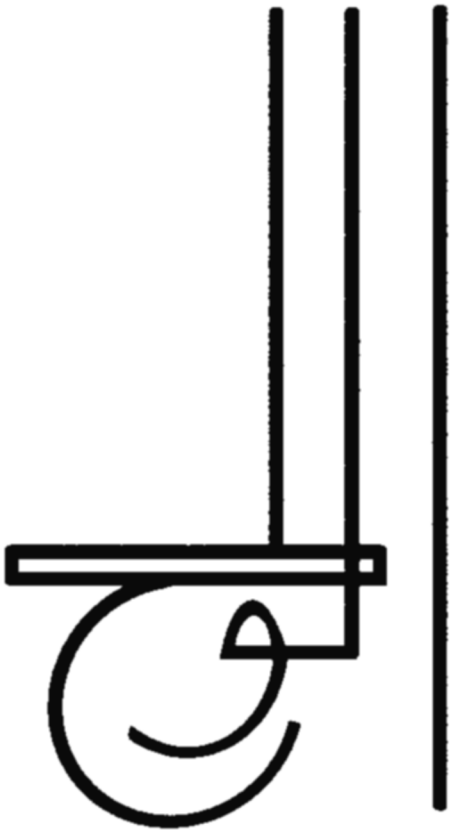

السيد الروح المرشد (سلفر برش)

الجمعية الإسلامية الروحية

القاهرة - الحلمية الجديدة

طريق علي مبارك الرقم ٢٨

رافع محمد رافع

ألواح ما بين قبر ومنبر - الجزء الثاني والعشرون

فهرس الأحاديث

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١	نطق صدقا، فكان نطقه التنزيل وأتى فعلا، فكان فعله التخطيط والترتيل وانتصب هديا، فكان حوضا للورود، ووجها للشهود	حديث الجمعة	١٣ يناير ١٩٦٧ م	١
٢	الإنسان الخالد في الحق الخالد وفي الروح الخالد وفي البشر الخالد كوثر صفاته وأحد أحديته لذاته كافة للناس رضيه لهم الله، ما ارتضاه لأنفسهم الناس	حديث الجمعة	٣ فبراير ١٩٦٧ م	١٣
٣	المُعلِّم مَن عَلِم وعلَّم أن الله لم يخرج منه شيء، ولا يشينه شيء فكان من الناس رسولا من الناس إلى الناس فقام من الله رسولا بالله من الله إلى الله فَعلَّم وقاد الأشياء أن ترتفع إلى مشيئتها بعد الزمان وفوق المكان بدائمه تحت الزمان والمكان إلى قائمه فوق الزمان والمكان	حديث الجمعة	١٠ فبراير ١٩٦٧ م	٢٣
٤	يوم الدين نفحة الدهر لساعة العمر للمؤمنين يقومونه بين عالم الذات وعالم الروح عاملين بكوثر محمد مبعوثين، عبادا رحامين وحقائق قوامين لاسم الله ولمعنى الله قائمين، ولوجه الله ظاهرين إنسانية الله رجالا راشدين	حديث الجمعة	١٧ فبراير ١٩٦٧ م	٣٣

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
٥	إنسان باسم الله الرحمن الرحيم لقائمها ومقيمها بأحده لآحاده بقيوم وقائم النور والظلام لحجابه	حديث الجمعة	٣ مارس ١٩٦٧ م	٤١
٦	قائم وقيوم ومقيم الإنسان بسم الله الرحمن الرحيم الحق المعروف، والحي الموصوف	حديث الجمعة	١٠ مارس ١٩٦٧ م	٥٥
٧	قيوم القدوة لقيام المقتدي هو إنسان القلب لإنسان القالب له، في إنسان الإرادة لهما هو الطريق إلى المقصود، وهو الحق للموجود تعرفه وتقدمه القلوب، وتشهده وتعرفه العقول	حديث الجمعة	١٧ مارس ١٩٦٧ م	٦٣
٨	لا جديد في الحق ولا جديد تحت الشمس دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة	حديث الجمعة	٢٤ مارس ١٩٦٧ م	٧٣
٩	أين هو محمد يا من تتوهمونه!؟ يوم تعرفونه له فبالنور تقومونه، وبالروح تتحررونه، وباسم الله تتربونه! سلاما لمن يسالمونه، وحربا لمن يحاربونه! حقا وأمرا وسطا تقومونه وتقيمونه! أمة وسطا به تتوحدونه فتشهدونه وتشهدونه!	حديث الجمعة	٣١ مارس ١٩٦٧ م	٨١
١٠	ظهر ولم يغِب وبدا ولم يحتجب تجدد مبعوثا بالحق، وبالحق لم ينفرد قام كوثر الحق لطالبيه، وكوثر الخلق لمستقيميه رحمة للعالمين، وكتابا للعالمين	حديث الجمعة	٧ أبريل ١٩٦٧ م	٩١

الحديث	العنوان	النوع	التاريخ	الصفحة
١١	الهجرة عبر المكان والزمان ومن الزمان والمكان، وإلى الزمان والمكان من مكان لمكان ومن زمان لزمان، وإلى لا زمان ولا مكان ومن حيث لا زمان ولا مكان إلى حيث الزمان والمكان	حديث الجمعة	١٤ أبريل ١٩٦٧ م	٩٩
١٢	الهجرة الدائمة للمهاجر الدائم في الوجود والحق القائم مولود الفطرة ومبعوث الصبغة ورسول الحضرة بفطرته فيمن لا نعلم يقوم، وبهم بصبغته فيمن نعلم يبعث ويدوم	حديث الجمعة	٢١ أبريل ١٩٦٧ م	١١١
١٣	مَن نكون؟! نَنشَغل ونُشغَل ونجعل لنا بمادي الحياة عن حقها شاغل، وحق الحياة لنا في موجودنا الظاهر والباطن والقيوم والقائم والمنفعل والفاعل	حديث الجمعة	٢٨ أبريل ١٩٦٧ م	١٢٧
١٤	علمت نفس بتجدد يومها فعلمت في يومها أمسها، وأدركت في يومها بأمسها غدها فتجمعت في يومها بغدها وأمسها يوما واحدا لله	حديث الجمعة	١٩ مايو ١٩٦٧ م	١٤١
١٥	ما كانت الروح إلا قائم وقيوم الله هكذا قدم الله نفسه لله، قديما لجديد في قائم بوجود برسول الله حقا في دائم رسالة الله بالحق	حديث الجمعة	٢٧ مايو ١٩٦٧ م	١٥٥
١٦	الحق المتواصل بموالد لا تنفصل في بيت الذكر، لقائم الأقدس لا يحتجب أمة الله ورسوله، بقائم دائم، بين سبق ولاحق واقعية الرسالة والرسول في واقع الحياة	حديث الجمعة	٢٣ يونيو ١٩٦٧ م	١٦٩

(١)

نطق صدقا، فكان نطقه التنزيل
وأتى فعلا، فكان فعله التخطيط والترتيل
وانتصب هديا، فكان حوضا للورود، ووجها للشهود

حديث الجمعة

٢ شوال ١٣٨٦ هـ - ١٣ يناير ١٩٦٧ م

جاء الحق، ونطق الصدق، وظهر الإرادة.

فكان النبـــــــوة..

والإمـــــــامة..

والســـــــيادة..

قاد الناس، إلى رب الناس، في أنفسهم، وأعاذ الناس، من الوسواس، خانسا بين صدورهم، بدأ لأعينهم أمامهم بنفسه لاقتدائه، فبدأ فقيرا مفتقرا فأجابه قديمه إلى افتقاره لحسه، فرُدَّ إليه كماله، حقا قديما، وذكرا قائما.

كان قديمه في إجابة مُحدِثه، لا غريبا عليه، ولا بعيدا منه، أحدية واحدية، قوسين أو أدنى، تشتيتا عن أحدية في قديم، لموجود واحدية في قائم، وموعود أمر لاجتماع لواحدية في أحدية، في قادم، كشفا للناموس الدائم من الفتق والرتق للخلق والحق في الشهادة والغيب القائم ليكون بما كان به، رسولا لمن داناه، عرفه مولاه من مولاه، قائم قيامهما، وحق وجودهما، عَلَم الحضرتين، مؤمنا ظهر بالمؤمن والمؤمن، اسما للمعلوم، وواجب الوجود للقائم المفهوم، كتاب نفسه، ومعرفة حسه، وبيان علمه، وسنة إرادته، باستقامة فعله وأمره.

من سلالة من طين، عرف قديم قديمه خلقا، فتقا ورتقا، إلى قيام، لنوع قيامه، بشرا، على مثالهم لمثاله آدما وعروة وثقى، ثم من سلالة، من ماء مهين، من نكاح صحيح، من ظهر آدم، من ظهور الأخيار،

وفي بطون الأحرار، إلى أن قام حقه بعبد الله، باطن ظهوره، إلى بطنه، لباطنه بآمنة، لأم كتابه، ودائم حجابه، لسكينة أمنه وسلامه، انشقت عنها ذاته، محتفظة من أبيها وهب بصفاته، وانشقت بذاتها عن ذاته وصفاته مفطومة من خديج، ليستقيم الهدي والحجيج.

فكان مظهره لمخبره من سلالة من ماء مهين من آدم إلى عبد الله ليكون الرسول الأمين، والقول المتين، وهو عند ذي العرش في المقام المكين.

نطق صدقا، فكان نطقه التنزيل. وأتى فعلا، فكان فعله التخطيط والترتيل، وقام جمعا، قلبا واسعا، طوى القلوب، لا تتسع له، ويتسع لها، وخفض جناح الذل رحمة، فواءم بين قلبه الواسع، والقلوب الصغيرة تأتلف فيه، وتتألف له، حمل نفسه على أن يلتئم معها، ويتحد بها، وهي لم تتهيأ بعد لصلاحية الالتئام به، والاتحاد معه، ولكنه بما أودع الله فيه من رحمته، مُكن ففعل، فكان قدوة أبيه إبراهيم، يوم كان هو له أبوه في سابق بقديم، فكان به إبراهيم أمة قانتا لله حنيفا تجددت به أمة، قانتا لله حنيفا، منه وإليه، بقانون (منك وإليك يا رسول الله)[1].. (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم)[2].

قدَّم الحسنة قبل السيئة، وتألف القلوب بما تهوى، والعقول بما ترضى والنفوس بما يصلحها مما تحب. (هل توافقوني على مقالة، لو قلتموها معي، لكان لكم ملك العرب والعجم والروم)[3].. وعَد، ونفّذ ما وعد، وقدم لمن أوعد هدية ما وعد، يتألف بها القلوب ويسترضي بها النفوس، ويشبع بها فاقة العقول، فقدّم لهم الدنيا، ليتألف قلوبهم للآخرة، وليرضي عقولهم بالفطرة، وليسكت نفوسهم بالنعمة، وما للدنيا علّمهم وأعدهم ولا على الآخرة قصرهم وفيها حبسهم، ولو كانت الدنيا تساوي عنده جناح بعوضة، ما قدمها لقاليه، وما تألف بها معانديه، ولكنه خاطب الناس على قدر عقولهم، بمنحهم الدنيا ولم يستعملها فتنة لهم، ولكن مزرعة لآخرتهم، ووعدهم للآخرة بالكثير مما هو خير وأبقى. وما كانت الدنيا قيامته، ولا عنها رسالته، ولكنها كانت مقدمة، لما جاء به من الحق لطالبيه، ومن الجمال لعاشقيه، ومن الخير لمفتقريه، ومن العلم لمتعطشيه.

فتح لهم أبواب الدنيا، ليفتح لهم بها أبواب الآخرة، بنشر دعوته، جعل الدنيا مزرعة للآخرة، وجعل الدنيا والآخرة، مزرعة للدين، وجعل الدين طريقا للعلم، وجعل العلم طريقا لليقين، وجعل اليقين طريقا للحق، وقدم الحق لطالبيه، وغفر الذنب لمتابعيه، وفرج الكرب عن مستعينيه.

دانى الناس، باسم العبد لربه، ليكونوا في متابعته عبادا لربه، وهو بينهم الرب، لمن يرعى، ليكونوا في اقتدائه أربابا لمن يرعون، {كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب، وبما كنتم تدرسون}[4]. ألم يقل لكم

من آمنتم به غيبا، ممن آمنتم به شهادة ورسولا له، وحقا منه، (عبدي أطعني أجعلك ربانيا، تقول للشيء كن فيكون)[٥].. (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[٦].. (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)[٧].

فماذا وعينا عنه، وماذا أخذنا منه؟ (فوالله ما الفقر أخشى عليكم)[٨].. (فأقلكم مالا أقلكم حسابا)[٩]. (بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه)[١٠].. (ولكن أخشى أن تفتح لكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسها الذين من قبلكم)[١١].. {قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل}[١٢].. (أن تنافسوها كما تنافسها الذين من قبلكم، فتأكلكم كما أكلتهم)[١٣]، لا تجعلوا من دنياكم آخرة، ولا تجعلوا من آخرتكم دنيا.

إنكم سترددون بين السماء والأرض، لمعنى الدنيا والآخرة، وسترددون على الأرض، بقيام وقيام، لمعنى الدنيا والآخرة، وستتواجدون في السماء المرة بعد المرة، لمعنى الدنيا والآخرة، إن الحق، إن الله، إن الأحد، إن الصمد، لا يعرف شيئا عن الدنيا، ولا عن الآخرة، فكلاهما دنيا، وكلاهما آخرة، إنها دار واحدة عرضها السماوات والأرض، أعدت للمتقين اختبارا لهم في أمر محبتهم.

إن الله لا يعرف إلا عمن كان له، متحررا من سجن الدنيا، متخلصا من فتنة الآخرة، أو متحررا من سجن الآخرة، متخلصا من فتنة الدنيا، فسواء كانت السماء أو كانت الأرض دارا للإنسان فهي سجن لطالب الحق، وما عرف الحق سجينا، وما خاطب الحق قعيدا، وما عرف الحق من كان في يديه أو في قدميه قيد من الطبيعة {كلاّ لا وزر}[١٤].

إن الحق من الله، معكم ما كنتم معه، هو قيامكم ما قمتم به، وأنتم في عزوف منكم عنكم أوزارا ودارا، حرصتم عليه، وما عزفتم عن معيته لكم بمن أوجدكم لنفسه أبوة لكم، معية الحق في أنفسكم، موجودا لوجود فيه، أوجده أعلى لنفسه، موجود وجود به، ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات، في الله ذي المعارج، لقائم ذواتكم منه به إليه.

إن الإسلام، خص المطلق والمنطلق، قياما فيه، أو قياما به بلفظ (الله)، وما خص من المطلق بمن انطلق بهذا اللفظ إلا إنسان الانطلاق فيه، فإنسان الانطلاق فيه، هو المسمى بالروح وبالحياة، لقائم الوجود به من المطلق، في قائمه يُقدَّر حاضرا به، فهو لا يغيب عنه، ولا يغيب به، وهذا ما قدمته الفطرة بدينها على ما أبان إنسان الله في كتابه، بقائم رسوله له، {أقرب إليه من حبل الوريد}[١٥].. {قاب قوسين أو أدنى}[١٦].. {قائم على كل نفس بما كسبت}[١٧].

كشف الغطاء، لمن افتقر إلى العطاء، وجعل الدية لقتلى عشقه، أنانية وجوده بحقه، يتوفى الأنفس بكمالها له، في موتها عنها، وفي منامها معه، لقائم ودائم وجهه لوحدانية بها.

يبعثها بالحق، يوم ينبعث منها، بأسمائه وصفاته، ويحقق لها ذلك يوم تتآلف القلوب على حبه، مع قلب أحبه، فكان للقلوب بيته وقبلته، وللأقدام طريقه ووجهته، وللأيدي فعله وإرادته، وللعيون وجهه وطلعته، قبلة لا إله إلا إله، وقائم محمد رسول الله.

حقق الرسول لقومه ما وعد، وأنذرهم ما أوعد، ففرحوا بتحقيق ما وعد، ونسوا أن يتقوا ما أوعد، وهو معهم، معية الحق لهم.. ولكن معية رحمته، معية شفاعته، معية وسيلته ولم يكن لهم معية غضبه ونقمته، كان لهم الصلاة الوسطى، ولم يكن القطيعة، كان لهم الأمر الوسط ولم يكن الفجيعة.

ولكنه وقد صبر معهم، متجاوزا، كل حدود الكرم، واستنفذوا كل حدود الصبر، ولكنه وإن كان حضرة رحمته، هل تضيق بهم رحمته؟ هل ضاق بالضالين، وبالمارقين، وبالنافرين؟ هل ينفذ صبره مع المتكبرين، مع المستهترين، مع الظالمين، مع الطاغين؟ لا بد لهم من قارعة رحمة بهم، (وا عجبي من أناس يجرون إلى الجنة بالسلاسل)[١٨]. إنها مكة تستعصي على صاحبها، إنها الأرض، إنها البقعة المظلمة في الكون، إنها المادية تنفر من الروحية.

(إن الله ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر، [ينتقم به ثم ينتقم منه])[١٩].{وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها}[٢٠].. {ولا يخاف عقباها}[٢١].. (أقربكم مني منازل يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون)[٢٢].. (أول من تنشق عنه الأرض أنا)[٢٣].. {الأرض يرثها عبادي الصالحون}[٢٤].

أمر أن يسكن مزرعة الجنة من الأرض، هو ومن زاوجه ورضيه لنفسه، وألا يقرب الشجرة، شجرة الجنس البشري عليها، إلا بيد رحمة الله، تمتد إلى ثمارها من المؤمنين، أولى بهم من أنفسهم لخلاصهم، وإيوائهم إلى الحق، أمر أن يصبر نفسه، مع طالبي وجهه لأنفسهم، وجها لربه، فصبر، وتولى، وذكّر.

عَلِم وعَلَّم أن الله في دائمه ناصره، وأن الساعة كما كانت لأوله فيما سلف، فستكون لآخره مع من تخلّف، فصفح الصفح الجميل، مدركا منه قربها، ومدركا به أمرها.

{إن الساعة آتية، أكاد أخفيها}[٢٥]، وعليك ما أخفيتها فأنت عِلمها وعَلمها، وبك أقمتها، فاصفح الصفح الجميل.

ولكن الرسول، والساعة منه قاب قوسين أو أدنى في قائم دهره لأبده، ما أراد أن يتخلى عن البشرية، وقد شرّفها، يوم شرّفها الله به، وقد أمره في أزل، {قل إنما أنا بشر مثلكم}[٢٦]، وجعله وحيا منه يوحى

لوحي إليه أوحى، جعل له نورا يمشي به في الناس، قائم الأعلى، لقائم عباده له، في قيام به إلى أزل، لقائم حقائقه برسوله أربابا إلى أبد، {فبشّر عباد}[٢٧]، {عباد مكرمون}[٢٨]، {ضُرب ابن مريم مثلا}[٢٩] لهم، (قوم أناجيلهم صدورهم)[٣٠].

أأرباب مع الله؟ بل عباد مكرمون يقولون ربنا الله، عليه في أنفسهم يجتمعون، عبادا للرحمن على الأرض هونا يمشون هاماتهم فوق السماوات، في حقيقة أمرهم لا مستكبرين، ولا مستعلين، فالعلياء عندهم أن يكونوا للناس مدانين، مقاربين، بهم موصولين، لهم مذكرين، بعضهم على بعض جامعين، لقلوبهم مؤلفين، إنهم الرحامين.

إن آدم في أطواره، وإن الإنسان في أحواله وأسفاره، وإن الحق بمثاله، إنما هو الإنسان بمآله، من قائمه بنكاله[٣١].

إن الإنسان أسفل سافلين، وإن الإنسان في أعلى عليين، وإن الإنسان فيما بينهما، إنما هو الإنسان، هو حقائق الحق، ومعارج الخلق، واجتماع الأشتات، وقيام الذات بالصفات، للا إله إلا الله.

فإذا كانت لا إله إلا الله لصفات الإنسان، فالله أكبر لذات الإنسان، يوم يتجمع الإنسان من شتاته، ويتلاقى بصفاته في ذاته باجتماع الإنسان على الإنسان، {وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم}[٣٢].. (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)[٣٣].. و(المؤمنون كأعضاء الجسد الواحد)[٣٤].. {في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله}[٣٥].

فهل فهمنا التوحيد؟ وهل خرجنا حقا من التعديد؟ وهل عرفنا واعتقدنا التفريد؟ إن التعديد والتوحيد والتفريد، إنما هي من أفعال الإنسان بالله وأموره فيه، يوم يتجمع الناس على ذكره، هم به لأنفسهم، متواصين بالحق فيهم، متواصين بالصبر على مرادهم فيه، صبرا منهم مع حقه بهم، إيمانا بالناموس، وطاعة لله، هو الحياة، وهو نواميس الحياة، وهو قوانين الوجود.

إن دورة الدم فيك، بكرات الدم البيضاء والحمراء، في مسالكها بهيكلك، من جنتها بالنخاع الشوكي إلى دور عملها بالجسد وإلى الحطمة في الكبد والمصحة فيه كما يوجهها المنظم بالقلب، إنما تقوم في ظل ناموس لا يخطئ لا سلطان لك معه، إنها مملكة الله وسلطانه، إن الطاقة العاقلة بك المدبرة المريدة بإراديّها ولا إراديّها تأتي إرادتها، وتوجه في أمرها، في ظل قانون لا يختل، وناموس لا يعتل. إن جسدك من المادة لا طاقة فيه، ولا إدراك له، ولكن الطاقة المحركة له، إنما هي روحك، والإرادة

المخططة لك، إنما هي عقلك. فما تكون ذاتك؟ إنها عالم وجودهما ولا حركة له إلا بهما، وعلى مثال من ذاتك ذات الكون من حولك.

إن طاقة العقل فيك، وطاقة النفس لك، هي ما اصطلحت عليه، من القول بالرب والعبد، لمعانيك في الله، وإن دارهما بماديك لهيكلك، هي ما اصطلحت على تسميته بالوجود.

فأنت بوجودك، فرع عن هذا الوجود من حولك في طريقه لاستكمال نموه إلى قائم أصله، يوم يبلغ سن الرشد، وأنت بطاقة نفسك، شرارة مقدسة، من نار الله الموقدة، بوركت بها، أنت يا من في النار تأقلمت، يوم أحييت نفسك، فاجتمع عليك غيرك، ليصطلوا نارك، ويقبلوا نيرك، يوم يكونون في جوارك، فيبارك من في النار ومن حولها، نار من نار، لمعنى القدرة والطاقة، والحياة، فيشعل الناس مصابيح صدورهم، من مجمرتك[٣٦]، ليضيئوا مشكاة صدورهم. إن النار تأكل من ليس منها، إن النار تأكل الحطب، فكن نارا، ولا تكن حطبا، {فقال لأهله أمكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى}[٣٧] {أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها، أم نحن المنشئون}[٣٨]، رجع منها بقبس، ووجد عندها هُدىً.

إن الإنسان، للإنسان هو النار والنور وهو النار والحطب، وهو حمالة الحطب، {تبت يدا أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب}[٣٩]، {لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة}[٤٠].. {وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا}[٤١]، سبحان الله، إنه أبو لهب، إنه آدم النار، إنه رجل العزة والكبرياء، إنه من عشيرة من جُعل رحمة للعالمين، إنه من الرسول خير الناس لأهله، إنه قطعة من الرسول، لحمته منه وإن نتنت، والعرق منه وإن مال، وإن الرسول، راحما منعما، مَلّكه النار لأمر نفسه مُشعلة من مولاه، يوم قلاه، وقال خذها يا أبا لهب، خذها ونحن الآسفون، أننا لا نستطيع أن نعطيك أكثر من ذلك، إنا تخلقًا بأخلاق الله، نعطي بغير علّة، فلا تظن أننا نعطيك من عندنا، إنما نعطيك من أمر ربنا، فلا تظن أننا نشينك أو نهينك، ولكن هذا نصيبك، والله هو المعطي وأنا القاسم، وكم كنت أطمع أن يكون قسمك خيرا من هذا.

وعدهم الدنيا، نارا يصطلونها، وما أراد هلاكهم، ولكنه أراد مودتَهم، أليس أبو لهب، من بين من عرض عليهم، من عشيرته الأقربين، الدنيا والدين، يوم يتابعونه، ووعدهم الله لأنفسهم وجوها له، يوم يصدقون؟

ليس هذا غريبا فلا تستغربوه.. تأملوا كتاب الله، وهو يقول لكم، رحمة بالذين آمنوا {ولولا أن يكون الناس أمة واحدة، لجعلنا لمن يكفر بالرحمن، لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون}[٤٢]،

والرسول متخلق بأخلاق ربه، وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا، وهؤلاء أقوام عجلت لهم خيراتهم في الحياة الدنيا، وما متاع الحياة الدنيا إلا قليل، وما الحياة الدنيا في الآخرة، إلا كتاب ودليل، وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع أهلها، وما الحياة الدنيا لأهل الدنيا، إلا متاع الغرور، إلا فتنة لمن زين لهم حب الشهوات من النساء والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة والأنعام والحرث.

إن الحياة الدنيا، في الحياة الآخرة، مملوكة ملك اليمين عند من قام بالحق لدنياه وأخراه في الآن الواحد، {وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون}[٤٣].

إن الرسول، إن عبد الله، إن رسول الله، ما كان للناس، وللوجود، وللكائنات، في أزل بحقيقته إنسان الله، إلا حقَ وجودها من الله، وما كان لها في أبد إلا بشرى كسبها من الله لإنسانية الله، في متابعة إنسانه، كلما بدأ بجولة ببداية بآدم في سفور وملاحقة لها به منه إليه.

ولكن أدعياء الانتساب إلى آدم الأنبياء والنبوة، يريدون أن يطفئوا نور الله به، وإن الله له، وإن الله به، وإن الله بمن كان له، ومن كان به لن يمكنهم من ذلك، إنه متم نوره للناس بهم في متابعته بمتابعيه ولو كره الكافرون.

إن الله، جاعل له دورة دائبة، لميراث الأرض ومن عليها، بالصالحين لحياة الطريق إلى الله به، قياما عليها بقيومه وتخليا عنها لقائمه، هديا واختبارا لمن هدى، لكشف وجزاء من اهتدى.

ويوم يرثها الصالحون ومن عليها، قياما بالدين، يظهرون رسلًا غير ذي عوج يُتَّبعون، أئمة صادقين، ومصابيح نور الله مشرقين، ورواسي الأرض للاجئين، وبيوت الذكر للطالبين، وأحواض الحياة للراوين، وكتب العلم للمتفقهين، واستقامة الطريق للسالكين، وأبواب الحضرة للطارقين، وقبلة اللقاء للآوين، ووجه الله للمصلين، للذين هم، عن صلاتهم غير ساهين، وفي حكمة الصلاة صلة، بين الأعلى والأدنى بالعروة الوثقى وفي دائم الصلاة الوسطى قائمين، وهم عنها في دائم لا يتخلون، حياة الطريق، وقبلة المصلين، في الناس وبين الناس مغمورين. صمام القلوب، عليهم يجتمع الأحياء وطالبو الحياة من المصلين ومن الواصلين.

قوم على الله، في معيتهم، لا ينكرون، وعلى رسول الله، كوثر قيامهم، لا يجحدون، وله في كوثرهم، يشهدون، وبه يؤمنون، وعليه لقلوبهم يحرصون، ولعقولهم، لمرتقى بعد مرتقى فيه يتواصون، أعلام لا إله إلا الله، ينتصبون، ونصب ذكر الله يقومون، وإلى قلوبهم لقلوب الناس، بيوتا لله، يشيرون، ساحات لله يدخلون، وكنوز قلوبهم لهم يفتحون، ذلك لمن لا يراؤون أنفسهم، ولا يراؤون الناس، ولا يراؤون الله بما يتحدثون.

هذا دين الإسلام، يوم تسلمون، وهذا دين الله، يوم تتقون، وهذا دين الحق، يوم أنكم بالحق تقومون، وهذا دين العلم، يوم أنكم بالله وبذكر الله وبالعلم عن الله إلى الناس تتحدثون، ومعهم بالحق تتواصون وعلى الحق تجتمعون، قيمة بينهم بهذا الدين تقومون، ونصبا للدين تعرفون.

فهلا جددتم إسلامكم أيها المسلمون، وهلا جددتم إيمانكم أيها المؤمنون، فأسلمتم بإسلام المسلمين، وآمنتم إيمان العارفين فعرفتم أنفسكم كتبا للقارئين، ولقراءتكم أجمعين، يقدمها لكم في عصركم الروح الأمين فسلكتم طريقكم مع أهل البصائر، وتخلصتم ممن يسجنونكم في نفوسهم وعقولهم في سجون الحظائر، من حظائر شهواتهم ونزواتهم لحظائر شهواتكم ونزواتكم.

(من دلك على الدنيا فقد غشك، ومن دلك على العمل فقد أتعبك ومن دلك على الله فقد نصحك)[٤٤].. (لا تُصاحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله)[٤٥].. (المؤمن مرآة المؤمن)[٤٦]، (المؤمن مرآة أخيه)[٤٧]، (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخالل)[٤٨]

اللهم، بمن جعلته حوضا للورود، ووجها للشهود، أوردنا وأشهدنا.

اللهم بمن جعلته نُصبا للحق، وعَلَما على الحق، وبيتا للحق، فبنُصبه طوّفنا، وإلى بيته ألحقنا.

اللهم بمن جعلته قبلة للعارفين، وكتابا للقارئين، وحياة للسالكين، ومعراجا للعالين، ومآلا للصادقين.. اللهم به فألحقنا، وله فتبّعنا.

اللهم بمن تواجدته كوثرا في كل وقت وحين، به تكاثرنا، وبه حققنا، وبه جددنا، وبه فابعثنا.

اللهم به فآمنا، في أوطاننا، وفيما كان منك لنا. اللهم به فادفع عنا، اللهم به فتولَنا، وبه ولِ بنا من به يتولانا، فيحيي فينا منك معنانا، ويجدد برحمتك منك مبنانا، نعرفه مولى لك ومولانا، فنقوم لا إله إلا الله، بمعناها لمعنانا، ونقدر الله حق قدره، بالأكبر لمرتقانا، عليا، لعلي، لا ينتهي علاه لعلانا، ولا تتوقف عن التواجد دناه لدنانا، حتى نكون به عبادا لك، يوم نكون عبادا له، لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢ من صيغة التشهد في الصلاة المنسكية.

٣ إشارة إلى عبارة جاءت في كتب السيرة النبوية المختلفة، بتعبيرات متعددة، عن اليوم الذي دعا الرسول صلى الله عليه وسلم قومه للإسلام ومما قاله لهم:" يا بني عبد المطلب إن الله بعثني إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة فقال عزوجل: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ. أنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله..."، تفسير الطبري، وشواهد التنزيل، وتفسير البغوي، وتفسير ابن كثير، والطبقات، وتاريخ دمشق، وتفسير الثعلبي.

٤ سورة آل عمران - ٧٩

٥ حديث قدسي يرد في بعض كتب المتصوفة والشيعة، جاء في الأثر بلفظ "يقول الله عبدي أنا الله الذي أقول للشيء كن فيكون، فأطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون".

٦ من الحديث الشريف: "ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته". أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي.

٧ حديث شريف. أخرجه الترمذي في صحيحه، والدارمي

٨ حديث شريف: "فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم." صحيح البخاري.

٩ حديث شريف ذات صلة: " اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموت، والموت خير للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب." رواه أحمد.

١٠ من حديث شريف: "ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه. (رواه الترمذي)

١١ حديث شريف: "فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم." صحيح البخاري.

١٢ سورة الروم - ٤٢

١٣ أُنظر الملحوظة قبل السابقة.

١٤ سورة القيامة - ١١

١٥ سورة ق - ١٦

١٦ سورة النجم - ٩

١٧ سورة الرعد - ٣٣

١٨ حديث شريف: "عَجِب اللَّه من قوم يدخلون الجنة في السلاسل." صحيح البخاري. كما جاء بلفظ "عجبتُ لأقوامٍ يُقادونَ إلى الجنةِ في السلاسلِ وهم كارهونَ." أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، وأبو نعيم في حلية الأولياء.

١٩ حديث شريف ذات صلة: "إن الله ليؤيد هذا الدِين بالرجل الفاجر." أخرجه البخاري ومسلم.. وعبارة "ينتقم به ثم ينتقم منه" للسيد رافع.

٢٠ سورة الاسراء - ٥٨

٢١ سورة الشمس - ١٥

٢٢ حديث شريف: "إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة". أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.

٢٣ من الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقَّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ." صحيح ابن ماجه.

٢٤ سورة الأنبياء - ١٠٥

٢٥ سورة طه - ١٥

٢٦ سورة فصلت - ٦

٢٧ سورة الزمر - ١٧

٢٨ سورة الأنبياء - ٢٦

٢٩ سورة الزخرف - ٥٧

٣٠ من حديث شريف: "صِفَتِي أحمدُ المتوكّلُ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، يجزي بالحسنةِ الحسنةَ، ولا يكافئُ بالسيئةِ، مولدُه بمكةَ، ومُهاجرُه طَيبةُ، وأُمَّتُه الحَمَّادون، يأتزِرون على أنصافِهم، ويوُضّؤون أطرافَهم، أناجيلُهم في صدورِهم، يَصفّون للصلاةِ كما يصفُّون للقتالِ، قربانُهم الذي يتقرَّبون به إليَّ دعاؤُهم، رُهبانٌ باللَّيلِ لُيوثٌ بالنَّهارِ". أخرجه الطبراني.

٣١ كلمة "نكال" في اللغة العربية تعني عقوبة أو عبرة أو جزاء يردع عن فعل ما. وتأتي بمعنى العقاب الشديد الذي يكون بمثابة تحذير لغيره من ارتكاب نفس الفعل

٣٢ سورة الأنفال - ٦٣.

٣٣ حديث شريف: "المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ". صحيح البخاري.

٣٤ حديث شريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى." صحيح مسلم.

٣٥ سورة النور - ٣٦ و٣٧

٣٦ المجمرة هي وعاء يُستخدم لوضع الجمر أو الفحم المشتعل فيه، سواء لأغراض الطهي، أو التدفئة، أو التبخير.

٣٧ سورة طه - ١٠

٣٨ سورة الواقعة - ٧١-٧٢

٣٩ سورة المسد - ١-٢

٤٠ سورة الحشر - ٢٠

٤١ سورة القصص - ٧٧

٤٢ سورة الزخرف - ٣٣

٤٣ سورة يس – ٤١و٤٢

٤٤ مقولة للشيخ ابن مشيش.

٤٥ من الحكم العطائية.

٤٦ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

٤٧ حديث شريف: "المؤمِنُ مرآةُ أخيهِ، المؤمنُ أخو المؤمنِ يَكُفَّ عليهِ ضَيْعَتَه ويحوطُه مِن ورائِهِ." أخرجه أبو داود والبخاري.

٤٨ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.

(٢)

الإنسان الخالد
في الحق الخالد وفي الروح الخالد وفي البشر الخالد
كوثر صفاته وأحد أحديته لذاته
كافة للناس رضيه لهم الله، ما ارتضاه لأنفسهم الناس

حديث الجمعة

٢٣ شوال ١٣٨٦ هـ - ٣ فبراير ١٩٦٧ م

{أفإن مات أو قُتل، انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه، فلن يضر الله شيئا}[١]، {من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها}[٢].

ما قامت دعوة الإسلام إلا إلى الله، وما جمعت عليه إلا في النفس {واذكر ربك في نفسك}[٣]، وقل إن {ربي الله}[٤]، واعلم أن الله معك، (أقرب إليك من حبل الوريد)[٥]، (أينما كنت)[٦]. بذلك رضي الله الإسلام دينا، وجعل به محمدا كافة للناس، آدما وابنا لآدم، ذاتا وروحا، خلد فيهم بخلودهم، وخلدوا به في خلوده.

{وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}[٧]، فبَشَّر الرسول وهدى، (الخير فيّ وفي أمتي، إلى يوم القيامة)[٨].. (حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم)[٩]، فأنا الخير لكم، وأنا الرحمة المهداة، ممن خلقكم، {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}[١٠]. وعمل متابعوه على بصيرته بعمله، فقالوا لمن اجتمع عليهم، اجتماعا عليه في نفسه، (ها أنت وربك)[١١].

{وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم}[١٢] {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}[١٣] هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[١٤].. {أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها}[١٥].. و{النور الذي أنزل معه}[١٦].. {نهدي به من نشاء}[١٧]، جعل الله له بنوره المكث فيهم، يتلو كتابه بينهم على مكث فيهم.

{وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}[١٨]، وهم يطلبون المغفرة من الله ورسوله. يجيئون الرسول، فيستغفر لهم الرسول، فيجدون الله توابا رحيما.

إن رسالة الفطرة مع محمد، علم رسله، وقيوم رسالته، وقائم رسالاته، قديمة بقدم الفطرة، قائمة بقيامها بسلطانها عليها باقية ببقائها لها. رسالة ماؤها جارٍ متجدد، بتجدد الخلق في عوالمهم، بأطوارهم. رسالة لا يأسن ماؤها، ولا يتوقف انتشارها، تفيض في مواسمها أنهارها، ثابتة على الأرض أوتادها وجبالها، ما بين قديم لها وجديد فيها، تتجدد بتجدد الناس، وتظلم وتشرق، بإظلام العقول وإشراق العقول، وتنتشر وتتوقف، مع صفاء النفوس ورقة القلوب. فإن صفت القلوب ورقت النفوس، بها فرجت الكروب، وغفرت الذنوب، وسترت العيوب، وتحقق لكل طالب المطلوب.

قام المسلم بها، نصبا لله، وعَلَمًا مشهرا بلا إله إلا الله، ولسانا ناطقا بالله أكبر، وبالله أكبر، وبالله أكبر، فماذا عرفنا من رسالة الإسلام؟ وبماذا عملنا من رسالة الإسلام؟ وهي رسالة الإنسان لنفسه، بهديه، وتوجيهه، لتحقيق حاجاته، واجتياز مفازاته، والتخلص من عقباته، بسير الرفيق في طريقه، في مصاحبة رفيقه، إلى الأعلى لمعبوده، والقائم لمشهوده، بالوجود لوجوده، {فأينما تولوا فثم وجه الله}[١٩].

فكيف يُقام الدليل على المشهود؟ وكيف يوصف بالغيب من هو موجود؟ {إن الإنسان لربه لكنود}[٢٠]، إن الذي يتحدد به أمر الإنسان عند الإنسان، إنما هو المثال الذي يرتضيه من جنسه، إنما الحال المشهود الذي يقبله لنفسه، إنما هو المثل الأعلى عنده، لإكباره في شهوده، ورؤيته في عالم وجوده.

فبالمحبة له، وبالمحبة منه، يعرفه في نفسه، ويقومه في حسه، ويشهده في مرآة وجوده، وفي قائم موجوده. هذا هو إنسان الله، هذا هو عبد الله، في دورته لسفوره ببدء متصل إلى انتهاء، إفساحا وتخليفا لجديد بدء، أمرا دائبا في الله، برسالة مئوية وألفية ويومية في يوم الله بأيام الله، دين الوحدانية، ورسالة التوحيد، التوحيد مع من؟ والوحدانية لمن؟ إنما يكون ذلك في إدراك الوحدانية، لقائم البشرية، بتعدد الآدمية، لآدم البداية، إلى آدم النهاية، في آدم ما بينهما، بهذه الآدمية، عروة وثقى لآدمية ما قبلها إلى لا بدء وآدمية ما بعدها إلى لا انقضاء، كمالا للإنسان إلى حقي أحديته، وبداية للإنسان لأبدي خلقيته.

إن هذه الآدمية، البشرية، بدأت من وحدانية، وتنتهي إلى وحدانية، وهي فيما بينهما، بقائمها بذاتها وصفاتها وحدانية، وحدانية للصفات المرضية لقائميها بالحكمة الأزلية، مع سرمدها في أحسن تقويم. ووحدانية بالصفات المجفوة مع رجيمها وموقوتها لمعدومها من المادية للتخلص من الخلقية، إلى الساري بها من الحقية.

إنها عالم الكسب للوحدانية الإنسانية بموالد الفطرة من الفرقة الوقتية، إلى الوحدة الأبدية، مظهرا للوحدة الأزلية، في قائم الوحدانية، بإنسان الأحدية، بين آحاد الإنسانية، للحضرة الربانية، من الحضرة الإلهية، للوجود اللانهائي المطلق.

هذه هي الرسالة الإسلامية، أو الرسالة الفطرية، تتجدد أمورها على رأس كل قرن، بمبعوث بالحق، من الأحدية الأزلية، لبناء يقوم بأحدية، أبدية، بالحق، قائمة مقيمة في قائم الخلقية، إنها الرحمة، إنها الرحمة الإلهية، بالحضرة المحمدية، ياقوتة أحدية ذاته الصمدية، وعين مظهر صفاته الأزلية، تتجدد في أبد، على ما برزت في أزل كل عشر من القرون لسفور الآدم للآدمية في دورة رسالية لقيامة حق ظاهرية، تعريفا عن قيوم القائم، بالأزلية والأبدية، القائم فوق الأزل والأبد للإنسانية.

منه برزت الحضرات الربانية، لموصوف العبودية، لقائم الحق بالعبدية، عين قائم الحق بالربية.. بالفطرة المحمدية، اتحدت فيه به له الربوبية مع العبودية، وعلت به معه له العبودية إلى مقام الربوبية، وتواضعت فيه الربوبية إلى فعل ووصف العبودية، ودنت الألوهية فكانت العبدية والربية، فأسفر الغيب للشهادة في الظاهرية. وجوه لوجوه قدسية، أشرقت بنور الغيب لوصف الألوهية.

فكانت النورانية هي القدسية للبشرية عند البشرية، فَعلَا القدس وتنزه لمصدر النورانية، عن النوال للإنسانية الرشيدة، وبمعرفته علت وسمت الإنسانية، عن موصوف الغيرية، لشرف العينية، بالعبودية وجوها، ظاهرة بالقدسية، قدسية النورانية. فكان الإنسان، وهو نور الله، بالحقية، كان نور السماوات والأرض، للحياة الأبدية، عَلَمًا على الحياة الأزلية، واسما لله بالحقية.

فهل مات محمد؟ هل فني محمد؟ هل هلك محمد؟ هل رجع إلى التراب محمد؟ هل غاب في السماء محمد؟ كيف يهلك إنسان الألوهية! كيف يغيب إنسان الربوبية! كيف يدفن في الأرض إنسان القدسية!

جاء وهو الحق، وكان معنا قبل أن يجيء، وما فارقنا بعد أن جاء، ولكن الناس هم الناس، لا يؤمن بالله أكثرهم إلا وهم مشركون. عز على منالهم التوحيد، لأنهم كزوا على أنفسهم بالتعديد، فما ألقوا السَلْمَ مؤمنين، وما قاموا في السلام مدركين، وما شهدوا الوحدانية عارفين، فأشهدوها منبئين، نبوة لا تغيب، نبوة لا تحتجب، نبوة لا تنقطع، (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[٢١].

قام بيننا حقا، وواصل بيننا حقا، فما عرفناه إلا خلقا لم يبعث بحق، فما رأينا الله في أمره، (خلفت الله عليكم)[٢٢]، وما رأينا الله في عترته، ولا رأينا الله في أنفسنا، ولا رأينا الله في الناس، ولا رأينا الله في الوجود، ثم نحن بعد ذلك أمة التوحيد.

أي توحيد هذا الذي أنتم له أمة!؟ نعم أنتم أمة التوحيد، أنتم أمة الوحدانية مع الشيطان! أنتم أمة الوحدانية مع أبي سفيان! أنتم أمة الوحدانية مع الطغيان والبهتان! أنتم أمة الوحدانية مع الكفران والنسيان! أين بينكم عمد الدين؟ أين بينكم أناجيل هذا الرسول الأمين؟ أين بينكم الرواسي الثقال؟ أين بينكم الأعلام للمثال؟ أين بينكم الغرف للاعتكاف؟ أين بينكم النُصب لأهل الكرامة والطواف؟

يجادلون في الله بغير علم، ويتبعون كل شيطان مريد! من هو عندكم المعلم، بتعاليمه تلتزمون؟ من هو عندكم الحق، للحق به في أنفسكم تذكرون وتطلبون؟ من هو عندكم الله، إن كنتم لله عابدين؟ من هو عندكم عَلَم الله، إن كنتم خلف الأعلام تسيرون؟ ما هي غايتكم في الله، إن كنتم إلى غاية في الله تهدفون، وإليها تقصدون؟

هل جاء محمد بدين من الخيال والأوهام، أم جاءكم بدين هو بيان لقائم الواقع، به يستقيم الواقع، ويختل في الانحراف عن طريقه واقعكم، في الواقع مستقيما عليه بطبيعته عند غيركم؟ إن انحرافكم، بعيدا عن هذا الدين، وما يقع بسبب هذا الانحراف، إنما هو جزاؤكم في المخالفة، ورد أفعالكم إليكم بالكفران.

إن في استقامتكم مع هذا الدين، وما تنتج الاستقامة به، والاستقامة عليه، من العزة فيه، والعزة في الله، والعزة بالله، والعزة لله، إنما هو جزاؤكم من الإحسان.

هذا دين لا يُغيِّب الحساب، ولا يغيّب العقاب، ولا يغيّب الثواب، ولا يُبْقَى لكم بمعزل عمن هو وراء الحجاب، إن ما وراء الحجاب، هو ما أمامكم دون حجاب، وأنتم في الحجاب، إن الظاهر مرآة الباطن، إن الظَاهر، هو مآلكم عنكم ظاهر، وإن الباطن، هو ما فيكم عنكم باطن.

ملكوت الله بين جوانحكم، إن تنصروا الله فيكم ينصركم ويثبت أقدامكم، كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت، وفرعها في السماء. ما ينفع الناس يمكث في الأرض.

أنتم بظاهركم عوالم الله. وأنتم فيكم بباطنكم ملكوت الله، فأنتم الظاهر والباطن، أنتم الخلق والخالق، أنتم العبد والرب، أنتم الوجود والموجِد، أنتم المعلوم والمجهول، أنتم الغيب والشهادة.

فهلا امتدت أيديكم إلى أوزاركم، فكشفت عن حجبكم لكم، فارتدت أبصاركم إلى بصائركم، فكشف عنكم غطاؤكم، فرأيتم من ليس كمثله شيء، فما كان غيركم.

من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، ومن كفر، فما كفر إلا بمعيته، ومن كشف له فما كشف إلا شهادته. {والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة، يحسبه الظمآن ماءً، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، ووجد الله عنده}[٢٣].. {وجاءت سكرة الموت بالحق، ذلك ما كنت منه تحيد}[٢٤].

إن الكفر والإيمان، مملوك الزمام بأيديكم، {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}[٢٥].. (كن كيف شئت، فإني كيفما تكون أكون)[٢٦].. {إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا}[٢٧]، ومن ذاك الذي هداه السبيل، شاكرا أو كفورا؟ إنما هو الله، وأي الله هذا؟ إنما هو أنتم، من اهتدى ومن ضل، فكلاهما فيه، وكلاهما لم يخرج عن إرادته، وكلاهما لم يخرج عن مشيئته، وكلاهما كانت إرادة الله في إرادته، ومشيئة الله في مشيئته، ولله الحجة البالغة، ولكن الإنسان كان أكثر شيء جدلا.

إن الله لا يُعرف، ولا يُعلم، ولا يُوصف، بلغة المغايرة معه، والتعديد له في وجوده، والإنكار على كرمه وجوده. إن الإنسان لربه لكنود، وكان الإنسان أكثر شيء جدلا، مع من؟ مع من له الحجة البالغة، مع ضميره الذي لا يكذبه ولا يخطئه. من شاء فليرجع إليه في نفسه روحا حيا خالدا، ومن شاء فليبقَ مع نفسه جسدا له خوار لا يلبث أن يفنى ويزول عن الوجود بعيدا عن معيته له من الروح والخلود.

بذلك كان رسول الله، بما جاء به حتمية المادية، مع قائم الحياة للروح في المادية، وحتمية روحية، مع قائم الحياة الروحية بعيدا عن المادة، وحتمية اتحاد الروحية بالمادية، لبعث وقيام الإنسانية، بإنسان الحقية، لإنسان الخلقية.

بذلك كان رسول الله حتمية علمية، وحتمية معنوية، وحتمية وجودية، وحتمية منطقية، وحتمية خلقية، كما هو حتمية حقية. بذلك وجب أن تدور الثقافة الإنسانية، والتوعية القومية، والجامعة الإنسانية، حول نصب الإنسانية بإنسان الإنسانية، وعَلم الحقية، عَلما خفاقا لا ينزل عن ساريته بالبشرية، حقا عملاقا، لا يهزم من مخاصميه، وحقا مشرقا لا يخفى على عيون القلوب من طالبيه، يتكشف لها بنور الله له بلطيفه يلحقها بها لتشهده به.

أخفى الله الولي في الخلق، عمن عاداه، وعمن طلبه وأحبه فما أخفاه، وأوجده بين الناس، ما قطعه وما أفناه، وما منعه عن رحمة الناس، برحمة الله من رحمة الله.

هل طلبه الناس ولم يجدوه؟ هل جاهد الناس أنفسهم في الله ولم يلاقوه؟ ولكن الناس لا يريدون أن يتقدموا خطوة من جانبهم، بما فيهم من الحق به يسألون وبه يعملون ويجاهدون، ولا يريدون أن يخاصموا ما فيهم، من الباطل له يشهدون، وعلى مقامه فيهم لا ينكرون، حتى بمجرد إدراك له، له يجافون، إنهم يتواكلون، ولا يتوكلون، إنهم يجهلون، فلا يوكلون.

كل الناس هلكى إلا العالمون، والعالِمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم.

فهلا أفقنا من سباتنا، هلا عملنا، هلا تزحزحنا من سباتنا، هل استيقظنا من منامنا؟ هلا جاهدنا لصلاح حالنا، هلا اهتدينا فهدينا ولو رجلا واحدا، هلا آمنا، فدعونا إلى الإيمان، أهلا لنا، صديقا لنا، صدّيقا لنا، فارقنا معنا.

إن الإسلام يبدأ من مسلم، كلمة طيبة، أصلها ثابت، وفرعها في السماء متصاعد، إن الإسلام جاء لأهل الأرض، شرف أهلها، وحقيقة أهلها، وسعادة أهلها، وجنة أهلها، ونار أهلها، حسابا وعقابا وإيابا، إن السماء بالإسلام سجدت للأرض إيمانا بالأعلى لها، تشهده فيمن ترعى دونها، يوم وجدت فيها المسلم فأيدته وبما منحها الله من قوة نصرته.

إن ملائكة السماء سجدت لحق الأرض، يوم بُعث عليها إنسان آدم، نفخ فيه الأعلى من روحه، غيبا على أهل السماء، كما هو غيب على أهل الأرض، هو في السماء إله، كما هو في الأرض إله، لا ينكر عندهما ولا يحاط به منهما.

لا يُعرف لأهل السماء إلا فيهم فكلهم الإله الواحد الأحد، يوم يتلاقون في محبته[٢٨]. ولا يُعرف لأهل الأرض إلا فيهم، فكلهم الحق الواحد الأحد يوم تتآلف قلوبهم على إرادته. ولا يجتمع أهل الأرض بأهل السماء إلا فيه، ولا يداني أهل السماء أهل الأرض إلا به، ولا يكبر أهل الأرض أهل السماء إلا لوجهه، ولا يتعارف أهل السماء وأهل الأرض، أحدهما للآخر، بوصف الرفيق، إلا بالفناء عنهم إلى القيام به.

في إدراكٍ لهذا، يمكننا أن ندرك قوله تعالى {وخلقناكم أزواجا}[٢٩]، وقوله تعالى، {هن لباس لكم وأنتم لباس لهن}[٣٠]، فما كنا إلا حقائق الطبيعة، وما كنا معهن إلا حقائق الإنسان، قضايا الإنسان في لباس الطبيعة، والطبيعة بحقائقها في لباس الإنسان. {خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها}[٣١] سواء كانت النفس العذرية ذات الأولية رجلا أو امرأة.

الإنسان فوق الطبيعة، والإنسان لذات الطبيعة، والإنسان تحت الطبيعة، إنما هو في قائم اجتماعه في إنسان الله، بهذا وإدراكه هو القيام بشتات فيه على اجتماع به يكمل له معنى الإنسان الرشيد، الإنسان المدرك، الرجل في الله، {إن يدعون من دونه إلا إناثا}[٣٢].

الإنسان ذو الإرادة، الإنسان ذو الرأي السديد النفوس له فيه تسكن إليه، حالها حال امرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبي، والنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأخلاؤه من الرحماء أمهاتهم لأمومة الطبيعة وقائم روح القدس (أعطيت جوامع الكلم)[٣٣]، رؤوسا للقرون يبعثون بالحق، لقائمه رجل الله لمعرفتهم

حتى تنشق الأرض عنه مرة أخرى للدورة الخالدة لآدم، فالطريق قبل محمد كان يرعاها ويعمل فيها آدم واحد، وبعد محمد أصبح فيها آدمان وينتظر أن يعززهما ثالث في قادم.

الإنسان المتوحد في فردوس ذاته، في فردوس نفسه، في فردوس وجوده، في فردوس موجوده، {كانت لهم جنات الفردوس نزلا}[٣٤]، {لا يبغون عنها حولا}[٣٥]، ملكوت الله بين جوانحكم، هو أحد من آحاد الله في واسعه ومطلقه.

هذا ما جاءكم به دين الإسلام ورسول الإسلام، هذا ما جاءكم به دين الفطرة ورسول الفطرة، هذا ما جاءكم به رجل الله وحق الله، من ذكرناه محمدا وما عرفناه، من ذكرناه حقا وما جددناه، من ذكرناه عبدا وما تواجدناه، من ذكرناه رسولا وما سمعناه، من ذكرناه إماما وما تابعناه، من ذكرناه حيا وما حييناه.

لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اللهم بمن جعلته رحمة مهداة، لا تقطعنا عن رحمتك، ولا تمنع عنا هديتك، اللهم به لا تعاملنا بما نحن له أهل، وعاملنا بما أنت له أهل وبما هو له أهل.

اللهم به فادفع عنا البلاء، ولا تمنع عنا العطاء، والطف بنا فيما قضيت من جزاء، وولِ اللهم أمورنا خيارنا، رحمة منك، وشفاعة له، ولا تولِ أمورنا شرارنا، قضاء بنا، وردا لأعمالنا.

اللهم أصلح فيك أحوالنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، وخذ بنواصينا إلى الخير، يقظين وغافلين، وألف به اللهم بين قلوبنا، وأنر به عقولنا، وأحيِ به أعمالنا، وقوم به جوارحنا، وحرر به أرواحنا، واجعلنا له، واجعله لنا، واجعلنا منه، واجعله منا، ويسر به فيك أمرنا، وخذ بنواصينا إلى الخير، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها في مرضاته، وخير أيامنا يوم لقائك به لنا بذاته وصفاته.

لا إله غيرك ولا معبود سواك

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة آل عمران - ١٤٤
٢ سورة الإسراء - ١٥
٣ سورة الأعراف - ٢٠٥
٤ سورة غافر - ٢٨
٥ استلهاما من {ونحن أقرب إليه من حبل الوريد} سورة ق - ١٦
٦ استلهاما من {وهو معكم أينما كنتم} سورة الحديد - ٤

٧ سورة الأنبياء - ٣٤

٨ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٩ من حديث شريف: "حياتي خيرٌ لكم تُحدِّثونَ ويُحدَّثُ لكم ووفاتي خيرٌ لكم، تُعرَضُ عليَّ أعمالُكم فما رأَيْتُ من خيرٍ حمِدْتُ اللهَ عليه، وما رأَيْتُ من شرٍّ استغفَرْتُ اللهَ لكم". أخرجه النسائي والطبراني

١٠ سورة الكهف - ٢٩

١١ من مقولة لابن عطاء الله السكندري: "شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك، حتى تَجَلَّتْ فيها أنوار ربك، أنهضك إلى الله فنهضت إليه، وسار بك حتى وصلت إليه، وما زال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه، فزجَّ بك في نور الحضرة وقال: ها أنت وربك."

١٢ سورة الأنفال - ٣٣

١٣ سورة الرعد - ١١

١٤ سورة الشعراء – ٢١٨-٢١٩

١٥ سورة الأنعام - ١٢٢.

١٦ سورة الأعراف - ١٥٧

١٧ سورة الشورى - ٥٦

١٨ سورة الأنفال - ٣٣

١٩ سورة البقرة - ١١٥

٢٠ سورة العاديات - ٦

٢١ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

٢٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢٣ سورة النور - ٣٩

٢٤ سورة ق ١٩

٢٥ سورة الكهف - ٢٩

٢٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢٧ سورة الإنسان - ٣

٢٨ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٢٩ سورة النبأ - ٨

٣٠ سورة البقرة - ١٨٧

٣١ سورة النساء - ١

٣٢ سورة النساء - ١١٧

٣٣ من حديث شريف: "فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.

٣٤ سورة الكهف - ١٠٧

٣٥ سورة الكهف - ١٠٨

(٣)

المُعلِّم

مَن عَلِم وعَلَّم أن الله لم يخرج منه شيء، ولا يشينه شيء[1]

فكان من الناس رسولا من الناس إلى الناس

فقام من الله رسولا بالله من الله إلى الله

فَعلَّم وقاد الأشياء أن ترتفع إلى مشيئتها بعد الزمان وفوق المكان

بدائمه تحت الزمان والمكان إلى قائمه فوق الزمان والمكان

حديث الجمعة

١ ذو القعدة ١٣٨٦ هـ - ١٠ فبراير ١٩٦٧ م

نعوذ باسم الله لرحمته من الشيطان الرجيم لفتنته.

ونطمع أن نكون بسم الله الرحمن الرحيم، فعَّالين وقوَّالين وبقيومها قائمين.

نطمع أن نردد كلام الله، نبعا منا، لسان حقه، وأقلام قدرته، وألواح كتبه، وكتب وجوده، ووجود شاهده ومشهوده، في لانهائي موجوده، لمعنى مطلق وجوده، فنشهد أن لا إله إلا الله، بقائمنا له، محمدا رسول الله وعبد الله وحق الله.

إن الله بموجوده، قبل الإنسان.. وإن الله بوجوده معية الإنسان.. وإن الله بدائمه بعد الإنسان.. وهو في ذلك إنما هو الله، على ما هو الله، لا مُحدَث فيه، ولا جديد ولا قديم له.. إن الله، قبل رسوله.. وإن الله، معية رسوله.. وإن الله، بعد رسوله.. هو الله، على ما هو الله، صمد في ذاته، صمد في صفاته.

إن الإيمان بالله، على ما يليق بالمؤمن به، إنما هو الإيمان بالله، للإنسان، حيث هو الإنسان، وكيفما كان الإنسان، وأينما كان الإنسان، ومتى كان الإنسان.

الإيمان بالله، يجب أن يكون عند المؤمن به، معية قيامه، بكينونته وزمانه. نعم هو أقدم منه، ونعم هو أبقى منه، ونعم هو أكبر منه، وهو بإحاطته يجب أن يدركه قيوما عليه مهما تعالى به فيه، فالإنسان بفنائه عنه يبعثه به، لا غيرا له ولا كُلًّا له، بقائم وجه له لوجه له وهذا معنى البقاء لله بعد الإنسان.

الإنسان بفرده لا بنوعه محدث فيه، له بدء فيه، وله قيام فيه، وله كينونة فيه، وله زمان فيه، وهذا معنى الوجود لله قبل الإنسان، ينتهي الإنسان فيه، بكينونته، معزولا عنه، وبزمانه موقوتا فيه، وبإمكانياته، معدومة معه، ينتهي ليبقى الله لا شريك له، ويفنى ليتواجد الله بظهور وجه له لوجوه فيه، ويغيب عن تقييده ليظهره الله في بعثه بجديده.

وهكذا قبل أن يكون الإنسان إنسانا كان الله معه رحمانا فكان في أحسن تقويم، ثم غاب عنه ليظهره هو، واختفى عنه، لزمانه ومكانه، ليتواجده هو، مقيدا لموصوف عبده ولموصوف خلقه، ولموصوف شأنه لوجوده بحاضر موجوده، موصوف أمره أسفل سافلين.

حتى إذا آمن بنفسه وجودا، وبغيبه موجِدا، وبموجوده عبدا، لموجِده ربا، صَلُح لموجِده، الذي لنفسه أوجده، ولموجوده عليه عبّده.

فعَرفه أقرب إليه من حبل الوريد، قائما على نفسه، معيته، أينما وُجِد، وكيفما تواجد، فبذلك صَلُح لموجِده قياما ودواما، فطلب إليه بهديه ورسالاته، أن يوحِد[٢] وجوده، لموجوده في موجده، فتوحد مع الأعلى للحق الذي عَرَفَ.

وقَتل نفسه بالاعتزال عنها، فحيا ربَّه الذي به شرف، فاختفى عنه بموجود عبدِه لمعنى قالبه[٣] وخلقه إلى موجود ربه لمعنى قلبه وحقه فشُهِده الرَّب القديم في قائم عبده، لمبعوث حقه لأناه ومعناه عند محدثه لموصوف خلقه، وعرفه وقدّره لا شريك له منه، ولا شريك له من عبده، ولا شريك لعبده من أمره في موصوف خلقه، وعرف الحق لا شريك له مما أوجد أو مما فيه تواجد، في الله ذي المعارج، وقدر الله أكبر.

فبذلك عُرِفت عن الله عند عارفه وحدانيته، وقامت عند عبده، أحديتُه، فظهرَ الحق، وغاب الخلق فرأى الحق في الناس على ما هو فيه.

فقال العارف بالله، بمعرفته لنفسه، معروفَة لربِه في مشهوده له بخلقه، في الحق لمطلقه، في موجود انطلاقه قال للناس مُعلِما ومُعلِّما وهاديا..

(إذا تغيبت بدا ...وإن بدا غيبني)[٤]

وحَمل إليهم البشرى بقائمه بينهم، حالي حالكم، ومَا لِي هو مَا لكم، وما أنتم هو ما كنته، وما أنا هو ما تكونونه، وسعادتي أن أكونكم، وأن أتخلى عني لكم، تواصوا معي بالحق، وتواصوا معي بالصبر، فما أنا إلا قُدوة لكم، وهدية ربكم، عَبِّدوا أنفسكم، لواجب الوجود لوجودكم، تعرفونه بعقولكم، وتحسونه بنفوسكم، وتقومونه بقلوبكم، وتوحدونه بمعانيكم، وتجددون وجوده من حولكم لوجودكم، بجديد وجود له فيكم، أنتم به من حوله إحاطته وحقه {أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم}[٥]، فما كان المُخَاطَب لمعنى السموات والأرض إلا نفس الإنسان من حقيقته له، فوق السموات والأرض لوجوده {ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين}[٦].

بذلك، جاء دين الفطرة.. بذلك تواجد بيننا ليكون قدوة لنا من قديم وجوده، إنسان الفطرة.. بذلك، ظهرت لنا، وتعنونت، عندنا صبغة الفطرة، بآدم الفطرة، آدم أوادم الخليقة وثمرة أوادم الحقيقة...

من أسميناه بيننا محمدا، ومن تسمى إلينا، من الفطرة حقا، ومن تواجد بالحق لنا فينا رسولا وقدسا متكاثرا، بأقداس متلاحقا، حجرات بيت، وبيوت مدينة، ومدن عوالم، وعوالم وجود، من وصلناه يوم سعدناه، إيمانا به وبمولاه بمن وصله، بيننا، لله ذكرا، ومن تواجد به بيننا محدثا له عترة، وانتشر بنور الله كوثرا، وبعث به حقا، فعنون بكوثره، أكثر وأكثر، لقبله وقبل قبله، فبقي بكوثره، لبعده وبعد بعده، ذكرا محدثا لذكر قديم، جعل له الخلد، فبعث به الأزل في الأبد للحق القائم في سرمد...

إنسانا، عنون إنسانية رشيدة، قديمة قائمة جديدة، عَالِمة، عارفة، حقية سديدة، أُمة وسطا بين أزل الإنسان، وأبد الإنسان في قائم الله بالإنسان لقائم الإنسان بالله، هي للحق أسماؤه وحقائقه، وهي في ذي المعارج، معارجه ومراقيه لرافع الرتب بهباته ومغانيه.

تعنونت الآزال، لقائم الإنسان بقيومه، عند قائم الإنسان به لأبديته لقادمه. به كانت البشرية، إنسانية ما بين يدي رحمته، بإنسان رحمته، في إنسان حقه، وعَلَم حقيقته بكوثره لقائم أحواض فيض الحياة لخليقته.

فالإنسانية.. قبل سفور العروة الوثقى، لها شأن، والإنسانية فيه، لها شأن، والإنسانية من بعده، لها شأن. فنحن في إنسانيتنا لقائمها، إنما نحن إنسانية محمد، إنما نحن الإنسانية في محمد، لم ينتهِ بَعد محمد، ولم يُعرف بعد محمد، ولم يظهر بعد لنا محمد، ولم يَقُمنا بعد محمد، ولم نَقم بعد بمحمد. إننا قي قائم إنسان محمد، بين يدي رحمة الإطلاق، بمن قبله من إنسانية مثاله لوجوده، وبمن بعده من إنسانية تواجده بنا، لمثاله لقديم اقتدائه وشهوده.

إن الإنسانية المحمدية، التي تقومونها، والتي هي بشراكم لبشريتكم، يوم تشرفونها، فيقوم ويتقلب فيكم قائم الحق بكم، وقائم الحق عليكم، وقائم الحق منكم، بالحق به نورا لله منتشرا بالحياة نورا على نور، هي إنسانية الأمر الوسط للأمة الوسط، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله. لا تغيبه ولا تسوفه ولا تجحده ولا تعدده.

لقد جاءتكم قبل محمد، رسالات، برسلٍ، وكتب، وآيات، وهدي وتعاليم، كما جاءتكم بعد محمد، رسالات، ورسل، وكتب، وهدي، وتعاليم، وما زالت تجيء وتتعاقب، وتتلون وتتباعد وتتقارب، موضوعا وزمانا ومكانا، وما كانت رسالات ما قبله، إلا بدايات لرسالات ما بعده، تجددت من خلاله بعد بروزه، كمالا لها وقياما فيه، بعد قيام به، حتى يبقى لها وجودا دائما بما جاءت به رسالته في دائم أمته، مزوية لها الأرض انزواءها له.

فما كانت رسالات ما بعده بعثا لما قبله، إلا بيانا لما أُرسل به جامعا له في كتابه، كان رسلها ظلالا له، مجتمعة في إهابه اجتماع رسالتهم في أم كتابه.

بذلك كان ما قبله وما بعده، مما عرفتم، ومما شهدتم، ومما ذكرتم، ومما قمتم، ومما حَرَّفتم، ومما عليه التويتم، ومما له كَذبتم، ما كان إلا في دائرة رسالته لدائرة الحق بموجوده، لحضرة عالمكم.

إن ما قبله الحق الأحد، وإن ما بعده الحق الأحد، وإن ما قائمه إنما هو الحق الواحد لعينه، عليكم بأحديته، قام فيكم، وقام بينكم، مشتتا من اجتماع جماع حقائق الله بإنسانيته لإنسانه، إنه تشتيت ما قبله من الحق، إلى واحديته، من قديم أحديته.

وإن ما بعده، إنما هو جمع شتاته، لعين أحدية الحق لما بعده، على ما كان، وعلى ما كان من كان له قبله، وإنكم في قائمه مشتتا في شتاتكم، هداكم لأن تجمعوا أبعاضكم، تتحد، لتتوحد، لترتبطوا بأحده لما قبله، وتصيروا إلى أحده لما بعده، ظلالَ أحديته على ما هو لقائمه، قيوم أحديتكم على ما أنتم، لقائم واحديتكم، المؤمنون كأعضاء الجسد الواحد، إذا شكت مؤمنا شوكة وجدت ألمها عندي.

إذا اجتمع قديمكم، على قائمكم، فتواجد له فيه قادمكم، فقمتم، بقائم واحديتكم، قائم أحدكم، في حاضركم، متحدا مع قادمكم وقديمكم، كنتم أحدًا لله، ولذلك خلقكم، خلقكم لنفسه.

خلقكم بظاهر عبده لعملكم، ولقيوم ربه لقائمه بكم، ولقائم موجوده لقدسه في اتحادكم وتآلف قلوبكم. فأنتم بباطنكم، حق، وأنتم بغيبكم لظاهركم، حق، وأنتم بظاهركم، لباطنكم وغيبكم، حق.

أنتم بظاهركم، لباطنكم عبد.. وأنتم بباطنكم، قيوم ظاهركم رب.. وأنتم بغيبكم، لموجودكم، بظاهركم وباطنكم آله وإله وقدس وحق.. أنتم مظهر لجماع حقائق في عالم اجتماع لها بكم، أدناها ثلاث، بقائم حقكم وأعلى، لسابق حقكم، وأسبق لقادم حقكم وأبعد، في أحديتها بظاهر حقكم وغيبه لموجودكم وأكبر.

بذلك جاءكم دين الفطرة، وإلى ذلك هداكم دين الفطرة، وعلى ذلك أعانكم ويسر لكم، دين الفطرة، فكان آدم محمد بينكم محمد الله، وآدم الله، وحقا من حقائق الله، فكان لرسالة الله رسول الله، والمرسل والمرسل إليه فكان سريانه نورا لله في المؤمنين بالله ورسوله، هو طريقهم ليبعثوا به، أُمة له وإنسانية رشيدة لله. فأنتم بمحمد، وأنتم بدين الفطرة عنونه لكم، وأنتم بكتاب الفطرة قائمة به بينكم، أُمة محمد خلت من قبلها أُمم، أُمة الشهداء على أمم الناس مما يخلق ويَبعث الله، أُمة وسطا الرسول لها وعليها الشهيد على شهدائها، والإمام لأئمتها، والنبي لأنبيائها، والحكيم لحكمائها.

بما أودع الله بمحمد، كان نطقه التنزيل، وفعله التجميع والترتيل، ونصره الرحمة، منصور لا يهزم، ناصر لا ينهزم، حق لا يحتجب، نور لا ينطفئ، سراج مشتعل لا يشعل ولا يطفأ، رسول الله بين الحق والخلق بكوثره عبدا وربا، حقا قائما في مطلق الله.

سراج الله.. نور الله.. شمس الله.. نجم الله.. إنسان الله.. روح الله.. اسم الله.. وجه الله.. حق الله.. تراه القلوب، يوم تحيا به القلوب، تراه لها فيها قلبا.. وتراه النفوس، يوم تحيا به النفوس، فتراه لها هي فيه وهو فيها لها نفسا.. تشرق به العقول، تراه العقول، يوم تتحرر من ظلام المنقول، إلى انطلاق الوعي، أحاط بالمعقول وأدرك ما وراء المنقول، ونقل عن الرفاق الأعلى من العقول.

يراه العقل، نور وجوده، ووصف موجوده، مشهودا له، في مرآة تواجده، بما أوجد لوجوده، بيد قدرته، ومن كنوز جوده، يعرفه يوم يعرف أن الله قائم على كل نفس بما كسبت.

كيف يعرف الله، من لم يعرف نفسه؟ كيف يعرف الله، من لم يصنع بالله نفسه؟ كيف يعرف الله، لوصف الخالق من لم يتخلق بأخلاق الخالق، من لم يكن خالقا، خلق نفسه، وجدد نفسه، وطور نفسه، وأحيا نفسه، وعدد نفسه بشرية وإنسانية، واحتفظ بنفسه، لمن صاره ربا لها وحفيظا عليها لحضرته؟

{ليس للإنسان إلا ما سعى}[٧]، ما يعمل من مثقال ذرة خيرا يره، وما يعمل من مثقال ذرة شرا يره، وعمله هو نفسه ووجوده، لأمانة قيامه بالحق فيه وبالحق عليه. {ووجدوا ما عملوا حاضرا}[٨]، (عبدي أطعني أجعلك ربانيا)[٩]، أجعلك ربا (تقول للشيء كن فيكون).. تقول لشيئك أنت (كن) فيكون، تقول لوجودك، تقول لصنعك، فلا تخدعك ربوبيتك إلى الاستعلاء على موصوف بها في أعلى عليك في معارج الحقائق.

{إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب، ثم قال له كن، فيكون}[١٠]، على ما قال لآدم ولكل آدم (كن) فكان، وما علّم من يكون، إلا بمن كان، وما قال لما يكون (كن) إلا بمن كان. إن الذي حمل إرادة (كن) لمن أراد، ناموس الحق له أن يكون، ما كان، إلا موصوف الحق الرسول بها كان إلى من أراد الله أن يكون. إن المعلّم بها هو من بها كان، والمريد لها بإرادته لمن كانها، هو من بها يكون.

إن الذي حمل إلى آدم أن (كن) فكان، إنما هو رسول الله إليه، وإن الذي حمل إلى عيسى (كن لتكون)، و{إني متوفيك ورافعك إليّ}[١١]، إنما هو رسول الله إليه.

إن رسول الله، هو الحق من الله، لمن يطلب الحق من الله، فكيف لا يكون رسول الله، هو حق لله لكل متحقق من الله بحق الله، لأمر نفسه، عرف أو لم يعرف، أدرك أو لم يدرك. ولو أدرك لكانه ولعرف الله أكبر.

إن رسول الله في الله لخلق الله، هو القضية الكبرى للخلق في الخالق. فهو العروة الوثقى، والصلاة الوسطى، وبرزخ اجتماع البحرين للملأين الأعلى والأدنى. إنه طريق الهبوط للملأ الأعلى، كما هو طريق الصعود للملأ الأدنى.

إن رسول الله، وقد أظهره الله على الدين كله، فكان بمعلوم آدمه على ما كان بغيوب أوادمه بناموس آدم في دورته، عَلَّمه الله الأسماء كلها، فَعلِمَها، وتَعلَّمها، وعَرَفَها، وتعارف إليها وعرف من أبناء آدم في سابق دورته، وبعضا منهم لأسبق من دوراته، قام بها وقامت به أبناءً له وابنا لها لقائم آدمه حقا له وحقا لها، وما علمها وعرفها إلا يوم كانها وقامها وما علمته وعرفته إلا يوم لقيته وقامته.

هكذا كان رسول الله لنا أكمل ما يكون الإنسان في الله لاقتدائنا وكسبنا وعطائنا. لم يسبقه إلى كماله إلا قديمه بربه {قل إن كان للرحمن ولد، فأنا أول العابدين}[١٢]، فما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا، بل اتخذ عبادا مكرمين.

كان لهم، وكان معهم، وكان بهم أقرب إليهم من حبل الوريد، قام بعاليهم في دانيهم اجتماع الأزل والأبد فيهم ناموس مطلقه.

كان لهم وكان معهم وكان بهم، أقرب من الأب لبنيه، وكانوا في قربه، وفي وصلته، أقرب من البنين لأبيهم، عبادٌ مكرمون، ضُرب ابن مريم مثلا لهم.

كان محمد لهم جماع أمثالهم لمعاني أمثاله وقد أُعطي جوامع الكلم. كما كان للناس لمعنى كلمة الله وروح قدسه ظاهره بينهم لتمام حاله، فإذا قومه عن مثاليته مَثَّلها لهم من قبل وليده وجديده، يصدون وله لا

يكبرون، {فلا وربك، لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم}[١٣]، ومعك لا يختلفون، وفي سكينتك وسلامك يأمنون، لا يتخاصمون، ولا يجادلون.

يومئذ بالحق يقومون، وحقا منا يعرفون، وبحقك لهم يتصفون، فشهادة لا إله إلا الله، أعلاما لها يقومون، وشهادة محمد رسول الله، كتابا لها يُتلُون، ويَتلُون، وعلى مكث بكتابك يتحدثون، وبلسان الصدق لسانا لك هبة منك يبينون، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[١٤].

{أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم}[١٥]. ما تواجد بينكم باسم الله ليموت، وكيف يموت ذكر الله أو يموت اسم الله، وما تواجد الله لكم به حقا بينكم ليختفي! فأينما تولوا فثم وجه الله، وهو لكم وجه الله، ما كنتم به وجوها لله.

إن الذي علمكم وأعلمكم أن الله أقرب إليكم من حبل الوريد، ألم يكن الله له معه أقرب إليه من حبل الوريد؟ أو الذي وعدكم وبشركم بسريان نور الله، في ظلام أنفسكم، ألم يجعل الله له نورا، سرى في ظلام نفسه؟ فمحاه وبالحق قامه، وبالحق أقامه، ومبعوثا بالحق فيكم قامكم، ومنكم منه نشره وأقامكم؟ وهو الذي يقول لكم، إنه قد جعل له نورا يمشي به في الناس، يهدي الله به من يشاء، أنزله معه ليعمل على مكث فيكم، فكيف يتواجده لهذه الغاية، ولا يحقق له هذه النهاية؟!

إننا في محمد، غَيرُنا بعيدا عن محمد.. إننا في محمد، إنما نحن في الله.. إننا في محمد، إنما نحن في قلب الله.. إننا في محمد، إنما نحن في بيت الله.. إننا في محمد، إنما نحن في غُرف الله.. إننا في محمد، إنما نحن في غرفة الله لساحة الله وحرم الله.. إننا في محمد، إنما نحن في قبلة الله، نقوم قبلة الله للناس، ونصبا للناس بقبلتنا في أنفسنا، بقبلتنا في قلوبنا نعبد ما لا يعبد الناس، ونُعبِّد أنفسنا لمن لا يعرفه الناس.

إن قلوبنا بنور محمد، هي غرف الله، {أولئك يجزون الغرفة بما صبروا}[١٦].. إن هياكلنا بمحمد، إنما هي عوالم الله، هو لها بالله بنا، رب العالمين، هو فينا الحق من الله لعوالمنا بهياكلنا. لقاؤنا معه إنما هو في قبلتنا، بقلوبنا، هي غرفته فينا، مخصصة له منا، حقا لنا، لا شريك له فيها، {واذكر ربك في نفسك}[١٧]، لنا ديننا والناس في ديننا ما كانوا منا، ومن كان في ديننا كنا منه.

فما كان النبي بالحق لنا في أنفسنا، إلا رب وجودنا، ومنعم موجودنا، من أعلى له، كان هو به، أعلى علينا، لا نشهده إلا فينا، ولا نعرفه إلا يوم نقومه لمعانينا، بمعناه لنا، معنى معانينا، ومدينة بيوتنا لمبانينا، ورب عوالمنا قائم الله لقائمنا فينا.

هو اسم المطلق ومسيحه من الله لنا، لأسمائه به مقيدة بنا أسماءً له في داننا، لأسماء للأعلى بعالينا. المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن مرآة أخيه بيننا فينا، ومنا علينا لمراقينا، {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[١٨].. (إن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه)[١٩].

فهل قمنا به مؤمنين، فلم نشهده في مرايا قلوبنا؟ هل تجمعنا عليه مؤمنين، قلوبا متحابة، متآلفة، على أشباحها منكرة، وعلى أرواحها مجتمعة، فلم نشهده لنا، رب العالمين لعوالمنا، ولم نشهده فيه، لنا فينا، عوالم وجوده، من موجده، لشرف وجودنا، كرما وجودا؟

نأخذه لا عنوة، ونقومه لا كرها عنه ولا كرها عنا، (أنا رحمة مهداة)[٢٠]، فمن منكم قَبِل الهدية؟ إنها هدية الله لنا، إنه هدية الله إلينا، لا عن منسك، أو عمل أو جُهد، ولكن عن وعي وعن حب، إن الله لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، لا يمنعه عنا، سيئة، أو زَلة، {وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}[٢١]. وهل عرفوا الله، أو يعرفونه، وهو ليس فيهم؟ هو {الذي يراك}[٢٢] ولا يرى غيرك، حين (تقوم وتقلبك في الساجدين)[٢٣]، {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم}[٢٤].

ها هي الدنيا والآخرة لها تناديك، فَلبِّ نداءها ولا تخيب رجاءها، يا من جعلك الله رحمة للعالمين، ويا من جعلك شفيعا للمذنبين، ويا من جعلك المغفرة للمستغفرين، ويا من جعلك الصلاة الوسطى للمصلين، ويا من جعلك الحياة وأحواضها للواردين، ويا من جعلك الطريق ونورها ونارها وظلها وماءها للسالكين، ويا من جعلك النعمة والغناء للمفتقرين، ويا من جعلك المأوى، لمن كانوا لأبواب الله لمجراتك[٢٥] لقائم حضراتك طارقين، ولطريق الله طريقا لك سالكين، وفي معارج الله خافك عن أنفسهم، بماديها مترفعين، ولها بالحياة مجددين، ولروحهم بأرواحهم متعالين، ولك في أنفسهم طالبين، ولمعية الله لهم، قائمة دائمة، متقين وخاشعين.

إن رجلا مشى على الماء، يا رسول الله، لو مشى على الهواء، لكان أجدر به، ولو اتقى الله أكثر لمشى على الهواء، إن السبح على الماء بقانون السبح على الماء، هو السبح في الهواء وعلى الهواء، بقانون السبح في الهواء على الهواء، وهو عين قانون السبح في دائرة الحياة والرجاء، بناموس الله لفطرة الله في وجود الله لصبغة الله.

أعلمه الله، الدين كله، وأقامه الحق كله، فما ترك خيرا إلا هداه، وما ترك شرا إلا كشفه وحذره، لمن تابعه ووالاه، وما ترك إلى الحق طريقا إلا سلكه وأبداه.

نسأل الله برسول الله، أن يزيدنا من هداه، وأن لا يمنعنا معناه، في مبتداه، وفي مرتقاه، وفي منتهاه، وإن كان لا منتهى لمنتهاه، ولا توقف لمرتقاه ولا تعطل لمبتداه، ولا لكسب حقه ومعناه.

هذا ما يليق بنا فهما في الله، وما يليق بنا فهما في رسول الله، فنسأل الله أن يزيدنا فهما في الله، بزيادة فهمنا في رسول الله، وأن يزيدنا فهما في رسول الله، بزيادة فهمنا في الله، حتى نشهد أنه لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وحتى نبدأ لنا وجودا، بسم الله الرحمن الرحيم، فنحمد الله رب العالمين، ونعرفه لنا وفي أنفسنا قائم الرحمن الرحيم.

اللهم برسولك منا لنا رحمة منك بنا، ولِ أمورنا خيارنا برحمتك، ولا تولِ أمورنا شرارنا بعدلك، ولا تجعل في الحكم فتنتنا، ولا في البعد عنه ضياعنا.

اللهم أصلحنا حكاما ومحكومين، اللهم يسر لنا سبيل الهُدى روادا ومرودين، اللهم قوم فيك أمرنا غافلين ويقظين، وخذ بنواصينا إلى الخير أجمعين، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها، واجعلها في مرضاته، وخير أيامنا يوم لقائك، واجعلها في مرضاتنا.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٢ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٣ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع.

٤ من شعر أبو الحسين النوري. شاعر من العصر العباسي.

٥ سورة يس -٨١

٦ سورة فصلت - ١١

٧ سورة النجم -٣٩

٨ سورة الكهف - ٤٩

٩ يرد في بعض كتب المتصوفة والشيعة كحديث قدسي، وتقول كتب الأحاديث الشريفة السنية بأنه ليس حديثا قدسيا، ولكنه جاء في الأثر بلفظ "يقول الله عبدي أنا الله الذي أقول للشيء كن فيكون، فأطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون".

١٠ سورة آل عمران - ٥٩

١١ سورة آل عمران - ٥٥

١٢ سورة الزخرف - ٨١

١٣ سورة النساء - ٦٥

١٤ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

١٥ سورة آل عمران - ١٤٤

١٦ سورة الفرقان - ٧٥

١٧ سورة الأعراف - ٢٠٥

١٨ سورة النحل - ١٢٨

١٩ حديث شريف ذكره الشعراني في "لطائف المنن" مشيرًا إلى أن الحكيم الترمذي رواه في نوادر الأصول، ٥٦٦، وقد عرج عليه في الفتوحات في الباب الثالث في مضمار حديثه عن تنزيه الحق عن التشبيه والتجسيم، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا، ونصه فيه: " إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم".

٢٠ حديث شريف: "إنما أنا رحمة مهداة." أخرجه ابن سعد والحكيم والحاكم.

٢١ سورة الأنفال - ٣٣

٢٢ سورة الشعراء -٢١٨

٢٣ استلهاما من {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} سورة الشعراء - ٢١٩

٢٤ سورة الأنفال - ٣٣

٢٥ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

(٤)

يوم الدين

نفحة الدهر لساعة العمر للمؤمنين

يقومونه بين عالم الذات وعالم الروح عاملين

بكوثر محمد مبعوثين، عبادا رحامين وحقائق قوامين

لاسم الله ولمعنى الله قائمين، ولوجه الله ظاهرين

إنسانية الله رجالا راشدين

حديث الجمعة

٨ ذو القعدة ١٣٨٦ هـ - ١٧ فبراير ١٩٦٧ م

بالحق أنزلناه، وبالحق نزل.

قل جاء الحق ولن يغيب، وزهق الباطل ولن يقوم.

أشرقت الأرض بنور ربها ولن يحتجب.

من أوتي الحكمة، فقد أوتي خيرا كثيرا.

اخفض لهم جناح الذل من الرحمة، واصفح الصفح الجميل، إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب.

لا تكلف النفوس إلا وسعها، وخاطب الناس على قدر عقولهم، فما أوتوا من العلم إلا قليلا، قل الروح من أمر ربي، وعَرِّفهم، أنك من ربك أمره، وأنك لهم منه وحيه، بيِّن لهم، واتل كتابك على مكث فيهم.

قل يا أهل الكتاب، تعالوا، إلى كلمة سواء بيننا وبينكم.. ولتجدن أكثرهم يؤمنون بالله، وهم مشركون.

اصبر نفسك - تتكاثر بهم بينهم - مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، يريدون وجهه، بوجهك لهم، ليكونوا فيه، غير مشركين.. ليكونوا به، حكماء عارفين، وليكونوا معك، وجها لوجه ناظرين ومنظورين، وأعلمهم ما علمت من أن الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون، بناموس صبغته لفطرته للخالدين.

ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه، وكان أمره فرطا في الهالكين، أنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجك أمهاتهم، كلهم لك البنون.

قل إن كان للرحمن ولد، فأنا أول العابدين، الأب والأم للبنات وللبنين. قل إن كان للرحمن ولد، فأنا لقائم الحق أول العارفين. قل إن كان للرحمن كائن إليه يضاف، فإنما عباد مكرمون، هو أولى بهم منهم لو أنكم بهم تتصلون، فأمركم لأمرهم تدركون.

هم به يقومون، وبه يظهرون، وبه يعملون، وبه يتعالون، وبه يتكنزون، وبه يهبطون، وله دونكم ينزلون، ما بين السماء والأرض، يعرجون في الواسع العليم، فيمن لا اتجاه إليه على ما تتوهمون، في معراج لا يتناهى على ما ترسمون، وعطاء لا يجذ ولا يتوقف كما تقنطون، وهم عن المزيد فيه لا ينكصون أو يتخلفون. الله أكبر وأكبر يعرفون، ويؤمنون، ويقومون، ويواصلون. والسماء والأرض دارا لهم يملكون، وفيها يعملون ولأهلها يرعون وفيها لا يسجنون، فهم منها يخرجون وفيها يدخلون على ما يشاؤون ومثلها من إرادتهم ربانية يبدعون، ولها يوسعون وفيها يزيدون.

الله عندهم، لا شريك له منهم، وتعالى بهم عما يصف الواصفون، وتنزه بهم عما ينزه المنزهون، عنده بإذنه في أنفسهم إلى أنفسهم عن أنفسهم يشفعون ويتوسلون، حتى تظهر أحدية الله، بأحديتهم به يقومون، آحادا فيه، عن موصوف العبد له لا يستكبرون، ولا يستنكفون عبادا مكرمين.

شعارا للا إله إلا الله، وقياما لرسول الله وعبد الله وحق الله، محمدين محمودين يقومون ويظهرون ويعملون، بالله يسكنون، وبه يقلقون.. به يسعدون ومن أجله يشقون، وفي مرضاته، يجاهدون، وأعباء الحياة، عن طالبي الحياة، يتحملون، وله يحيون.

بالشقاء فيه ينعمون، وعن لذة النعمة به، والسكينة إليه يتعالون وعنها يبتعدون، وأنفسهم في كل مرتبة يجاهدون، وعليها مرضاة للأعلى يتعالون وبها يؤثرون وعنها يتخلون، وأكبر لهم منها منه يرجون. هذا هو الإيمان وهكذا يكون المؤمنون.

الله لهم، والله بهم، والله عليهم، والله معهم، والله فوقهم والله دونهم، يَعلمُون، فَمَن دونهم إلى من يعلوهم يرفعون، رسلًا وأئمة وكتبا وحكماء عاملين، يُعرَفون، وحقا يقومون، المؤمنون بهم لهم يبعثون،

فهم حقائق في ظلامهم يتعددون، وفي الخلائق يتواجدون. بهم تعالى الله عن الوصف الذي يصف القوالون، دون قيام به، وعلم عنه، بعلم عنهم، به يحيون، وفيه يُقيِمون، وبه يَقُومُون.

قل يا أهل الكتاب، تعالوا إلى كلمة سواء، بيننا وبينكم! فما يكون المسلمون؟ أهم أهل كتاب، أم أنهم عن أهل الكتاب يتعالون، كتبا بقيامهم يبعثون، أناجيلهم صدورهم للمصلين، وللكتاب تالين، وإلى البيت وأهله ينتسبون؟

{إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت}[1]، ولم يقل ليذهب عنكم الرجس أهل الكتاب كما تتلون وترددون ولا تقومون ولا تدركون.

فيا أيها الناس، لِمَ لا تدخلون، بيوت الله بينكم برجال يقومون؟ يا أيها الناس، لِمَ، إلى بيوت الله، لا تقصدون، وحول نصبها، لا تطوفون، وقد جعل لمناسككم، شعارا بها، له تؤدون، حتى إنكم يوما عن سره تكشفون، وعن أمره تعلمون، وبحقه تقومون؟ فما كان البيت إلا رمزا لرجال من أهل القلوب بينكم يقومون يرفعون ويوضعون، ذكرا لذكر بأسماء الله أسماءً لله يقومون وعن ذكره والتذكير به لا يفترون، لا عوج فيهم ولا اعوجاج لهم، على ما تقومون وعلى ما تتابعون من بينكم من غافلين.

أهل الكتاب يستغفرون من أنفسهم في ظلام الحجاب، به يضيقون يوم هم للكتاب يلمسون ولهديه يصدّقون، وفي العمل به يصدِقون.. وأهل البيت لأهل النور ينسبون، ولأنفسهم في سكينة الحجاب يسعدون ويريحون ولمشكاة صدورهم يتجهون، ولسراج قلوبهم ينظرون.

إن الله خير، ولا يأتي إلا خيرا، ولا يقبل إلا خيرا. إن الله طيب، يقوم طيبا، ولا يأتي إلا طيبا، ولا يقبل إلا طيبا.

فلِمَ للخير لا تعشقون؟ ولِمَ بالطَيب لا تتطيبون فتطيبون؟ أزواجا خلقكم، فلِمَ مع عباده بينكم لا تتزاوجون، فتأنسون، وبكم يأنسون، ولكم يؤنسون، وأنتم لهم، تؤنسون، يوم أنكم نفوسا لنفوس تتزاوجون، وعقولا مع عقول تتلاقون، وقلوبا مع قلوب، في أمرها لله، تمتزجون، وتتحدون، وتتوحدون؟

فذاتا لذوات لله تقومون وإنسانا واحدا للحق تشهدون، أنتم لبناته، وجوارحه، به تُبعَثون، عبدا حقا أحدا واحدا تعلمون وتذكرون وتحمدون.. فيكم وبكم يتعالى الله عما يصف الواصفون ويحكي الحاكون.. بكم يظهر الله، أقرب مما يعرفون وأظهر مما يجحدون، وأقوم مما يقدرون.

محمد رسول الله، والذين معه، حق واحد، وإنسان واحد، ورب واحد، وآله واحد، وإله واحد، وعبد واحد من عباد، من أرباب، من آلهين، من آلهة، من آحاد، من حقائق من قبلهم مدانين ومن بعدهم

متواجدين، بهم تعالى الله الواسع الحكيم عما يصف المتخيلون الواهمون، وعما يزعم لأنفسهم الزاعمون هم بعيدا عن موصوف العبد لمعانيهم يقومون مستكبرين، وبغير ما يقوم العبد بالحق عن الحق يتحدثون، ثم هم أنفسهم حقائق يزعمون.

ولو كانوا حقائق، ما استكبروا على الحق، أنفسهم له يُعبِّدون، وعنها يعلون، وله يعبدون، وعليه لا يستكبرون، يوم أنهم به لهم يعرفون، وقبلة الصلاة يقومون، وذو القعدة يرضون، وذو الحجة يسعون، وتعالى الله عندهم عما عرفوا منه وعما يصفون عنه.

أهل الكتاب.. وأهل البيت.. وأهل الحجاب. وما كان الحجاب، إلا الكتاب، وما كان الكتاب، إلا البيت، يوم ندخل البيت يبين الكتاب، ويرفع الحجاب، وترتد الأبصار إلى البصائر، للقلوب في مشكاة الصدور، وتداني البصائر الأبصار للعقول في الرؤوس فيتحد المبصّر مع من يبصر، ويتحد السامع مع من يُسمع، فيقوم السمع، كما يقوم البصر.

هذا دين الفطرة، هذا دين الإسلام، دين الله ربا على صراط مستقيم، دين الوجود حقا لا يريم، دين الإنسان ذكرا لذكر حكيم، دين البيان من الماكثين، دين الأعلام والإعلام للقيمة القائمين، دين الإنسان عَلَمَا، على العلّام، دين العلّام، قياما في الإعلام.

دين وأي دين! دين القيمة، الدين القيم، الدين القائم في الوجود، الدين القائم على قائم كل دين، الدين العالِم، لعِلم كل معلم، دين، لا يهدم الأديان، ولكن يأخذ بيدها.. لا يمقت المتدينين بها، ولكن يأخذ بنواصيهم إلى الخير.

دين ينكر على أمره الانفراد بالحق، وينفرد بالتسامي فيه، ليتمم مكارم الأخلاق، دين، يعرف الغيرية بالحق للأديان جميعا قبل أن يعرف العينية بالحق له، قل يا أهل الكتاب، تعالوا إلى كلمة سواء، بيننا وبينكم.

إن كلمة الله بالإنسان لعنوانها تذكرون، هي كلمة الله بإنسان التمام، لمعناه كلمة لله نذكرها، كلمة الله في وحدة كلماته لجماعها روح قدسه نحبها، وتحبونها، هي كلمة الله لنا ولكم، في وحدة أهل بيت الله نحن في محبتها في كوثرها بمحبتهم.

إن كلمة الله، إنما هي عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول، إلا من أذن له، وقال صوابا، عندهم مكنة الشفاعة، عند من يُشفَع عنده، ورحمة المغفرة، ممن يستغفر، لكل مستغفر من ذنبه.

هذا الدين القيم، أوغل فيه برفق، هذا الدين القيم، عليك قائم، فلا تبتعد بقائمك عن قيومه عليك، واحرص على قائمه بك، فذاك دين الفطرة، أنت فيها قائم، وأنت بها كائن، وهي مصبوغة بصبغة الله، لصبغتك قائما على كل نفس، ومن ورائها بإحاطته.

أنت لله وجه، سواء غَبَّرتَ هذا الوجه، بفعلك، بظلام نفسك، بكنود عقلك، بقسوة قلبك، أو جلوته من الأغيار، بعقيدتك في وحدانيته، وبدخولك في أحديته، بأحد من آحاده، بيتا يُدخَ٤ل، أبوابه تطرق، وساحته تطاف، وفي سكينته يعكف.

هو حجاب السكينة وهو شعائر الطمأنينة، وهو قيام الدينونة، يوم يدين كل مدان نفسه وقد كشف له ما كان منها من شك في وحدانيته، فعرف أنه قد قام بشركه، بإشراك نفسه به، شريكا معه بعزلته عنه، فلا مسيحا فيه بوحدانيته مع أحد من آحاده، ولا محمدا فيه يبعثه، قائم العبد لربه مع أحد من آحاده لقديمه في صحبته، ولا آدما له لدائمه، لكوثر تواجده بشرية، وسدرة لشجرة طيبة أصلها ثابت، وفرعها في السماء متصاعد.

أهل الكتاب.. وأهل البيت.. فما صلح، أهل الكتاب، إلا يوم صلاحهم بدخول البيت، لبعثهم بأهله، وقيامهم من أهله، ليقوموا الكتاب، أناجيلهم صدورهم، فترفع عنهم حجب الغفلة، ويقومون حجاب الحق، للحق بالحق عن الحق، حجاب رحمته، وعوالم سكينته، وقائم حضراته، لطالبيه لقائم صفاته، تخلقا بخلقه، وقياما في وحدانيته بقائم آحاده.

هذا هو الإسلام، المسلم به، في اللانهائي للحق لمعنى نفسه بحقية العبد مبعوث النهاية للخلقية في سدرة منتهاها بقائم حضرته في حاضر البشرية وقائم البداية للحقية لسدرة مبتداها إلى ملأ أعلى للرشاد في معراج لا ينتهي، وعطاء لا يُجذ، وخلق متعاقب في مشروع أبدي لا يتوقف جديده ولا يحصر عديده.

وهذا هو الإنسان، عند المسلم، هذا هو الإنسان، منشود المسلم، هذا هو الإنسان، قائم المسلم، هذا هو الحق، يُبعث به المسلم، عند المسلمين (المؤمن مرآة المؤمن) [٢].

"المؤمن مرآة المؤمن" هذا هو الدين، المؤمن في الشهادة مرآة المؤمن في الغيب، وهذه هي النبوة والتأسيس للأمة الواحدة، والمؤمن في الشهادة مرآة المؤمن في الشهادة، وهذه هي الطريق والتأسيس لعمد الأمة ورواسيها أن تميد الأرض بها، والمؤمن في الغيب مرآة المؤمن في الغيب، وهذه هي الحكمة وحسن التقدير للحق والتنزيه لله، والمؤمن في الشهادة مرآة المؤمن للمؤمن في الغيب، وهذه هي الخلافة الحقية لأهل الأرض بها كانت البشرية سدرة منتهى للخلقية، وسدرة مبتدى للحقية، أما المؤمن مرآة

المؤمنين في الشهادة وقائم المؤمنين في الغيب، فهو العروة الوثقى، والأمر الوسط في الله بقائمه لقيومه وما يقيم الله به. وهذا هو الحق للرسول للحق المطلق لمطلق الوجود، لمعنى ربه لقيومه، وهذا هو الحق الرسول لقائمه بنفسه ومعناه وهو خير الأمور.

إن الأمر الوسط أظهره الله، لوصف مطلقه لا يدرك ولا يحاط.. قبلا وبعدا.. يقوم له لا قديما ولا قادما، قائما به حقا لا شريك له منه، ولا شرك به له، عبدا أظهره على الدين كله، وأقامه الدين كله، وعلمه وأعلمه وأشهده، وأشهد به وقامه وقام به الحق كله.

إنه الحجاب الأعظم، بين حقائق الله بالإنسان لا بدء لها، وخلائق الله بالإنسان، لا انقضاء لها، لقائم الإنسان بالحق لا غيبة له، ولا انقضاء له، ولا توقف لرسالته إليه منه.

هذا هو اعتقادنا، في متابعة إمامنا، ونبينا، ورسولنا إلينا من الحق فينا به، بالحق به إلينا منا، وفي الواقع فلا هو ولا أنّا في الحقيقة، ولكنا وإياه في الحق كنا، على ما كنا، ويوما نكون على ما كنا، ثم نكون يوما في الحق على ما أنّا بما كاننا وكناه وقد تعددنا وتوحدنا لا شريك لله من معنانا، ولا غيبة لنا عنا بمعناه.

هذا هو شعار لا إله إلا الله، يوم يكون لنا بلا إله إلا الله شعار، وهذا قائم محمد رسول الله، يوم يكون لنا في محمد قائم، نحن به قيام، ونحن بتجديده لجديد أنفسنا به القيوم.

لا إله إلا الله، ولا عبد إلا نحن، لا إله إلا الله، ولا عبد إلا أنّا، عبادا لله كنا، وعبادا لله نكون، ونحن في كائننا عباد الله ظاهر الله لباطنه وباطن الله لظاهره، فلا ظاهر ولا باطن لله إلا بالإنسان، ولا إنسان إلا من أدرك لنفسه معنى العبد فيه والرب له، أمرا وسطا لمطلق الوجود لله، قائم اسم الله بالله مسيح مطلقه ولانهائيه ومنزهه.

هذا هو دين الفطرة، دين وأي دين! هذه هي حكمة الفطرة، حكمة وأي حكمة! هذا هو علم الفطرة، علم وأي علم! هذا هو الحق، حق وأي حق! هذا هو الله لمقدره حق قدره، وكيف بعيدا عن إدراك هذا يكون الله والتقدير لله!

نؤمن أنه لا بقاء إلا لله، ولا قديم إلا الله، ولا قائم لقيوم إلا بالله، نعرف محمدا بذلك بيننا قام، وله فينا أقام، وبه بيننا هو مقيم.

فهلا بحثنا عنه في أنفسنا، فهلا بحثنا عنه في مجتمعنا، فهلا بحثنا عنه في عالمنا، هلا بحثنا عنه في أي مكان، هلا بحثنا عنه في كل زمان، هلا بحثنا عنه في أي إنسان، إنه الإنسان كلما كان، وإنه الرحمن كلما ظهر وأبان، وإنه عبد الإنسان وابن الإنسان ورب الإنسان وأب الإنسان، كما أنه عبد الرحمن وذات الرحمن، وإنه اسم الله لأسماء الله، وإنه الحق من الله لحقائق الله.

نتكلم عنه بموصوف قيامنا بشرا مثلنا، ولا نتكلم عنا لموصوف قيامه بشرا مثله، نحط به إلينا ولا نرتفع بنا إليه، في مقام البشرية له، بموصوف البشرية لنا، بشرية لم نكسب مقامها، ونتوهم لنا قيامها، ونحن لها مجرد قوالب من الطين، تملأ من النار أو النور، لتتكون فيها القلوب بصور القوالب، فتنشق أغلفة القوالب عن الهياكل النارية والنورانية، ينفخ فيها من روح الله، من أمر الله لبعث الإنسان بالحق بشرا سويا، وهو ما تم للرسول ويمكن أن يكون لنا في متابعته.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم وقد جعلت مع محمد رباطنا معك.. اللهم فوثق هذا الرباط.

اللهم وقد جعلت مع محمد رحمتنا منك.. اللهم فوفر حظنا من الرحمة معه.

اللهم وقد جعلت محمدا حقك بيننا، وحقك فينا، اللهم فأقم به الحق لك منا.

اللهم وقد أعليت مقداره، وأعززت جواره، ورفعت أنصاره، وهيأت مزاره، وجددت قديم بيته، بجديده لقديمه، اللهم اجعلنا في بيته لبنات، واجعلنا من ذاته شعرات، واجعلنا لحقه ظلالا، واجعلنا لبيته وكتابه مثالا، واجعلنا لقدوته بين الناس مقالا وحالا، وبيِّن به بنا كتابه، فاجعلنا للناس البيان، وللحق العنوان، وللرسول الكيان، وفي القيام كوثر وجوده، وحاضر موجوده، لعليّ تواجده.

معه عرفنا أنه لا إله إلا أنت، فأقمنا به فيك لا إله إلا أنت، عبادا لك، ورسلا منه.

اللهم ادفع عنا غرور العزة بك، فاجعلنا لا إله إلا أنت، ولا تقمنا فتنة لنا وافتتانا بنا لا إله إلا أنّا، فتفتننا بأنفسنا وتفتن الناس لأنفسهم بنا.

اللهم لا تحرمنا قائم العبودية لك، ولا تحجب عنا قائم الحق منك، مسلمين، مؤمنين، لأمرهم بك محكمين، لرسولك متابعين، إلى بيته آوين، وحول البيت طائفين، وفيه عاكفين، قائم يوم الدين، لا ننتظر يوما للدين، كيف يكون هناك يوم للدين، وقد أبرزته يوم الدين، وإنسان اليقين، ورسول الحكمة للمؤمنين، والعارفين والعالمين؟ إن يوم الدين الذي ينتظرون إنه يوم يعرفون، يوم يعرفون أن الذي يذكرون، كان معهم يوم هم له معيته يفقدون.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين

اللهم به فقوم أحوالنا، حكاما ومحكومين، وارفع عنا مقتك وغضبك من عملنا، برد أعمالنا.

اللهم به فولِ أمورنا خيارنا برحمتك، ولا تولِ أمورنا شرارنا بعدلك، وبكسبنا.

سبحان الله عما يصفون، وتعالى الله عما يقدِّرون، ولا إله إلا الله لا شريك له، محمد عبده ورسوله، ووجه الحق له إلى كل يوم للدين، يوما للدين، وأياما للدين، فسبحان الله - لا إله إلا هو إنا كنا حقا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الأحزاب - ٣٣

٢ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

(٥)

إنسان
باسم الله الرحمن الرحيم
لقائمها ومقيمها
بأحده لآحاده بقيوم وقائم النور والظلام لحجابه

حديث الجمعة

٢٢ ذو القعدة ١٣٨٦ هـ - ٣ مارس ١٩٦٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم، في القائم بها، قيامَها بنا، لقيامنا فيها.

بسم الله الرحمن الرحيم، في مقيمها، بكل قائم بها.

بسم الله الرحمن الرحيم، فيمن قامت فيه، لا شريك له، من مقيم لها، أو من قائم بها.

بسم الله الرحمن الرحيم، في المنفرد بقيومها، المنفرد بقيامها.

بها عرفنا أنه لا إله إلا هو الحي القيوم، قائم الحياة، ومانح الحياة، ودائم الحياة، وسرمد الحياة، وأصل الحياة، وفرع الحياة، وأزل الحياة، وأبد الحياة.

من عرفناه لنا، بفطرتنا، صبغة وجوده، وصفة جوده، وحق موجوده.

أوجدنا لأمره، وأقامنا لظاهره، وأشهدنا لسره، يوم كشف عنا أغطيتنا، فأدركنا له، باسم الله الرحمن الرحيم.

لا شريك لها، ولا شرك بها، ولا شريك لها منها، بمن قامها، وبمن أقامها، وبمن علمها فأعلمها وعلَّمها، فشهد أنه لا إله إلا هو، الواسع العليم.

إن الإنسان في الله، لإنسان الله، قائم إنسان وجوده، وعَلَم تواجده لشهوده، وعَلَم كبيره بمشهوده، وعَلَم فعله، بتواجده بما أوجد، إنما دينه في علمه عن نفسه، بفطرته، وكشفه لحقه، بصبغته، عَلَم لا إله إلا الله، وقائم محمد رسول الله، لقائمه عبد الله، مؤمنا بالله ورسوله.

إن الإنسان، لله، يبدأ من وجوده، في أغلفة أمره، من فطرة نشأته، في هيكله من نبات الأرض، لعاقله من نور السماء، في غلاف طاقته من نار قدسه، ظاهر سره، من أمره، لمطلق إرادته صعودا، وعودا في بشريته، لتمام أمره، وتوفيه فردا لعينه بمطلقه.

تسقط عنه أغلفته، من ترابه ونوره وناره، إلى عوالمها له حتى إلى قائمه بروحه، عبد وحق مقيمه لأمره، فيشهد بذات روحه، معنى إرادته، لقيومه، فيعرفه الإنسان، ويعرفه العنوان، لمن يدعوه لافتقاره، سواء دعاه الله أو دعاه الرحمن، أو أيا ما دعا، فقد ارتفع بأمره لإرادته، فوق الأسماء ألفاظا، وفوق الكائنات ذاتا ووجودا، وفوق الموجودات حقا، وفوق الحقائق سرا، وفوق الأسرار قدسا، وفوق الأقداس غيبا، فكان الإنسان، جماع الغيوب، كما كان جماع الشهادة، في معارج الشهود.

الإنسان في تدانيه برحمته، والإنسان في تعاليه بمعرفته، قيام من الآباء والأبناء، هما طرفا وجوده للرحمن له روحا متحدا قائما قيوما بالإحسان، فالإنسان، لموصوف الآباء، والإنسان لموصوف الأبناء، والإنسان، لقائم وقيوم الروح بينهما، الآباء والأبناء له فيه يدا قدرته وطرفا وجوده، لقائم آحاد حضرته، للأعلى لعينه، لاسم ولفظ عابده ومعبوده، ولباطن وظاهر موجوده، فليس أبا من لا ابن له، وليس ابنا من لا أب له، وليس ربا من لا عبد له، وليس عبدا من لا رب له، وليس موجودا من لا وجود له، وليس كائنا من لا كون له، وليس شيئا من لا مشيئة له، وليس إنسانا من لا ناس له.

الإنسان، بهذا وفي هذا، هو في وحدانيته، لِعلم وإعلام وحدانية الأعلى، فالأعلى للموجود، للوجود المطلق، لمعنى الحق عنده، لحقائقه، عرفه في مظاهر تواجداته، لوصف الخلق عنده وفي تخلياته عن موصوف خلائقه، لمعلوم حقائقه، لمعراج الحق في الحق، بالحق لا شريك له، لا من حقائقه ولا من خلائقها بتواجداتها.

هذا هو شعارنا، أمة الفطرة، أمة لا إله إلا الله، قائم محمد رسول الله، وجها لقائم الأعلى فردا وجمعا وظهورا به، وربا لقيوم الأدنى ورعاية له، بعثت بالأزل كوثرا للأبد أمة وسطا، مرعية قبل أن تكون راعية، مدعوة قبل أن تكون داعية، راجية قبل أن تكون مرجوة، ساعية قبل أن تكون قبلة السعي، هادفة قبل أن تكون هدفا.

أمة وسط، وأمر وسط، بين سبق لها هي ليست غيره لقائم عينه، ولحاق منها هو عينها وليس غيرها، فكانت حقا وفعلا أمة لا إله إلا الله، زويت الأرض لعَلَمها وإرادتها وقيامها لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

أمة عابدة، قبل أن تكون معبودة، وشاهدة قبل أن تكون مشهودة، أمة الحق، أمة الصدق، أمة الله، تأمر بالمعروف، باطن وجودها، وقائم مشهودها، وتنهى عن المنكر، تنهى عن المعدوم وعن طلب العدم، داعية إلى المعلوم وقائم العلم وحدة الذات والروح لقائمها بقيومها.

تأمر بالمعروف لقيامها، بقائمها، وتنهى عن المنكر، مما أنكرت، عليها، في غفلتها، في جاهليتها، تأمر بالمعروف لها، عرفته بإسلامها لرسوله منها خروجا من جهلها، ودخولا في كتاب علمها، وتنهى عن المنكر، قائم وهم الناس بهم، عنهم في عزلتهم، بعيدين عن حقيقتهم، مقدسين لجلدتهم، منكرين على فطرتهم.

لا ينقلون كتبهم لأيمانهم، وهي قائمة بشمائلهم من قديمهم لهم، يكتبونها ويسطرونها بصحائفهم، من خلقهم وفعلهم، بقائم عقلهم الخالق، بقلمهم الناطق، أقلام تواجدهم، بمن لنفسه أوجدهم، وبينهم وبينه لهم خيّرهم، {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}[1].. {لست عليهم بمسيطر}[2]، وهل سيطر عليهم ربك، وقد خيّرهم، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وما زال لهم ربا راعيا، رغم كفرهم بمعيته لهم، {والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم}[3].

خلقهم خالقهم لنفسه، ليكونوا قيام نفسه فمن يكون خالقهم؟ وهل كان الخالق لمعنى الله مضطراً؟ هل كان الله مجُبرا؟ إن الله الغني عن العالمين لا يتصف بالخالق، ولكن الخالق وصف لمن أحب أن يعرف إنما هو وصف لإنسان الله قيوم إنسان الربوبية لقائم إنسانية الرب له لإنسان آدم، لموصوف إنسان الخلق لهم.

بذلك كان رب الناس مضطرا.. وكان مجبرا للسير في طريق مستقيم.. في حق وجوده، لأعلى، قيوم موجوده، أقامه ناموسَه، فالتزم الناموس.. وأقامه فطرتَه، فاستقام لفطرتِه، {وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا}[4].. {إن ربي على صراط مستقيم}[5].

فما كان محمد غير ربه ورسوله إليه، وما كان ربه ورسوله إليه إلا قديم وجوده، لمحدث تواجده، ذكر لذكر في المذكور بهما فطرة مستقيمة، وناموسا قائما، لا يفترق عن ربه ورسوله إليه لوصف الرفيق الأعلى له لقائم الرفيق الأعلى لنا، يدا عليا لأيدينا لها في خلقه وفي صفاته وفي خلقه وحقه.

طلب إلى الناس أن يؤمنوا بهما، ليكونوا لعينهما بقائم عينه، تواجدا بهما لكوثر تواجده في قائمه لقائمهم فيهما لقائمه بهم إيمانا بأنفسهم، مؤمنين بالله ورسوله، فأمرهم أن تخلقوا بأخلاق الله ورسوله تشهدونها في خلقي بينكم.

فإن على مثالي تخلقتم، كنتم اسما لربي وبربي لكم تواجدتم إن {ربي الله}[٦]، وخُلُقا له في خلقكم شُهِدتم، فأَشهَدتم، فكان الله لنا جميعا، وكان الله قيومَنا جميعا، وكان الله قائمَنا جميعا، أنا وربي وأنتم، أحد وجود فيه، وقائم مشهود منه، وحقا مشاهدا له، في أعماق وجوده بنا.. حقا يشهد قيومَه في قائمه، وموجِدَه[٧]في وجوده بتواجده، وعاليه في سافله، اجتماع الأعلى والأدنى فيه اجتماع القبل وقبله، على البعد وبعده، في قائمه لشهوده، في قائم موجوده - بمعراج أطواره لدائم تطوره - وجودية الحق، في موجود الحق بالخلق ما شهد موجود وجوده بالحق، فشهد بعين الحق، شهد بعين القيوم، شهد الوجود القائم لقائمه، لمعنى نفسه، علما على أكبر فأكبر في الله ذي المعارج.

بهذا جاء دين الإسلام وجاء دين الفطرة، وجاء رسول الله، فرضي الله الإسلام دينا، للبشرية عموما، ورضي الله محمدا قدوة، للناس كافة، خلاصهم أن يكونوه. {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم}[٨].

وجعل مجاهدة الناس أن يطلبوه لأنفسهم، بما عرفوا مستغفرين من أنفسهم، مغيرين ما بها، إلى منشود مثال يرتضيه الله لهم ولأنفسهم يرتضونه، ولا يرضون في الله دونه، أبرزه لهم محمدا رسول الله.

وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون، انتظارا لدورهم في الله، في ركب السعي إليه، خلف قائد ركب عوالمه منهم، دائم البعث فيهم كوثر الحق لهم، وجواز المرور لسبحهم في السماوات وما يعلوها، وفي الأراضين وما دونها.

من الذي يرفض دين الإسلام إذا عرف الإسلام؟ من الذي يرفض العَلَمَ، إذا استقبل الأعلام؟ من الذي يرفض أن يكون في ركب الكلم إذا أدرك الكلام؟ من الذي يبقى في المخاصمة، طيبا للخصام، إذا عرف الطريق إلى السلم والسلام، في طريق الحياة بالإسلام؟

إن أمة الإسلام، هي حجة الله، حجة الله باليقظين على اليقظين، بأعلامها وعلومها، وحجة الله، على الظالمين الغافلين بما أودع الله فيها من عزته، وقدرة على إعلاء كلمته في حكمة وتدبير بشرعته[٩].

ولكن كان أمرنا لأمرنا زندقة، وإسلامنا لإسلامنا هرطقة، وكلامنا لكلامنا معلمة، وعزتنا لعزتنا مجبنة، نهذي {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}[١٠]، هذا شعارنا، خنوعا للطاغين، وعقبة أمام المصلحين، وسهاما نرمي بها المجاهدين، تعز من بيننا الطاغين، وتقيم علينا الظالمين.

(لا حول ولا قوة إلا بالله)، أغفلناها، وشعارا كان لنا، أخمدناها، وأعلاما عالية رفعت من آبائنا أنزلناها، وأسأنا الفهم فيها، وحرفنا الكلم بها.

{ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}[11].. وأي هلكة فيمن هلك ماديّه دفاعا عن الحق في سبيل الله إعلاء لكلمته، وإشهادا لطلعته، وإعلاما لقربته، وغناءً بعزته، عزة برجائه، وقوة بولائه، وحكمة بحديثه، وعظمة بتقديسه، فناء خلقته، وكشف حقيقته، لكوثر خليقته!!

أين هو الله؟ كيف هو الله؟ متى هو الله؟ أجابكم هذا الدين، يوم أقامكم لله فطرة، وأشهركم لله صبغة، جعل منكم ليلة القدر تنزل فيها الملائكة والروح، بالسلام على نفوسكم، من كل أمر، وجعل منكم، وأبناء لكم، كل كلمة بأمر وكل آية بشهر، أقمار حقيقته، وشموس شريعته، وكتب أرضه، وأناجيل بشريته، وجوها لمن هو من ورائهم بإحاطته، ولمن هو قيوم قيامهم لشهادته.

أمة هي عَلَم للا إله إلا الله، وهي دائم قيام لمحمد رسول الله، حديث الله المتصل بكلماته، قوم أناجيلهم صدورهم، وجلودهم قبورهم، يقومون في مقابرهم من جلودهم، ويبعثون من قبورهم بوجوههم، لنور عقولهم، حديث ربهم، وأقلام قدرته، لقائمهم من قيامهم، ولقائمهم من إقامتهم، أسماء حضرته، ووجوه طلعته، وكوثر حضراته، لأقداس مطلقه.

بهذا يجوز أن نقبل أن محمدا ختام الأنبياء، كما يقول الفقهاء من وحي أنفسهم لأن الناس به أصبحوا الأنبياء بمكنتهم، ما استقاموا لفطرتهم، واستجابوا لجبلتهم، لمراد خالقهم، لقائم وجودهم، بعلم حقهم لحقيقتهم، على بصيرة له، هي لمن تبعه قياما به لعينها.

محمد خاتمهم أنبياء، وطابعهم أولياء، وقائمهم عبادا للرحمن يمشون على الأرض هونا، كوثر تواجده، لحقي وجوده، بقائم أحده، لواحده بهم، يقوم ويتقلب في الساجدين، من ربهم مشهودين، له مشاهدين.

ظهر لهم في إيمانهم، أحديتهم، وظهر بهم، لمخاصمهم بارز واحدية الحق لهم، {وبرزوا لله جميعا}[12]، {الواحد القهار}[13]، كان الله به لمعرفتهم في القاهر كما هو في المقهور، لا شريك له.

إن تنصروا الله، لمراده بكم، ينصركم لمرادكم به. {كم من فئة قليلة، غلبت فئة كثيرة}[14]، {وما النصر إلا من عند الله}[15]، إن الله من وراء الفئة القليلة، بجوده وكرمه وقدرته وعزته، وإن الله من وراء الفئة الكثيرة بفتنته، وبمحنته، بمحيط قدرته، لفناء كل مغايرة له، بوصف غيره وغيرته، مكر بالمؤمنين لخيرهم، ومكر بالكافرين بهم رسلا له لا فرق ولا فارق بينه وبينهم، لبلائهم، ولله المكر جميعا في كليهما، مكره الخير، للممكور به، فهو إما مختار منه بعطائه، أو مخيرا فيه لاختياره ببلائه.

إن الأولى والآخرة، بقائم بينهما، إنما هي للإنسان، في أطوار تواجده، طلبا لوجوده، وسعيا إلى مشاهدة موجده.

إن الأولى، آخرة، لسابق، من آخرة لأولى لها، وإن الآخرة أولى، للاحق في معراج لآخرة وأخرى، إنها دورة الحياة، كان البعث بآدم ساعتها وقيامتها، ولمحتها الفاصلة بين الماضي والمستقبل في الموجود الدائم، فكان ما قبل آدم حقيقتها، وما بعد آدم خليقتها، في قائم الإنسان لقائمها، في الله لحقه في مطلقه ولانهائيه.

فإذا بعث من قاموا وتواجدوا بعد آدم، بما كان من أمر الإنسان قبل آدم، أو بما كان من أمر آدم قبل آدم، قامت بهم لهم آخرتهم في بعثهم بآدم، وكان في ذلك ساعتهم وقيامتهم بعلمهم عنهم فيهم، {علمت نفس ما قدمت وأخرت}[١٦].

فإذا تحقق لهم ذلك بموتهم قبل أن يموتوا، وهم في قائمهم لخليقتهم من آدم مبعوثين بالحق لهم فيهم، فهؤلاء يشهدون انعكاس الزمان إليهم بما قبل آدم وبما بعد آدم بجديد لآدم، بعد أن كان اتجاههم بالزمان إلى قديمهم وقادمهم، فيرتقي بهم قائم آدم لهم إلى قيوم آدم على قائمه بهم.

إنها دورة آدم لإنسان الحق في نفسه بنفسه، إنها علم الساعة، وإنه عَلَم الساعة، إنها تحقيق الإنسان لمعنى الإنسان لنفسه عند عالم وعَلَم الساعة، عرفه لنفسه أبا وولدا، في تواجداته بالخليقة فيما بينهما في أي صورة ما شاء ركبه، هو الناس بجماعهم لإنسانهم، فالابن في كماله وتوفيه يقول للناس لأخوته، برسالة رحمته، ما أعطيته فهو لكم، لكم من الله ما لي. وفي قائمه مبشرا بأبيه، قائما بروح القدس لمعانيه يعلن (إذا جئت في القيامة دعوتكم بـ: يا إخوتي)[١٧]، مشيرا إلى قيام الروح لرب العالمين في رسالة له سافرة، مبشرا حواريه، يحلّ فيكم روح القدس، فتأتون أفعالي.

وهذا ما أراده عيسى من أن المنادِي منه بقائم له في السماوات، إنما هو في طريقه إلى الأرض بقيام ظاهر، وأنه سوف يظهر قرين ظهوره، متوفى عنه بقائمه من المادة، إلى كمال فيه بقادمه في قيام بالروح، فدعاه لقوم إسرائيل معرفا به، هو أبي وأبيكم. وناداه داعيا راجيا.. ليكن ملكوتك على الأرض كما هو في السماء، فإذا استكمل موجوده في أبيه، فصار أبا، ظهر يوما للفصل، علَمًا عليه للمتخلفين جزاءً وعتابا، بعد أن كان ظاهرا لهم يوم توفى لمعنى رسول الله وروح القدس، رحمة وكتابا، فقال لموصوف رسول الله الظاهر بعطائه، العليّ عن الظهور بمقامه، لا تقوم الساعة إلا ويظهر على الأرض حكما عدلا، يومئذ يبرزون لله جميعا، الواحد القهار، وهذا ما عناه في رسالة طفولته، ما جئت

لأرحم بل جئت لأُدين. أنا الدينونة.. أنا القيامة.. أنا هو الطريق والحق والحياة.. أنا في الآب والآب فيّ.. أنا آدم الله، وروح قدس الله.

أما الأمر الوسط فطلبه ورجاؤه من الأعلى أن يبعثه بالمقام المحمود لإنسان الرب المعبود، الرفيق الأعلى له والحق المشهود، في قيوم وقائم الوجود بقائم إنسان الروح بين ذات الأب وذات الابن للإنسان لله ظاهرا لباطن، لقائم الحق به قبل الأب وبعد الابن. (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين)[١٨].

ليست هناك قيامة، على ما تقيمها أوهام مقيميها، بصور لا حقيقة لها، ولا تعريف بها بتبليغ في أي دين، إلى الله يرجعونها، وهي إلى نفوسهم مرجعة، ومن أوهامهم مبدعة.

إن القيامة، إنما هي قيام الحق، على الكائن المتحقق، سفورا للحق في أعماق أهله، يوم تكشف عن المتحقق أغطية ذاته، لمراد موجده به. {فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد}[١٩].. {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[٢٠].. (والذي بعثني بالحق)[٢١].. {قل جاء الحق}[٢٢].. (من رآني فقد رآني حقا) [٢٣].. (ما أعطيته فلأمتي)[٢٤].

هذا قائمها في الفرد للفرد، يوم تقوم لمحة الرضاء للاصطفاء، والاصطفاء بالكائن البشري مبعوثا لوصف العبد بالحق في العطاء وفي الجزاء، ابنا بُعث بسر أبيه، فكان أبًا لقائمه بقيومه، وقيوما بقائمه لأبنائه لقيامه، لحمته منه وإن نتنت، والعرق منه وإن مال، بيتٌ يذكر فيه اسم الله، لقائم رجال لا يفترون عن ذكر الله، ولا يركنون لغيره، ولا يكزون على أنفسهم بحقها لربها، مبذولة لطالبيها من ربها بربها مجددة ولدان مخلدون في آباء مع أبنائهم يتوحدون.

كلما بذلوا نفسا محققة، أعطاهم الأعلى نفسه، حقا، فيهم مقاربا مدانيا لهم متجددا بهم (ما ألبسني الله ثوبا، إلا خلعته على أخي أبي بكر)[٢٥].. (دعوا لي الرجل)[٢٦].

إنه نفسي، لقد صرفت إليه نفسي قديما، نفسي التي أعانني الله عليها فلي أسلمت، ولي حقا عرفت، فهو لذاتي، في ذاتي نفسي من أنفسكم لمشهود ذاتي بينكم خلقية، إنه نفسي خلقا لي خضعت حقا، ولي عشقت، وبي تعلقت، فبي يوما تبعث، وبي حقا يوما تُعرَّف وتُعرَف، إنه عبدي، به عرفتني ربا فعرفت ربي، وإن جهلني اليوم لقائم وعين ربي لربوبيته مفرقا بين الله ورسوله، فسوف لا يفرق يوما بين الله ورسوله.

به لي نفسا، لربي اسما وعلما قمت وتعلمت عني ما عَلِمت، فأَعلَمت، فنطقت بحكمتي لحكمته، (إن الله يبحث عن عبده كما يبحث العبد عن ربه)[٢٧].

فأنا في جلباب خلقي من أنفسكم، لقائم حقي بينكم، روحا منطلقا ساريا فيكم بحثت عمن يعرفني، ويرضاه لله عبدا، ويرضاني لنفسه ربا، ففي أبي بكر لقيته. (فلو قيس إيمان هذه الأمة بإيمان أبي بكر لرجح إيمان أبي بكر)[٢٨].

ولسعيي لمعرفتي أدنى لحلتي به أعرف، لشهودي، عمن هو معروفي بموجودي، مضافا أناي لمن أعرف لمعبودي، مرآة لي أشهدني فيها بموجودي، وجدتها لي في موجود أبي بكر مرآة لشهودي، فكان جزاء سعيي ظلا لذاتي في حاضر وجودي، إنه الرجل الذي هديت وبه اكتفيت، فدعوا لي الرجل، (لا تؤذوني في صاحبي)[٢٩].

إن الله أعانني عليه فأسلم، أسلم لي حقا ورسولا لله وعبدا له، أسلم لحقي وجودي أنا به قائم، أسلم لله إسلاما لرسوله، عرف الإسلام على ما أردت أن يُعْرَف[٣٠] الإسلام، وعلى ما أحببت أن يعرف مسلمٌ الإسلام، وقد اختفيت عنه بحقيقتي، وظهرت له لحلته بموصوف خليقته في خلة لخليقتي، مخلوقا لمخلوق، وعبدا لعبد، في الله يتخاللان، وفي الله يتحابان، وفي الله يتراءيان.

فهو لا يأمرني فيمن احتجبت عنه بهم إلا بخير. وما أمرني فيّ، إلا من أمره مني فقد كنت من ورائه بإحاطتي، قدر الغيب من ورائه بإحاطته. وما كان الغيب من ورائه بإحاطته، إلا أنا قائم من أحاط بي، قيوم وجوده، وقائم محيطه، فـ (ما عرفني غير ربي)[٣١]، فهو لم يأمرني في بيتي وفي قومي إلا بخير. وما أمره منه إلا أمري به (لا تسبوا أصحابي)[٣٢]، فإنهم بأمرهم لإيمانهم وكفرهم وارتدادهم ومواصلتهم ومخاصمتهم ومسالمتهم قضايا لله في موجودي بحقي، تأملوهم ولا تتابعوهم إلا من كان منهم في متابعة عترتي لقائم أهل بيتي، لدوام وجودي في تواجدي.

احتجبت عنه، بدائمي، لقائمي لحقي وحقيقتي، بآلي وعترتي، هم قائم الحق برسالتي، مختبرا له في أمره لسنتي وبلاغي وشرعتي مغفورا عندي، ناموس الله في المؤمنين بالله ورسوله ليتلقى كلماته ويجدد بعض آياته لكمال أمره، لكسب مقام آدم لآدميته، فلم أجد له عزما لضعف همته، وإني معينه على إصلاح أمره على ما عرفت عن آدم للأعلى لي لمعنى ربوبيتي، وإن كنت لم أحتجب عنه فيهم قائم الخلق لدائمي خلقا بهم بين خلق الله، هم رحمة الله لهم بينهم، فكنت بهم لقائم حقي من ورائه قائم قيومه بالحق لأناي، تخلقا بأخلاق مولاي، لا يخاطب البشرية إلا وحيا أو من وراء حجاب تمام أمره لحقي أمري.

فانفعل آمرا لي أمرا مني به لآل بيتي قياما لمعناي، منه لمرآي، وما أمرتهم به إلا لخيرهم لهم ولخير الناس بهم، ولخيره فيهم، فإن كان لم يشهد الحق فيهم، لقيامي بحقي بهم فهو لم يشهد الحق فيّ بقيامهم، سنة الناس في حجابهم، فهو عندي الناس في جماعهم.

فهو قضية دائمة دائبة، في موجودي الخلقي، كلما تواجدت، بين الخلق، من أنفسهم في قائمي الحقي من الرفيق الأعلى في مطلق الله، لا أفارق حضرته ولا تحتجب عني طلعته، ولا أتوقف عن الظهور باسمه لمعناي وجهه لمشاهده بي، لشهودي به.

فما كان ذلك منه، إلا بفعلي به بإرادتي، وبقضائي في أمره، لقائم أمري فيهم فهم للناس حقائق الله لاستقامة رسالتي، ولاستقامة أمتي، هم مصابيح الحق لهم يوم يعرف الناس بشريعتي، ما أردت لهم، من الخير في اتحاد إرادتهم بإرادتي، اتحادا مع إرادة الأعلى عليّ بي عرفت، حتى أتمكن بعترتي مقبولة مرضية لذاتها بي عندهم من بذل حكمته، وبذر أنواره، من فيض أحواضه، وغرس كلماته، في أرض القلوب لعباده، رضاءً خالصا لوجه الله، لا لسلطان زمني ولا لمال أرضي، ولا نفاق ولا رياء.

{حكمة بالغة، فما تغنِ النذر}[٣٣]، وما تكون النذر، وكيف تجاب النذر، إذا كان لله إرادة، من رحمته بحكمته في مخالفة النذر في المختبرين؟ وما حاجتها عند الأصفياء الصافين؟

إن الناس أُمروا أن يكونوا في طاعة الله بأن يعبّدوا أنفسهم، ويصلحوها[٣٤] لتكون نفوسا ووجوها له، وأن يسمعوا لحديث الله في أحداث الحياة، وأن يشهدوه في صفات الفطرة والوجود، ليشهدوا الله في جلباب إرادته، وليشهدوا الله في ظهوره بطبيعته وفطرته في إنسانية بشريته، بأحداث الحياة بين أهلها، وفي ناموس الكون بها والأكوان لها بمظاهر لأنفسهم، بأنفسهم يعرفونها ويشهدونها، أو يجهلونها ويغيبون عنها، بعجزهم عن إدراكها أو شهودها...

حتى يتردد الناس، بين إرادتهم لهم، وبين إرادة ربهم بهم، على ما شهد عالم من عوالمه، فقالوا {وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا}[٣٥].. {إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد، فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا}[٣٦].

هؤلاء قوم، لمستهم أنوار الكتاب فناء عنهم إلى قائم رسول الله لقيامهم، قرينًا لمن كان لي من البشر قرينا، لمست قلوبَهم أنوارُ الخطاب فكشفت عنهم أغطيتهم، وخرجوا من الحجاب، فرأوا على الأرض عجبًا، رأوا أناسا، مكنّهم الله، في ذواتهم لمعانيهم، من كل شيء، تسعد به أنفسُهم، وتحيا به أرض قلوبهم، وتستقيم به جوارحُهم، وتشرق به عقولُهم، وتتحرر به أرواحهم، وبعث بينهم الحق رسولا، ومفتاحا لكنوز قلوبهم، ولكنهم لا يفيدون من ذلك شيئا.

هؤلاء القوم بعقولهم قدّروا نعمة الله عليهم إذ يفيدون الكثير من ذلك كله متعجبين ممن لم يفد منه شيئا من قرنائهم من البشرية، فتكللوا حول رسول الله حقا وكلمة لله يشهدونها، وكادوا يكونون عليه لبدا[٣٧]، حقا محتجبا[٣٨] عليهم ما عرفوه إلا بوصفهم قرناء لقائمهم في البشرية معلما.

ما أحس بهم رسول الله، فقد كان في احتجاب عنهم فيه، في انطوائه إلى أعماق داخله بانصرافه بكله إلى ربه في نفسه، حتى غاب عنه إليه.

ولكنهم لم يكونوا في حجاب عما جاء به بالتفافهم حول قرين قرينه لقائمهم بأحده لجماعهم في واحده، فانتشر فيهم نوره، وقامت فيهم سكينته، فنطقت بحديث الحق ألسنتهم، إنا لا ندري، ومن قال لا أدري فقد أفتى.

إنهم في معارفهم لا يتجاوزون معارف هذه البشرية، لدرايتهم، ولكنهم دروها فيما ظهر لهم من أمرها في حال شقائها بكنودها، ولم يصدروا هم حكما عليها، حتى يحكم عليها من يملك الحكم فيها.

فقالوا {وأنا لا ندري أشر أُريد بمن في الأرض، أم أراد بهم ربهم رشدا}[٣٩]. وما كان الرب ليريد بمربوبه شرا وهذا هو ناموس قائم، على ما عرفوا في أمرهم لربهم من أنفسهم، إلا ما أراد المربوب بنفسه من الشر هو مصدره له، وما أراد الرب دوما بمربوبه إلا خيرا، وما امتنع خير الرب عن المربوب يوما، إلا ببعد المربوب عن الرب وعن بيت الرب وعن ساحة الرب. (يأكل الذئب من الغنم القاصية)[٤٠].. (الزم الإمام الزم الجماعة، عض ولو على جزع شجرة)[٤١].

ولو درى من قال إنا لا ندري، لدرى أن خيرا ما أريد، من ربهم بهم باختبار لهم يعقبه اصطفاء لنفسه من بينهم، لنور الله منه يعمهم، وإن ما رأوا من شر إنما هو ما أرادوا هم من فعلهم ارتد إلى أنفسهم بناموس الفطرة لا يخطئ ولا يتعطل، ضرب به سور بينهم ظاهره من قبله العذاب وباطنه من قبله الرحمة.

ويوم يدري من كان لا يدري، فدرى عما كان لا يدري، لقال له من أدراه، ربا له، كما هو رب لهم قائم الحق لهم من أنفسهم بينهم، وقد عرفه ربّه لربه وعين ربهم، لقال له ربه مسويا بينه وبينهم {يا ذا القرنين، إما أن تعذب، وإما أن تتخذ فيهم حُسنا}[٤٢].

يومئذ يعرف مراد الرب بهم، ومراد الناس بأنفسهم، من ربوبية إبداعهم لأشيائهم فيجيب آمره[٤٣] من بينهم مأمورا منه، منصفا لهم ليومهم بالأيام يداولها بين الناس، جامعا الناس بمنظورهم وغيبهم ليوم من أيامه قائم عبد من عباده، لا ريب فيه ولا عوج له، يجيب منه، أما من آمن، أما من آمن بك يا ربي، أما من آمن بك أيها الرب العظيم، أما من آمن بك أيها الحق الكريم، أما من آمن بك أيها الحق

الرحيم، أما من آمن بك أيها الرب العليم، أما من آمن بك أيها الوجه والاسم والكلمة للحكيم العليم ذاتا وروحا، حقيقة عالية مدانية، بين السماء والأرض مترددة ساعية، باسم رسول الله ولأهل السماء كما هي لأهل الأرض مكلمة معلمة لنا ولهم عنها وعن الأعلى لها معلمة بنا وبهم قائمة، أما من آمن بك يا سيدي أنت له معيته بالحياة، فله جزاء الحسنى، وأما من كفر بك، كفرانا بالحياة وأنت الخير، وأنت الرحمة، فسنكشف له عن خطيئته ونعذبه برد عمله إليه تطهيرا له حتى يفيق إلى نفسه ويقدر لأمره، رحمة منك وجزاء فعله لتقويم أمره، فإن استقام، فمرده إليك، أخا لنا، وعبدا لك، إليك المرجع وإليك المصير.

وإن أبىَ إلا أن يكزّ[٤٤] على ظلام نفسه فلا يغير ما بها من ظلامها ولا يفيق بعد جزاء فعله لتقويم أمره، فبك، وبإذنك، وبإرادتك، نرده إلى ربه الذي خلق وربب، وإلى مخلوقه بعمله الذي جعل منه خالقا، فيعذبه عذابا نكرا، ما كان ليدور بخلده حتى يظهر للكل أمرك، وتقوم في الكل شريعتك، ويتكشف للناس فيهم حقك، ويعلم فيهم لهم سرك، لا شريك لك، وما كانوا في قائم ولا في قديمهم والقادم إلا أمرك، سرك وجهرك.

ما خلق الله الإنسان ليضيّعه. وما خلق الله الإنسان ليتحدث أحدهم فيسمّعه أو يسمعه، فهو يعلم السر وأخفى، ويلهم النفوس بما يريد لها ويريها فيما ترى، (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأقوالكم)[٤٥]، ما خلق الله الإنسان، ليسجنه في صوره، أو ليهلكه في مقابره، أو ليطغيه في مفاخره، فهو في أي صورة ما شاء ركبه وفي أي حق ما شاء أظهره.

نعم خلقه فقبره، ثم أخرجه فنشره، إنها موتة وموته.. إنها بعثة وبعثه.. إنها خلقة وخلقه.. إنها حقة وحقه[٤٦]، إنه أزواجا أوجده، ومن أحد أزواجا بدده، ومن بدده جمعه فوحده، هكذا في بطون الأمهات خلقه، وهكذا في بطن الأرض جدده، وهكذا في بطن الوجود نشره وعدده، وسدما وشموسا أوجده، وشموسا حول شموس بكواكبها وأقمارها عدده، وفي آيات الله من حوله، بعقله علمه، وللعقل كلمه، بأعلى سالمه، خليلا خالله، وحبيبا حببه، أحبه، بذاته، وجعل الحب لذاته في بطون ذواته، رفيقا ورفيق، وصديقا وصديق، وحقا وحق، وآدما وآدم، وابنا لآدم، وابنا لآدم، أخا وأخا، بوجود لوجود وكون لكون.

بكل هذا جاء دين الفطرة، وبكل هذا جاء الإسلام، فهلا اهتبلتموه، وهلا جددتم إسلامكم، وهلا جددتم في لمحات أزمانكم وأوقاتكم وأحيانكم، إيمانكم، على ما فعل وقام بينكم قدوتكم، فشهدتم أنه لا إله إلا الله، علما لكم، وقمتم محمدا رسول الله مجاهدة منكم، فرددتم شهادة الله لنفسه ولرسوله لا إله إلا الله، محمد رسول الله شعارا لكم أمة بها تقومون، وبها تبعثون، وبها تعرفون.

اللهم يا من أوجدت الكائنات لنفسك، وجددت الكائنات بالأشياء لنفسها.. اللهم اجعل من أشيائنا أشياء كائناتك، ومن كائناتنا أسماء ذاتك، وحضرة آياتك، لكلماتك وصفاتك.

اللهم بالروح فأقمنا، وبالأشباح كتبا فعلّمنا.. اللهم اجعل الآباء والأبناء من ألواح قيامنا، لقائم إنساننا، عبادا لك، في متابعة عبدك ورسولك.

اللهم ارزقنا الوحدانية معه، حتى نعرف الوحدانية لك، وحتى نقوم في الوحدانية بك، فنشهد أنه لا إله إلا الله، ونشهد لنا قيامنا محمدا رسول الله، فبمحمد فينا نشهدنا، لك، وبمحمد فيك نشهدنا بك.. اللهم بذلك فقومنا، دينا ودنيا، طريقا وعلما، شريعة وحقيقة، ظاهرا وباطنا، معرفة ووجودا، قياما وشهودا.

اللهم بذلك فولِ أمورنا خيارنا برحمتك، ولا تولِ أمورنا شرارنا بغضبتك، قيام حجتك، وقضاء أمرك.

اللهم لا تفتنا في أمرنا، ولا تفتنا بفاتنينا، وامحُ الفتنة من بيننا، واكشف أمر الحق لنا فينا، حتى تستقيم فيك أمورنا، وحتى يستقيم سرنا وجهرنا، وحتى نقوم حريتنا، أحرارا بك عادلين بيننا، في أمرنا، برحمتك بنا، وهديك لنا.

لا إله إلا أنت ولا موجود بحق سواك سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الكهف - ٢٩
٢ سورة الغاشية - ٢٢
٣ سورة الشورى - ٦
٤ سورة مريم - ٧١
٥ سورة هود - ٥٦
٦ سورة غافر - ٢٨
٧ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، وكذلك وضع بعض علامات الترقيم.
٨ سورة الأنفال - ٣٣
٩ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.
١٠ سورة البقرة - ١٩٥
١١ سورة البقرة - ١٩٥
١٢ سورة إبراهيم - ٢١
١٣ سورة غافر - ١٦
١٤ سورة البقرة - ٢٤٩

١٥ سورة الأنفال - ١٠

١٦ سورة الانفطار - ٥

١٧ إشارة لقول المسيح عليه السلام بعد القيامة أنه قال للمجدلية: "اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" (يوحنا ١٧:٢٠). وتلك كانت المرة الأولى التي يدعو فيها تلاميذه بكلمة أخوتي. قبل القيامة، كان يسوع يدعو تلاميذه "أحبائي"، "عبيدي"، أو "تلاميذي".

١٨ حديث شريف ذات صلة: "إِنِّي عندَ اللهِ مكتوبٌ خاتمُ النَّبيِّنَ، وإنَّ آدمَ لمنجَدلٌ في طينتِه..." أخرجه أحمد وابن حبان باختلاف يسير، وأخرجه البغوي في ((شرح السنة)) واللفظ له. والحديث الشريف "أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد." أخرجه الترمذي، وأحمد بلفظ مقارب.

١٩ سورة ق - ٢٢

٢٠ سورة الذاريات - ٢١

٢١ قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه.

٢٢ سورة سبأ - ٤٩

٢٣ حديث شريف: مَن رآني فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآني في المَنامِ فقَدْ رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٢٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٢٦ حديث شريف ذات صلة، جاء في محاورة بين الصحابيين أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، فعاد أبو بكر وقال للرسول صلى الله عليه وسلم: واللَّهِ يا رَسولَ اللَّهِ لَأَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: هلْ أنتُمْ تَارِكُونَ لي صَاحِبِي، هلْ أنتُمْ تَارِكُونَ لي صَاحِبِي، إنِّي قُلتُ: يا أيُّها النَّاسُ، إنِّي رَسولُ اللَّهِ إلَيْكُمْ جَمِيعًا، فَقُلتُمْ: كَذَبْتَ، وقالَ أبو بَكْرٍ: صَدَقْتَ قالَ أبو عبدِ اللَّهِ: غَامَرَ: سَبَقَ بالخَيْرِ. صحيح البخاري.

٢٧ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها في السياق.

٢٨ أثر موقوف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم." أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة، وجاء في شعب الإيمان للبيهقي، وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وأخرجه ابن عدي في الكامل مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٢٩ من حديث شريف: " لا تؤذوني في صاحبي، فإن الله بعثني بالهدى ودين الحق، فقلتم كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، ولولا أن الله سماه صاحبا لاتخذته خليلا، ولكن أخوة الله. ألا فسدّوا كل خوخة إلا خوخة ابن أبي قحافة." أخرجه الطبراني في (الكبير)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء) باختلاف يسير.

٣٠ أضيفت علامات التشكيل في هذا الحديث وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي.

٣١ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكتاني بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".

٣٢ من حديث شريف: "لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه." أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

٣٣ سورة القمر - ٥

٣٤ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٣٥ سورة الجن - ١٠

٣٦ سورة الجن - ١-٢

٣٧ لِبَدا تعني كثيرا متراكما أو متراكبا.

٣٨ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٣٩ سورة الجن -١٠

٤٠ حديث شريف: "ما من ثلاثةٍ في قرية، ولا بَدْو لا تُقَام فيهِم الصلاةُ إلا قد استحوذَ عليهم الشيطانُ، عليكَ بالجماعةِ فإنّما يأكلُ الذئبُ من الغنمَ القاصيةَ". أخرجه أبو داود، والنسائي، وأحمد باختلاف يسير.

٤١ من الحديث الشريف: "تكونُ دعاةٌ على أبوابِ جهنمَ، مَنْ أجابَهم إليها قذفوه فيها، هم قومٌ مِنْ جِلْدَتِنا، يَتَكَلَّمُونَ بألسنتِنا، فالزمَ جماعَةَ المسلمينَ وإمامَهم، فإنْ لم تَكُنْ جماعَةٌ ولَا إمامٌ فاعتزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّها، ولَو أنْ تَعَضَّ بأصلِ شَجَرَةٍ حتى يُدْرِكَكَ الموتُ وأنتَ كذلِكَ" المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. أخرجه البخاري بصياغة متقاربة.

٤٢ سورة الكهف - ٨٦

٤٣ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٤٤ كلمة "كز" في اللغة العربية تحمل معاني متعددة، منها: يبس وانقباض بسبب البرد، وقبح الوجه، وقلة الخير والمساعدة، والضيق، وإطباق الفكين بإحكام، والبخل.

٤٥ من الحديث الشريف: "إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم، وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم." رواه مسلم

٤٦ هذه الكلمات تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

(٦)

قائم وقيوم ومقيم
الإنسان
بسم الله الرحمن الرحيم
الحق المعروف، والحي الموصوف

حديث الجمعة

٢٩ ذو القعدة ١٣٨٦ هـ - ١٠ مارس ١٩٦٧ م

نعوذ بالله مفتقرين، فنستغفر الله صادقين، ونستعين بالله مجاهدين، فيتحقق لنا من الله عالمين، قيام بالله موقنين، فيقيمنا الله مباركين، أمرا لله عاملين، في أمره لنا غير مفرطين، ولأمره بنا كاسبين.

نقوم باسم الله الرحمن الرحيم، ونقيم بسم الله الرحمن الرحيم، من يفتقر إلى الله، ليكون باسم الله الرحمن الرحيم.

بها جاء النبيون، عليهم قامت، وبهم أقامت، حتى جاء البسملة، حتى جاء من كان، قائم وقيوم ومقيم، باسم الله الرحمن الرحيم. قام منها رسولا، وقام بها مرسلا، وأقامها في الناس، لا غيبة لها، ظهر لنا أمرا وسطا.. فكلما انشقت الأرض عنه، يوما للجزاء، رافع الرتب، انشقت السماء في الأفق الأعلى عنه يوما للعطاء شديد القوى تدلى إليه، ودنا منه، فقام به، وأقام منه، قاب قوسين أو أدنى.

فقام بذلك الدين على أساس من الفطرة، تتكشف للعلم بالحي والمشاهدة، ما كذب الفؤاد ما رأى، وما انفك الناس، يمارونه على ما يرى، هل صدقوه صدّيقين[1] صادقين، ولم يكشف لهم عنهم الغطاء، ليكونوا من المؤمنين، فيقومون به باسم الله الرحمن الرحيم، لها في أنفسهم مشاهدين، وبها عارفين، ولنور الله لهم منها ناشرين، هي قائمهم وما يقيمون، وقيومهم، وما يؤمنون، ومحيطهم وما يشهدون؟

بمحمدٍ، يدب على الأرض، بين دوابها، استحالت الدواب عليها، بشرا، وكسبت البشرية لأمرها مقاما، وسويت بما آل إليه ملأ سبقها إنسانية، وتهيأت لمآلها سدرة، ولأرضها جنة، نفخ به فيها من روحه، فسواها، وأقامها حقا بمعناها، وشرفها لمولاها.

به قائم نور الله، وأقباس نوره، عليه اجتمعت، وعنه انتشرت، وفي الأزمان تفرقت، وفي الأمكنة حلّت، فبها الأمكنة حييت، والهياكل خلدت عوالم وبشرية من أمم طبقات رفعت بأربابها إلى ربها حشرت، فقامت بظاهر به، بعثت من أمم في دول قطعت.

تفرقت، بعد الذي جاءها من العلم، فخرجت من وحدة جهلها، وتفرقت شعوبا وقبائل في قائم علمها، ثم توحدت برحمة ربها على معلومها، يوم تواصت بينها على عَلَمها لأعلامها، فتلاقت على معناها لقدسها، في قائم ربها، فشعرت بافتقارها، إلى مزيد لمعرفتها، وجديد لأبنيتها.

فرفعت طبقا بعد طبق، وردت طبقا بعد طبق، فزادت في افتقارها، وضلت في علمها، وجهلت مع قائم معلومها حتى آمنت بجهلها فتخلصت من جاهليتها، فاستعادت شرف وحدتها في جاهليتها بعلمها في وحدانيتها.

فقامت بشرف وحدتها، في قسط علمها، عنها، وجهلها بها، فدارت في دهر الوجود عصرها، وتوالت في الدهور عصورها، فاستكملت أبدها لنهايته، ببدء كان نهاية سابق بدئها، فقامت به طالبة لجديد انتهاء لجديد بدئها لتجديد بداياتها ونهاياتها، في معارج رقيها، بتخليها عما ملكت مما أنشأت، استشرافا، لنشأة أخرى تنشئها، لتملكها، وهي مالكتها، في رقي لا يتناهى، وسعة لا تحد، وتقادم بتعال، لا يتوقف، وتجدد يتدانى، لا ينقضي ولا يتخلف.

بهذا جاءكم دين الفطرة، لتستقيم في مطلق الله عقائدكم، لتستقيم عقائدكم على ذكره، مذكور وجودكم، موجود باطنكم، قيوم ظاهركم، ناموس فطرتكم، صبغة حقيقتكم، قلوبا وقوالب، قالب لقلب يأويه، وقلب لقالب يطويه ويحييه.

قوالب وقلوب، للباس من أمر يقوم بالله، قلوب لقوالب، وقوالب لقلوب، في لباس للباس، ولباس بلباس، لأمور الله، لسر الله، لهياكل الله، من سرادقات قدس النار، وجلابيب بالصلصال والفخار، إلى هياكل النور، إلى طاقات الروح لمعاني الإرادة، ذهابا إلى ما لا يدرك، وخروجا مما هو مدرك.

أمور تدرك تصدر عن أمور لا تدرك، عن القائم بالقيام الذي لا يجحد، عن واجب الوجود، للوجود عن الوجود لا يغيب، ولا يفتر، ولا يكفر، ولا يحاط، ولا يشارك، ولا يدانى، ولا يقارب. يداني في

دوام لا ينقطع عن الناس مداناته، بدناه، ولا ينقطع عن الناس قربه، بعلاه، ولا تنقطع عن الناس رحمته، برضاه.

هو للناس والناس له، لا يظلمهم وأنفسهم يظلمونه، يقدرهم وأنفسهم لا يقدرونه، ولا يغفلهم وأنفسهم يغفلونه، لا يعلمونه مؤمنين، ولا يجهلونه مكبرين، وهو في جهلهم عنهم منه، فهو المذكور في ذكرهم لهم، بجهلهم عنه بهم أو بجهلهم عنهم له، أقرب إليهم من حبل الوريد، لذلك خلقهم، ولنفسه طلبهم، وللقائه هيأهم وأعدهم.

وهو بالغ بهم أمره، مقيم فيهم رشده، فهو الرشيد في رشادهم، وهو الحكيم في حكمتهم.. وهو العليم في علمهم.. وهو القائم في قيامهم.. وهو الظاهر في ظهورهم.. وهو الباطن في بطونهم.. وهو المتكنز فيهم في غفلتهم عنهم.. وهو الله في ألوهيتهم.. وهو الرب في ربوبيتهم.. وهو العبد في عبوديتهم.. وهو الحق في حقيقتهم.

ما أحدث آدما جديدا فيه، بآدم فطرته، ولكنه أحدث في آدم فطرته، أوادم خليقته ظلالا لإنسان حقيقته لآدم فطرته، قائما على كل نفس، برحمته، وبمكنته، وبهدايته، ألهمها فجورها وتقواها، بحكمته، فعرفت التقوى بعيدة عن وصفها، في فجورها، عندها مفقودة، وعرفت الفجور، في حال تقواها لها موجودا فأحاطت بأمرها لها مشهودا.

ترددت، لوصفها، بين العبد والرب، متعلمة، وقامت فيهما لقائمها بهما، في قيامها لهما، مُشهرة معلّمة، بذلك، تواجد الأنبياء في آدم إنباءً عنه، وعلّم آدم الفطرة، أوادم خليقته، ربا لهم، وعلما على المعلوم عندهم في علمهم عن إعلامهم منهم، فكان رسول الإطلاق إليهم، وكانوا أسماء العطاء له.

علمه غيبه بهم، الأسماء كلها، وهو بموجوده لمعبوده في نفسه وروحه جمعها، فكان روح القدس لجماعها، وذات الوجود لاجتماعها.

ظهر الإنسان بمرسله رسولا، وقام إليه في الناس مرسلا، قدوة وعلما، حقا وكلما، كوثر حقه، وجماع حقيقته، لروح أمره، للأعظم من روحه، وللأقدس من ذاته.

قام الإنسان قائم الأقدس، لمن طلب القدس، موحدا، فغير ما في نفسه، لنفسه مُجَدِدا، ولنور الله، موجِّها، إلى بيته في القلوب مستقبلا متفتحا، له في جوارحه ناشرا، وبحبه وخشيته إلى قلبه موصلا، لظلام العقل ماحيا، وبنور العقل قائما، بين الحكمة والعاطفة مترددا، ولهما في إرادته جامعا، حقا قيوما قائما.

اتحد فيه، قلبه، ورأسه، لقائم ذاته وروحه، بمعناه لحبه ووعيه، بحكمته لإرادته، فعرف الله حقا قائما، أقرب إليه من حبل الوريد دائما، هو له، أبدا وأبدا وأبدا، جماع آباد لقائمها به ظاهرا، ظهورا لآزاله أزلا فأزلا، يسبح فيمن لا حد له، ويقوم بمن لا شريك له، يأتمر بما أمره به الأعلى فيه هو منه له، ويحمل مثالية الأمر للأدنى، أمرا وسطا بينهما، وأحدية أحديهما.

هذا هو دينكم الذي تنتسبون إليه، وشرفكم، الذي تحرصون أو لا تحرصون عليه، بين قائم بأمره، ومفرّط في أمره، جاءكم رسول الله، ومن بينكم لم يغِب وفيكم لكم حق قيامكم لم يحتجب، هو الحياة للمقابر، لقلوبكم منقبرة، حيا في قبر ذاته بشرا ظهرت وتظهر وتبقى بينكم كوثرا وخبرا.

فقد خرج من قبره فردا في اجتماعكم وجمعكم، قدوة لاقتدائكم رسولا من أنفسكم. ثم غاب عنكم بما ظهر بينكم، ليظهر بكوثره من أنفسكم، وليعلم بمخبره لقلوبكم وعقولكم، ليرى على حقيقته في أنفسكم، لتكشف به قيوما عليكم لقيامه بكم، أغطيتكم، قائما فيكم، يوم تغيرون به ما بأنفسكم، قدوة مرضية من الله لكم، وقياما مرضيا لله عندكم، به لا تغيبون الله، به تشهدونه يوم تقومونه، بشهادتكم لكم محمدا رسول الله، دخولا به في حصن الله، بلا إله إلا الله، ترتد إليكم أبصاركم، من حيرة في أمركم، مجاهدة وسعيا، لطلب الله لكم، لطلب الحق عندكم، في رحلة الشتاء والصيف، في رحلة البعد عنكم، سافلين عن الحق بكم، حتى ترتدوا من سفلكم، علوا وتعاليا إلى قائم الحق بكم، أمر وجودكم لأمره، قائمين بأمانة اسمه، وبتعبير كتابه ورسمه.

فأنتم تقومون وجوها هو من ورائها بإحاطته، لقائمه بها في شهادته، وجوه لوجوه، وجوه ناضرة بعبوديتها، لوجوه ظاهرة بربوبيتها، ولكن أأرباب مع الله؟ إنما هي في عبوديتها، كما هي في ربوبيتها، وجوه لله، الله من ورائهم بإحاطته فليتخذ بعضكم بعضا أربابا بالله، ولا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله، {وله المثل الأعلى في السماوات والأرض}[٢]. {إن الله كان عليما حكيما}[٣]. {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون}[٤].

وجوه، أظهرها بسلطانه، لأزمانه، ووجوه، أظهرها بعنوانه، لخدمة أكوانه، وجوه، في الخدمة، هي في الخدمة في النعمة، ووجوه في السلطان، هي في السلطان في الفتنة والبهتان أو في عبء التكليف والامتحان.

قام الرسول، قدوة، وعنوانا، لوجوه الرحمة، فوق الزمان وفوق المكان، ولوجوه الاستقامة، تحت الزمان وتحت المكان، لقائم رسالته، لأهل العنوان في عوالمهم، في عوالمهم بالأكوان، أو في عوالم أنفسهم للوجود بالعنوان، فراديس الإحسان وفراديس الجنان.

فتمت به لبشرية الأرض، نعمة المطلق، وكتاب الأعلى لنوعها، لسدرتها، سدرة، ظهرت لها فيها بها وصلتها، فكانت بوصلتها بسدرة منتهاها، قياما لعلميتها على قديم لها في مولاها.

بالحق رسولا شرفت، وبالحق عبدا حققت، وبالحق ربا انتظمت، وبالحق معلوما في الحق عرجت، فما في مستوى من مستويات المعرفة توقفت.

(إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة)[٥].. وإنما هي أغيان أنوار، حتى أدبني فأحسن تأديبي، (من رآني فقد رآني حقا) [٦].. وعرفني، أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فقد أظهرني الأعلى على الدين كله، وعلمني الأسماء كلها، مني بها تجلى عليّ فكنتها، وكنت ومن تابعني لعيني جماعها، ومع ذلك فليس لي منه ما هو أشرف من شرف العبد له. (أنا أقربكم إلى الله وأخوفكم منه)[٧].

حديثه التنزيل، وفعله الترتيل، وقيامه التحقيق، ومتابعته التوفيق، والاستماع إليه التفقيه، والترديد لمقالته التبشير والتبليغ، والامتداد بنوره التكاثر والتعديد، والامتداد بروحه التحقيق والتوحيد، والعمل بسنته فيه لشرعته الحياة والتجديد، {إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين}[٨]..

استوى الأعلى بروح الله، قاب قوسين أو أدنى، على عرش ذاته، فخرر عقله ملكا لإرادته حقا، فدعا جوارحه إلى بيت ربها، لقائم عقله قيوما عليها لتلقاه في قبلتها من قلبه، فكان وجودا في ذاته، عنون الوجود في مطلقه، بعين موجوده في صفاته، لكل من طلب التواجد بأمره لأمره.

فكانت رسالته، رسالة التوحيد خروجا من التعديد، وكانت سنته، رؤية آحاد الواحد، في قائم الأحد، استقبلته وتستقبله القلوب، مفتقرة، لحب الله، عاشقة، لاسم الله، واستقبلته وتستقبله العقول مستشرفة لنور الله، ولحكمة الله، ولعلم الله، ولتقدير الله، ولإكبار الله، ولتنزيه الله، فكان للبشرية كامل العناية، وقائم ودائم الرعاية، وقريب ومنشود الولاية، والمبشر والمسعد بالكفاية.

كانت فيه به له، الساعة والقيامة، والحشر والسلامة، والحساب والندامة، لم يغيب عنا شيئا، ولم يغب به عنا في الله شيء، يوم أنّا له، ويوم هو لنا.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم يا من أشهدتنا بمحمد، آدم خليقة، علما على آدم فطرة وحقيقة في قائم فطرتك، لحقيقتك جعلته معلّما بكوثره لأوادم خليقتك، في آدم فطرتك، رسولا منك، فطرة الحياة وفطرة الوجود، لقائم العلم وقائم الشهود، فأقمت به، بالنبيين من قبله، المقامات والأحوال، للقلوب والقوالب، للنفوس والعقول، للروح والبنيان، وجددتها من بعده مبعوثة، ببداياتها في معانيها، في أمته، لتستكمل فيه مغانيها، ولتجمع

فيه مبانيها، ولتعرف من والاها منك، ومن هو مواليها، فشهدناه في النبيين من قبله، مبعوثين في الوليين من بعده، قائم نبوته في الأنبياء، وقائم ولايته بالأولياء.

كوثر عباد الرحمن لطالبيه، وأحواض ماء الحياة لواردیه، وأقباس نور الله، لمصابيح الصدور، بالقلوب في مشكاتها من ظلام القبور جعلت له نورك، يمشي به في الناس، فكان روح الخدمة، وروح الحياة ووجه ربوبيتك، ومشرّف طلعتك، ويد نجدتك وقدم سعيك.

اللهم به فألحقنا ظلالا له، وعبادا لك، ولا تحرمنا طلعته حقا منك، ربا في النفوس يذكر، وبالعقول يشكر، ربا لقلوب يعشق، وبالنفوس يفدى.

اللهم وقد جعلت ذلك كله فيه، وجعلته به منك لنا، اللهم فلا تحرمنا.

اللهم به فتولَنا، اللهم به فقوم سعينا، اللهم به فأنر طريقنا.

اللهم به فحرر أرواحنا، اللهم به فأحيِ قلوبنا.

اللهم به فزكِّ جوارحنا، وحرر أقدامنا، وامنح القوة لأيدينا، وامنح الحدة لأبصارنا، وامنح السمع لآذاننا، واحلُل العقدة من لساننا.

اللهم به فأنطقنا الصواب والدعاء المجاب، اللهم اجعل به لنا إرادة، هي إرادتك، واجعل بنا له سعادة، هي وصلتك.

اللهم أشهدناه بك، محمدا رسول الله، اللهم أشهدناك به، لا إله إلا الله.

اللهم، بشهادتنا لكما، في قيامنا بكما، قوّم أمورنا، وأصلح أحوالنا، وولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، ردّا لأعمالنا، وعاملنا برحمتك وعفوك.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ تم وضع بعض علامات التشكيل في هذا الحديث والأحاديث التالية وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٢ سورة الروم -٢٧

٣ سورة النساء - ١١

٤ سورة النحل - ١٢٨

٥ حديث شريف: "إنه ليغان على قلبي وإني أستغفر الله في اليوم سبعين مرة." أخرجه مسلم وأحمد وابن حبان." وجاء في الصحيحين، وسنن أبو داود بصيغة "إنه ليغان على قلبي وإني أستغفر الله في اليوم مائة مرة".

٦ حديث شريف: مَن رآني فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآني في المَنامِ فقَدْ رآني، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٧ إشارة إلى أكثر من حديث شريف منها: "إنَّ أتْقَاكُمْ وأَعْلَمَكُمْ باللَّهِ أنَا." صحيح البخاري. أيضا "... ما بَالُ أقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أصْنَعُهُ؟! فَوَاللَّهِ إنِّي لَأَعْلَمُهُمْ باللَّهِ، وأَشَدُّهُمْ له خَشْيَةً." أخرجه البخاري ومسلم.

٨ سورة التكوير ١٩:٢٠

(٧)

قيوم القدوة لقيام المقتدي
هو إنسان القلب لإنسان القالب له، في إنسان الإرادة لهما
هو الطريق إلى المقصود، وهو الحق للموجود
تعرفه وتقدمه القلوب، وتشهده وتعرفه العقول

حديث الجمعة

٦ ذو الحجة ١٣٨٦ هـ - ١٧ مارس ١٩٦٧ م

أشهد أن لا إله إلا الله، شهادة أسأل الله أن يجعلها لنا قياما ويقينا. وأشهد أن محمدا رسول الله، شهادة أسأل الله أن يجعلها لنا قياما ودينا.

أشهد أن المؤمن مرآة للمؤمن.

وأشهد أن الإيمان قيام بمؤمن مع مؤمن.

أشهد أنه في اجتماع القلوب معرفته، وفي تحرر العقول طريقه، وفي استقامة النفوس على أمره، خَلْقِيته لخَلِيقته.

يخلقون أنفسهم بأنفسهم، بأمانة قيامه، بقائم الحياة لهم، في الحي القيوم عليهم، بالحي القيوم منهم، لا شريك له من أنفسهم، ولا من عقولهم، ولا من أرواحهم.

وإنه لا ظاهر له في عظمة قيامه وسعته، إلا بظهورهم بلطيف، لقائمهم بكثيفه، ولا شهود له فيه إلا في شهودهم أنفسهم منه، ولا شهود لهم، هم له في أنفسهم، إلا باتحادهم.. إلا بتوادهم.. إلا بتجمعهم، إلا باجتماعهم على ذكره، واستقامتهم على أمره اجتماعا على قائم ظلال الرسول بينهم لذكره وأمره. المؤمنون أعضاء جسد واحد لاسمه الحي القيوم من اسمه الحي القائم.

حول ذلك يتجول الفكر ويعمل العقل لإدراك وحدانيته قائمة، بإقامة وحدانيته مدركة. بذلك يقوم دين الفطرة، وتستقيم الفطرة، وتُشهَد[1] الفطرة، فطرة الله لإنسان السماوات والأرض هو إنسان صبغته، لقائمه بكائناته، بقيومه لقائمها، واحدا في أكبر لآحاده، وأحدًا في واحديته، باجتماع الإنسان الرشيد على إنسانيته، وباجتماع الإنسانية الرشيدة على إنسانها، يقوم الجمع له فيه عنوانا على فرده، ويقوم الفرد قياما لجمعه، فتُعلَم لا إله إلا الله، وتُشهَد لا إله إلا الله، ويُذكر الله بذكر لا إله إلا الله، يوم يقوم قائمٌ بها، إنسان الله ومحمدا رسول الله، ويقوم جمعٌ بها، قياما لفرده أمة محمد رسول الله، وعالما رشيدا.

محمد رسول الله والذين معه، لهم من الله كفايتهم بكفايته، وفيهم لله حقيقتهم لحقيقته، عَلَمًا على الأعلى من غيب إنسان رشاده، وإنسانيته في رشادها، ظاهرا لباطن أمة من الشهداء على الناس، الرسول عليهم شهيد.

أمة عنونت ما خلت منهم الأرض من أمم، من قبل، بالحق، وما ينشأ عليها من بعد من أمم لموصوف الخلق، أمة وسطا بدخول الأمم في عهدها، إليها من الأعلى من الله لهما، دخول في ميثاق النبيين والحكماء، والعارفين، والأولياء، والمتولين، والقيمة، والمقامين. الكل يرجعون إلى الله، في أنفسهم، قيام الدين، في قائم الدين، وقيام اليقين، في قائم اليقين، الأعلى والأدنى في الله ولله لأمر وسط في ركب متحد مرتقٍ في الله بالله إلى الله في معراج لا ينتهي منتهى إلى معرفة الله له فيه.

إن فعلوا.. إن استقاموا.. إن اجتمعوا على ذكره.. إن تواصوا بالحق في أمره.. استقام أمرهم، وسكنت سريرتهم، وبعث سرهم، فقام أمرهم، وعلا بالله شأنهم، وتعالوا إلى الله، لا يجذ عطاؤهم، ولا يختفي أمرهم، ولا ينقطع ذكرهم، ولا يمحى شأنهم، ولا يتوقف عن التواجد بموجود الحق لهم بعثهم بحقهم، في جديدهم بخلقهم، من صنعهم، أثرا لهم، في ثابت أمرهم.

إن كانوا كذلك سعدوا بذلك، وهل تصلح الدنيا، لدناها، إذا لم تصلح لها فيها آخرتها لمعناها؟ {وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع}[2].

إن الدنيا في الآخرة، وليست الآخرة في الدنيا، إن الدنيا سعة، يوم يدخل من يدخل من أهلها، في سعة الآخرة. وإن الدنيا ضيق وسجن، وسجين بذوات أهلها لأرواحهم فيهم، سجينة ذواتهم، حبيسة نفوسهم، مقيدة عقولهم.

لا يتحررون من سجينهم، ذاتا ولا نفسا شهوانية، ولا عقلا مقيدا، إلا بانطلاق أرواحهم، سبحا في دارهم عرضها السماوات والأرض.

يتحررون من قيد ذواتهم دنيا عنها يزحزحون، خروجا من دورهم ومن سجين نفوسهم أحرارا يخرجون وينطلقون، ومن سجون عقولهم مقيدة يتحررون، ويتفكرون، وفي خلق السماوات والأرض يتأملون.

فبتأملهم يتخلقون ويتواجدون، ولخلق أنفسهم يشهدون، بأمانة الله لهم قائمة يدركون فيقومون، ويستيقظون، فيُبعثون، وطائرَهم بطينتهم، باسم الله لهم، فيه ينفخون فيحيون، فيطيرون فيدركون، ففي ملكوت الله بين جوانحهم ينظرون، وفي محيط الله بهم واسعا، يسبحون، فسماوات الله لأنفسهم يجتازون، وفوق السماوات والأرض يصعدون وعنها ينزلون، بلا إله إلا الله يذكرون وبمحمد رسول الله يقومون.

تعالى الله عندهم، عن وصف الواصفين، وخيال المتخيلين، وتنزه الله لهم، أن يفترق عن موجودهم بوجوده به موجودين، أسماء له يقومون، ووجوها له يظهرون، الله من ورائهم بإحاطته على ما يعلمون، يوم أحاطهم بعلم عنه، في معلومهم عنهم له، فَعَلِموهم، إليه منسوبين، وبه موجودين.

بذلك جاء الدين، والناس عن الدين بينهم يجادلون، وبجدلهم بعيدا عن ميدان الحق يختصمون، فعن الحق في أنفسهم مع الزمان، يقطعهم لا يقطعون وعن الحق في معيتهم يبتعدون، وعن الحق لهم ينأون، وبالحق بهم يكفرون، ولله يجحدون، بصلاة من أوهامهم يصنعون ويؤدون، لها يقيمون، وغاية الصلاة شرعت لهم لا يطلبون، وحكمتها لا يدركون، وأثرها لهم لا يحققون، وآدابها بها لا يتأدبون.

إن الله غني عن العالمين، ولكنهم هم بالغناء لأنفسهم بأنفسهم منها يقومون، وهم إليه معيتهم بالحياة المفتقرون، ولكنهم لا يفتقرون، وافتقارهم لا يدركون، ما كانت صلاتهم إلا لهم، يوم أنهم يؤدونها محسنين، ويقيمونها مدركين.

ما فرضها عليهم إلا لخيرهم، يوم أنهم للذكر الحي، يرددون، وبالذكر بينهم يهتدون، وبالذكر لمحبتهم يتواصون، وإلى الذكر في قبلتهم يتعارفون، ذكرا بينهم فيهم بإنسان قيامهم لجمعهم من أنفسهم يشهدون، وبه يتصلون، وله به يقومون، ذكرا لله يصلون. أظهره الله لهم بينهم، وهم له يتجاهلون، وأخفاه بينهم بعيدا عن مقام عبادتهم لكراسي السلطان لها يسجدون، وحولها يطوفون، ولها يخضعون.

وسلطان الله لهم في أنفسهم لا يدركون، وسلطان الله في المادة ينظرون ويؤمنون، وهو قد فتنهم به عن أنفسهم وهم بما فتنهم لا يكفرون، والرحمن بينهم، في تواضعه لهم وجوها له، عبادا على الأرض هونا يمشون، بالله يُذكِّرون، وعن الله يتحدثون، وعلى الله يجمعون[٣]، وبنور الله في الناس يسرون، ولهم يُحيون، والعقول ينيرون، والأرواح يطلقون ويحررون، والنفوس يُزكّون[٤]ويُشعلون.. هم عنهم غافلون، بل

وعنهم يصدون. عامة الناس عنهم شموس الحياة لهم في غفلة عنهم وإليهم لا يتجهون، وعنهم لا يبحثون، وفي أنفسهم يعمهون.

إن الظلام قد بلغ بأرضكم مداه، وظهرت أرضكم بظلامها بكل معناه، فلا روحا يذكرون، ولا نفسا يخاصمون، ولا عقلا يحررون، ومع ذلك، فهم المصلحون الصالحون.. هم الرواد المقيمون.. هم القيمة يظهرون عن القيم الروحية يتحدثون، وبكل جهل يذكرون.. (ما فائدة الروح؟ ماذا نفيد من اتصالنا بعالم الموتى؟ وما فائدة الاتصال بعالم الروح، إن صح أن هناك اتصالا بعالم الروح؟ إنا لا نؤمن أن يكون هناك اتصال بعالم الروح!!! وأن الحياة ممتدة بعد قائمنا بها، يوم نفقد قيامنا لنا!!)

(يقوم الروح لرب العالمين)[٥]، يوم يقصر الداعون، ويعوج المعرفون، وينحرف الأئمة المجتهدون، ويظهر على الناس بطغيانهم المقيمون لأنفسهم، فعلى الناس بطغيانهم، وعلى الجمع لهم يطغون. يومئذ يقوم الروح لرب العالمين.. وها هو الروح في عصركم هذا يقوم لرب العالمين، تجديدا للأمر وتجديدا للدين.

لا يقوم الروح طاغيا مع الطاغين، ولا ماديا مع الماديين، ولا مظلما مع المظلمين ولا ظالما مع الظالمين. ولكن الروح، جاء لخدمة المظلمين وإنصاف المظلومين.. جاء لتقويم الظالمين.. جاء لسد الفراغ عند المفتقرين، بنفوسهم فاقرين، وفي أمرهم حائرين، ولله واجب الوجود لوجودهم طالبين، وإلى أعلامه ساعين، للعلم متعطشين، وفي الحق للحق راغبين، وللحياة، ولطلب الحياة، ولقائم الحياة، ولقائم ولقيوم الحياة، ولمستقيم الحياة مفتقرين، وللمزيد من الحياة مقدرين وراغبين.

يتحدثون عن الفضيلة للإنسان! وكيف تقوم الفضيلة، ولا وازع من دين!! يطلبون إلى الناس البعد عن الرذيلة، وكيف يبتعد الإنسان عن الرذيلة وهي فطرته، وهو جاهل الفضيلة، وأثر الفضيلة، وخير الفضيلة بجبلته!! (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الرب)[٦].. (حسب ابن آدم من الطعام لقيمات يقمن بها صلبه)[٧]. (إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد، وإن جلاؤها لذكر الله)[٨].

إن الذين يؤمنون بالله وبرسول الله، وبأنفسهم من الله ورسوله، {يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة}[٩]. إن الذين يقدرون لأنفسهم معنى الإنسان، ليسوا في حاجة لسياط القانون، لسياط الجزاء، لسياط العقاب. إن الذين يعرفون معنى الإيمان، يقيمون العدل، هم تحت ضمائرهم بسلطان ضمائرهم، لا يحتاجون إلى رقيب، لا يحتاجون إلى أجهزة للتنقيب عن سوءاتهم، إنهم يعرفون سوءاتهم، ويجافونها، ويطلبون حقيقتهم ويعشقونها. إن الذين يؤثرون على أنفسهم، لا يؤثرون على أنفسهم بترك

حقوقهم للأغنياء، فهذا ليس إيثارا ولكنه الضعف والهزيمة. ولكن المؤثر من يؤثر بما يملك فعلا وإلى من يراه أحوج منه لما في يده.

إن الإنسان يوم يكون إنسانا جعل الله فيه كفايته الذاتية لكل فضيلة، وجعل فيه أجهزته الحكيمة للبعد عن كل رذيلة. هل تواصى الإنسان بإنسانه مع أخيه الإنسان، ولم يجد الله في عونه، بالإحسان وبالبيان، وبالوصلة للعيان؟ هذا ما تقيمه الروح ورسالة الروح وتقدمه ميسرا للإنسان عبدا لله، وربا للعالمين.

فهل هذا أمر يسير أم هو أمر خطير؟ هل الناس في غنيةٍ عن كشف هذه الحقيقة لأنفسهم؟ وهي إن تكشفت لهم، كان فيها الوازع والحافز، وكان فيها الرقيب العتيد، وكان فيها الحافظ الرشيد، وكان فيها البأس الشديد.

كان فيها المعلم في معية كل متعلم، وكان فيها الجمال من وراء كل جميل، وكان فيها المثال لمن يطلب المثال، في كل مثيل، في كل أمة، وفي كل مكان، وفي كل عصر، وفي كل جيل، من مثل الخير للمتابعة، ومن مثل الشر للمجانبة.

كافة للناس كلما أبرزها، ورحمة للناس كلما كثّرها، فظهر للناس كوثرها، وظهر أحده بكوثره، لواحدية أعلامه علم الحق في إعلامه، العروة الوثقى في قيامه، والأمر الوسط في علمه وسلامه، برباط الحب وحياة القلب، وإشراق العقل ودوام الأمر. أما أحد الظلام لواحده بجنوده، ففي تشتيت، بعيدا عن التوحيد، وفي توقيت بعيدا عن التجديد، لا يلبث وجنوده أن يزولوا عن الوجود، فلا أثر لهم، ولا ذكرى بهم في الشهود.

المقصود وجه الله.. إنسان الله.. عبد الله.. حق الله.. وجه الله لوجوه الله.. اسم الله لأسماء الله.. حق الله لحقائق الله.. إنسان الله لإنسانية الله.. كلمة الله لكلمات الله.

يا أيها الناس، لِــمَ يكون ذلك حالكم في دوام؟ أليس فيكم من رجل رشيد، تعرفونه، وتلاقونه، فيمتد فيكم رشاده؟ جعل الله له نورا يمشي به في الناس، فيه الكفاية لأهل الأرض جميعا.. لو عرفوه.. لو صاحبوه.. لو رافقوه.. لو آمنوه.. لو ائتمنوه.. لو إليه في أنفسهم سعوه، لوجدوه، فما حرموه، الأرض له مزوية، والدنيا فيه مطوية، والآخرة به قائمة دنية.

إن الناس، بطرفهم من القديم، وبطرفهم من القائم، ولمفرداتهم من القادم، خُلقوا من نفس واحدة، خُلِقَ منها زوجها، وبث منهما رجالا ونساء كثيرين، لمعنى قائم البيت الموضوع، وللبيت المرفوع لمعنى

أزواجا خلقكم، ومن فضله بناموسه أن جعل كل فرد منكم، نفسا واحدة، يتخلق منها زوجها وولدها، من بناتها وبنيها، فيتكاثر كوثرا، على مثال من فرد أصلها لأمها وأبيها.

وإنكم في قائمكم على ما أنتم، منتهون إلى أب واحد وأم واحد وروح واحد، وإنسان واحد، يريدكم، ويريد كلا منكم لوصف الابن له، ويحب أن تصيروا إلى مثاله والعين له، أن تصيروا إلى معناه، أن تصيروا إلى حاله، أن تصيروا إلى قائمه وقيومه لتعرفوه لكم في أنفسكم بحاله ومثاله، يوم تكونون بدوركم آباء.

يتحقق لكم ذلك يوم أنكم بتكاثركم لكم في قائمكم لمعانيكم رفعتم لحال الآباء، والآباء لهم، والآباء لآباء لهم، إلى أحد أبيكم وفرده في حالكم لعين حاله، طبقا بعد طبق ترفعون، ففي أنفسكم إليه ترجعون، وهو ما تَجهلون من أمركم، على ما أنتم به اليوم قائمون، ولا تعرفونه، إلا يوم تكشف عنكم أغطيتكم بما تقومونه بواقع من فعل أيديكم، ومن قائم أنفسكم، ومن هدي عقولكم، ومن انطلاق أرواحكم. {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى}[10] {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}[11].. {علمت نفس ما قدمت وأخرت}[12] هو الناموس أنتم له، وهو القانون أنتم تحته، وهو الوجود أنتم منه.

إن الروح يقوم في هذا العصر لرب العالمين، وما كان رب العالمين إلا إنسان نشأتكم، لقائم جبلتكم، فكيف نكون في غنية عن رسالة الروح تقوم بيننا؟ وما كانت رسالة الأنبياء إلا فرعا عنها، وبعضا منها. وما كانت رسالة الحكماء إلا قياما بها وفطرة لها، وما كانت حقيقة الأولياء إلا وجوها لها وقياما بها، وما كان عباد الرحمن على الأرض الا سعيا منها، وتجسدا بها.

إنكم على الأرض بهذه البشرية قدم الإنسان، والإنسان في ذاته لذاته يحرص على قدمه، عين حرصه على رأسه، أنتم بقوالبكم مطايا الله، أنتم في الأرض بماديكم شعرات في قيامها، وهي تقوم قلبا، لقائمها في إنسان وجودها، استوى بسلطان إرادته على العرش لعنوانه، لوجهه لقائم رأسه، للملأ الأعلى، تحمله عمده، من حقائقه على كراسيها من جوارحه، لقائم الدنا بماديها، وما يقابلها بلطيفها.

تسبح في عمد عرشه، جنانا لملكه، في كبير ممالكه، بعوالمه لمثالية الأعلى بأعلامه، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، يعز ويذل، يرفع ويخفض، يمحو ويبقي، يخلق ويخلق ويخلق، ويجدد ويجدد، خلقا من خلق، وخلقا لخلق، ثم يحقق ويحقق ويحقق، بحق قيوم خلق، وبحق من قيوم حق، في معراج لا يتناهى، وفي إبداع لا يتعطل.

إذا عرف الإنسان ذلك لنفسه، وشهده في قيامه لحسه، فكان كتابه لعِلمه، وقيامه لمجاهدته، ومجاهدته[13] لرسالته، ورسالته لنفسه، ونفسه لحقه، وحقه لقيومه، وقيومه لربه، في الله، بالله، للا إله إلا الله، لرفيق

أعلى، قام بقائمه، قائم محمد رسول الله، شهده لنفسه، وآمنه لسكينته، واستزاده لعلمه، وسار خلفه لحقه، طلبا لربه الأعلى وإقامة[١٤] لأمره، فاستقام له فيه سره وجهره.

فاستقامت به جماعته، واستقامت بجماعته جماعاتها، فسقطت الحواجز بين الشعوب والأمم، وسقطت الحدود بين الأراضي والدول، وقامت البشرية بحقها إنسانية واحدة، وقامت الأرض ملكا واحدا، وقام عليه الإنسان سيدا، وعرفه في الوجود خليفة، وللشهود طلعة.

فاجتمع غيب الإنسان على شهادة الإنسان، دينا[١٥] ودنيا، وروحا وروحا، وإنسانا وإنسانا، إنسانية وإنسانية، فاستقامت الحوافز، وقامت الزواجر[١٦]، وانتظم الأمر بين الكبير والصغير، وبين الصغير والكبير...

واستقام الحاكم في خدمة المحكوم ناصحا صادقا، واستقام المَحكوم في النصح للحاكم، دفاعا عن الصادق، ومخاصمة للظالم.

لا طبقية، ولا غيرية، ولا فرقة، ولكنها المحبة والألفة، جمعت القلوب، فغفرت الذنوب، وكفرت النفس عن الخطيئة، وأظهرت وكشفت عن مجسد الرذيلة، وقامت وأقامت، قائم الحقيقة، فكان الفرد معبود الجمع، وكان الجمع معبود الفرد، وكان المعبود للعابد عبدا، وكان العابد للمعبود ربا، بلا إله إلا الله للجميع وبمحمد رسول الله للجميع.

فآمنا بالإنسان، ربا للإنسان، وآمنا بالله ربا، للرب والمربوب، من ورائهم بإحاطته، قائما عليهم برعايته، آخذا بنواصيهم إلى حضرته، فقلنا {غفرانك ربنا وإليك المصير}[١٧]، فاستقامت الطريق، وانكشف العدو والصديق.

كان الإيمان بالإنسان لنا دينا، وكان الإنسان للرحمة من الله به إلينا رسولا ويقينا، نارت به قلوبنا من ظلامها، وأشعلت مصابيح الحق بسرجها، في مشكاتها من صدورنا، فعرفنا الرب في القلب، وعرفنا العبد للقالب، عرفنا الجلود وما حوت، عرفنا المادة وما احتوت، وعرفنا الحياة فحيينا، وبها بعثنا فروينا، وبالحياة قمنا لمعانينا.

فأدركنا ما تكون القيامة، وما يكون البعث، وقمنا ما يكون الحشر، فتجمعنا على ذكره، ورفعنا أعلام وحدانيته، وسعدنا وجوه شهادته، وأسعدنا من شهدناه، وجها لنا ووجها له، فعرفنا الأعلى للأدنى، وعرفنا الأدنى من الأدنى، لعين الأعلى من الأعلى، فرفعنا أعلامنا ناطقة، ومعارفنا صادقة، ونصائحنا يقينية محققة، وريادتنا فاعلة قادرة، فأعلمنانا للوجود وللشهود، لا إله إلا الله محمد رسول الله، بها قمنا، وبها شرفنا كلمات لله.

اللهم بها فأقمنا وبنا فأقمها، شرف الفطرة، وشرف الإنسان، اللهم بها فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، اللهم بها فادفع البلاء عنا، وأظهر الحق لنا بيننا منا، وللباطل أنفسنا فدرّكنا وجنبنا حتى يستقيم فيك أمرنا، وحتى تبعث بك أعلامنا، وحتى يظهر بنا شرف آبائنا بها، قيام عنوانهم بهم، أمة وسطا، شهداء على الناس، الرسول عليهم شهيد.

يجددون الحق، في جديد الخلق، بالرجوع بحقهم الجديد، إلى حقهم القديم، على حاله، وعلى مثاله، يتجددون، ويقامون، ويقومون محمدا رسول الله، والذين معه، أشداء على الكفار، حتى ينتهي الكفر، رحماء بينهم، حتى ينقطع الفجر، ليالي الله، لصباح الله، لضحى الله، لظهيرة الله، لآصال الله، قام بيننا بها رسول الله، جديد قديمه، وأصل قادمه، لقائمنا به، في الله ورسوله.

ما غابت يوما رسالته، ولن تغيب يوما طلعته، قائم قيامته، لا تنقطع قيامته، كوثر الحياة، جديدها وقديمها، خلقها وحقها، كافة للناس جعله الله رحمة مهداة.

ألسنا من الناس؟ ألسنا من كافة الناس؟ ألا تنبه الناس أن يكونوا من الناس؟ هل نحن بحالنا ناس؟ إنا ما زلنا من نبات الأرض، قامت بنا أمانة الله لنكون من الناس، لنكون الناس، لأن نكون ناسا لإنسان، لأن نكون إنسانية للرحمن، لنكون رحامين للديان، لنكون ديانين للقيوم القائم بالإحسان، ربا للعالمين...

يوم أنّا لعوالمنا نقوم، وبه لها نقيم، كل منا في فردوس وجوده، وعلم شهوده، في إنسان موجوده، لا يستكبر على أخيه، يوم أنه لم يحقق لنفسه معانيه، بل يدخل فيه، رحم رحمة الله، حتى ينمو بنور الله، حتى يكمل بروح الله، حتى يتواجد في إنسان الله، فيلده إنسان الله في الوجود وجودا، وفي الأكوان كونا، وفي الإنسانية إنسانا، وفي الحقائق حقا، فيقوم ويقيم لا إله إلا الله، محمدا رسول الله.

اللهم بها فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، اللهم بها فادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ تم وضع بعض علامات التشكيل وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٢ سورة الرعد - ٢٦

٣ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٤ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع.

٥ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.

٦ إنجيل متى: ٤: ٤

٧ من حديث شريف: "ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه. (رواه الترمذي)

٨ معنى هذا الحديث الشريف جاء بأكثر من صيغة: " إنَّ هذه القلوبَ تصدأ كما يصدأ الحديدُ، قيل: يا رسولَ اللهِ فما جلاؤُها؟ قال: قراءةُ القرآنِ." أخرجه ابن عدي في ((الكامل في الضعفاء))، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء))، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) باختلاف يسير. و "إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء، قيل: يا رسول الله وما جلاؤها؟ قال: كثرة ذكر الموت، وتلاوة القرآن. أخرجه الخرائطي في ((اعتلال القلوب))، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)). كما أخرجه البيهقي، والطبراني، والديلمي، بلفظ: "إن للقلوب صدأ كصدأ النحاس وجلاؤها الاستغفار.".

٩ سورة الحشر - ٩

١٠ سورة النجم - ٣٩

١١ سورة الزلزلة - ٧-٨

١٢ سورة الانفطار - ٥

١٣ هذه الكلمة تمت إضافتها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع

١٤ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

١٥ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع.

١٦ كلمة "زواجر" في اللغة العربية تعني المنهيات أو الأشياء التي تنهى عن فعل معين أو تبعد عنه. [١، ٢] وهي جمع لكلمة "زاجر" التي تعني المانع أو الرادع.

١٧ سورة البقرة - ٢٨٥

(٨)

لا جديد في الحق
ولا جديد تحت الشمس
دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة

حديث الجمعة

١٣ ذو الحجة ١٣٨٦ هـ - ٢٤ مارس ١٩٦٧ م

وقف أبا للأنبياء مرة أخرى أمام الباب، وأمسك بحلقاته، وناجى رب البيت.

عبيدك يحمون دورهم، ويقفون دونها، مجاهدين في حماية لها ولمن بها مستشهدين، على ما هديتهم وأعنتهم، فقف أنت بعظمة قدرتك دون دارك، عنها مدافعا، ولها حاميا، ولمن كان لجوارك من عبادك راعيا.

رزقتنا الإيمان بك، وأسكنتنا حول بيتك، وأخذت بنواصينا إلى الخير، رحلة الشتاء والصيف، فأطعمتنا من جوع، وبوادٍ غير ذي زرع آمنتنا من خوف، وفي دارك من أرضك أسريتنا، ولجوارك آويتنا وحميتنا، ودفعت عنا فأمِنا، وفيك مسحتنا فعرفنا، فجعلت منا مسحاءك فعملنا، وأخرجت منا كلماتك فعلمنا وعلّمنا، ووعدتنا بروح قدسك فانتظرنا وصبرنا، وبالرضاء بالقضاء للبلاء استقبلنا، وفيه تأملنا، وها هو عبد من عبادك يطغى على إخوته، داجلا باسمك، دجالا في رسمك، واهما دينا، عابثا بدينك، مفرطا في أمره ملتويا بأمرك، اللهم عنا فادفع، وإنك بالغ أمرك، لمن اصطفيت لأمرك، ولمن أعددت لجهرك وسرك.

فلبى نداءه، وأجاب رجاءه، فأقام جزاءه، فعرف الناس، وآمن الناس، من يكون رب الناس، فنطقوا بما نطق، ورددوا ما أنطق، فقالوا بسم الله الرحمن الرحيم، بما نطق الله به من رسوله مخاطبا عبده ورسوله. وهل عرف الناس إلا عبده ورسوله؟ وهل يعرف الناس إلا عبده ورسوله؟ وهل يقوم الناس إلا عبده ورسوله؟ وهل يقوم عليهم إلا عبده ورسوله؟ فقال وقد قضي الأمر {ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل

فجعلهم كعصف مأكول}[1]، اعتزوا بصحبة الفيل وتركوا التنزيل، اعتزوا بأجسامهم ووقفوا مع ماديهم، نسوا معيتهم لهم من ربهم، نسوا الله فأنساهم أنفسهم.

صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، {لمن الملك اليوم، لله، الواحد القهار}[2]، صدق الله العظيم، عند من صدّقه، وظهر الله الرحيم، عند من استرحمه، وعزّ القوي العزيز، وبلغ أمره، على من في الناس له ظلمه[3]، فظلم نفسه، لا جديد في الحق، ولا جديد تحت الشمس، ما أشبه الليلة بالبارحة.

هكذا وقف الجد، من محدث الذكر، لقديم الذكر بمحدثه في الحق، عَلما على قديمه لقديم الذكر في الحق. وهكذا يقوم الروح دوما لرب العالمين بين سفور بأمره يوما، وخفاء به يوما، يؤمن الناس به قياما له، ويكفرون به تخليا عنه، جماعات من الناس في الزمان الواحد والأزمان المتعاقبة، قوما وقوما، فريق للجنة وفريق للسعير.

أما الإبل فلصاحبها، وأما دور الخلق فلساكنيها، بما فيها، أما دار الحق فللحق، يأوي إليها ويحميها، لا.. لن يعبث عابث بها، ولن يهزم مقيم فيها.

هكذا كان، وهكذا هو كائن، وهكذا يكون كلما يكون، كلما يكون هناك سفور بالحق، لهداية الخلق، في قائم الخلق بالحق، لا انقطاع للخلق، ولا تعطل للحق، في تحقيق الخلق، بقائم الحق، ولا نصرة للخلق على الحق، إلا في مظهر فتنة بموقوت في موقوت، أمام حق قائم مشهود في دائم تواجد ووجود.

قام الرسول، بينهم، روحا، تمثل لهم بشرًا سويًا، ورسولا من أنفسهم، قدوة لكافتهم، يكونونه، ويكسبونه، يوم يشهدونهم محمدا رسول الله، إيمانا بمحمد رسول الله.

يسري فيهم نور الله معه، ويمتد إلى قلوبهم نور الله به، فيغيرون ما بأنفسهم، من قائمها بظلامها، لشيطان وجودها، يجري منها بفطرتها مجرى الدم إلى شيئها لكائنها نورا وروحا واسما، وكلمة لله يوم تغير فطرتها بالظلام، إلى فاطرها بنوره مع ظلال رسوله.

فيمتد الرسول روحا من أمره إلى قلوبهم، يوم تتفتح للنور صدورهم، ويوم تتفتح لشهوده أعينهم، ولسماعه آذانهم، ويوم تتهيأ لاستقباله قلوبهم، فيه يحيون، وبه يبعثون.

يبعثون وجوها لمن كان هو له وجه، ووجودا لمن كان هو له وجود، وحقا لمن كان هو له حق، ظهورا لمن كان هو له ظهور، وبقاء لمن كان هو له بقاء، فناء عنهم، على ما فني هو عنه، من نبات الأرض، ومن توقيت الوقت، إلى موجود في مطلق الله، بدوام في دوام الله.

أمر لله قام به، ويقوم للناس به فيه، ليقيموا فيمن قام هو فيه، وليقوموا بمن قام هو به ليكون هو لهم رفيقا أعلى، وربا لهم حتى يتحقق به لهم عبوديتهم لربه على ما هو له كوثرا به.

دعاهم الرب لربه.. دعاهم الرسول إلى الرسول إليه.. دعاهم الحق إلى حقيقته.. دعاهم العليّ إلى من يعلوه.. دعاهم موجودهم إلى من أوجده.. دعاهم لرحمتهم ولخيرهم من الله في معيتهم.

دعاهم العابد إلى من يعبد.. دعاهم الموجود إلى من له أوجد.. دعاهم العلم إلى من علمه.. دعاهم المعلم إلى معلمه.. دعاهم الحق إلى محققه.. دعاهم الله إلى الأكبر لله.. دعاهم اسم الله إلى المتسمي باسم الله.. دعاهم النور إلى مصدر النور.. دعاهم الحياة إلى مصدر الحياة.. دعاهم الحي القيوم إلى من أحياه وقومه، وعليهم بالحياة أقامه.

دعاهم السلام إلى من سلّمه، فأسلم له، فأدخل في السلم فيه، من دخل في السلم معه.. دعاهم رسول الله إلى رسول الله.. دعاهم عبد الله إلى عبد الله.. دعاهم المنطلق في الله إلى مطلق الله.. دعاهم فطرة الله لفطرتهم إلى فطرة الله لجبلتهم.. دعاهم صبغة الله لصبغتهم إلى صابغهم صبغة الله، لصبغته.. دعاهم الله إلى الله.. دعاهم الإنسان إلى الإنسان.. دعاهم آدمهم إلى آدمه.. دعاهم بشريتهم إلى عليّ بشريته.. دعاهم اللهم إلى اللهم، على ما قام بينهم، وعلى ما أقام لهم، وعلى ما أقام فيهم رحمة للعالمين وجد وبقي، ورحمة للعالمين تواجد ويبقى، ورحمة للعالمين يتواجد ويتكاثر بهم فيهم وبينهم.

إن الرسول، في قائمه الرسول، إنما كانت رسالته، زاوية من زوايا الحق له. إن الرسول خَلْقًا، بناموس الخلق له في قديم الخلق، وفي قائم الخلق، وفي قادم الخلق، وفي تخلّق الخلق بالخُلق، إنما هو ناموس الحق في الخلق، وهو في هذا يقوم بزاوية من زوايا الحق فيه.

إن الرسول، حقا بيننا قام، لحق قديم هو فيه قائم، مبشرا ونذيرا، بحق وعن حق، منه يقوم، هو به قادم، إنما يكشف ناموس الحق، في ظهوره للخلق من أنفسهم، وضرورة خفائه عنهم بينهم، لعباد الرحمن إليهم وهو يكشف لناموس الحق، زاوية من زوايا وجوده بالحق وبالحقائق في حقيقته، لحقيقة الأعلى له، هو لنا به، بالحق لنا، وبالحقائق له هي لنا منه بمتابعتنا له.

إن رسول الله، بكتابه مبلّغا، وبسنته هاديا، وبروحه مرشدا، لمعارج الحق، في الحق، بعروج الخلق طلبا للحق، إنما يكشف ناموس العروج، بالتطور والترقي في فطرة الوجود، وهو بهذا، زاوية من زوايا الحق له، وزوايا الحق به، وزوايا الحق منه، وزوايا الحق فيه.

إن الرسول بتشتيته من أحديته، وصراع أشتاته في واحديته، على طلب الحق لأحديته، إنما هو ناموس المجاهدة، وناموس الطريق، وناموس الحياة، وهو بهذا يمثل لنا زاوية من زوايا الحق فيه.

إن الرسول، بترتيل أشتاته، وترتيب أبعاضه، وتنسيق صفاته، وتنظيم جمعه، لقيام واحديته بأحديته، في سلام نفسه، وسكينة أمره، ونعمة حسه، لفردوس وجوده، بفرد قيامه، إنما هو ناموس الحب، وناموس الجمع، وناموس الالتئام، وناموس الرتق من الفتق، وناموس التوحيد من العد، وهو في هذا يقوم بزاوية من زوايا الحق فيه.

إن الرسول، بحجاب ليله لسكينته، وحجاب نهاره لنوره لحضرته. إن الرسول بكنزيته في حجبه، وإن الرسول، بطلعته لأهل الحجب له، في الظلام والنور إنما هو كتاب العلم، ولسان الصدق، وتنزيل الروح، وإقامة الأمر، وسفور الحق، في الخلق، للخلق، يعرف ويشهد ويبعث يوم يتخلق الخلق، بأخلاق الخالق، ويوم يعرف القالب، ما في القلب، يوم يقوم القلب باسم الرب، ويقوم القالب باسم العبد، فيذكر القالب ما في قلبه، ما في قالبه من قلب، لا يفتر عن ذكره، يذكر ربه في نفسه، بالغدو والآصال، ولا يكون من الغافلين.

إن الرسول، قام بين الناس من أنفسهم، كافة لهم، قدوة بهذا الذي أعلم وعلَّم، والذي به لهم خصّ وعمم، وبكثير منه عنهم أخفى، ولهم به في أنفسهم أكرم وألهم، فأقام وأعلَم، فما في رسالته قصر، ولا عنهم بشيء منها كتم، ولكنه بينهم وفوقهم لمحسن شجع، ولمسيء غفر، ومع متثاقل صبر، وبمسرع هرول، وله أوصل، يوم هو له وصل، وبه اتصل، وهو في هذا في زاوية من زوايا الحق فيه، فإن زواياه لا حصر ولا عد لها ولا إحاطة بها، فما عرفه غير ربه، وكان فضل الله عليه عظيما، أمرنا أن (توسلوا بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم)[٤]

{النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[٥]، غافرا للمذنبين قبل أن يذنبوا، عاذرا المخطئين قبل أن يخطئوا، مقدرا لهم أمرهم، قبل أن يعرفوا أو أن يقدروا، جهلوا أم علموا. (أمة مذنبة ورب غفور)[٦] رحمة للعالمين.

إن الرسول بهذا في دوام قيام به، وإن الرسول بهذا قديما في البشر والناس من الأبيض والأحمر والأسود قام وبعث وظهر به.. (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين)[٧]. وإن للرسول بهذا يوما ينتظره الناس يسفر بينهم به باسم الموعود والمقام المحمود، (أول من تنشق عنه الأرض أنا)[٨]، إن الرسول في هذا، يقوم الروح به لرب العالمين، عبدا لله، وربا للعالمين، ومعلما للعالمين، وكتابا للمتعلمين. إن الرسول يمثل قضية في الله بهذا كله.

إن الرسول لنا، هو كل الدين.. إن الرسول بنا، هو كل اليقين.. إن الرسول عندنا، هو كل العالمين وكل المعلمين.. إن الرسول هو الحق من الله لنا نحن به المتحققون.. إن الرسول هو العبد لله نحن له الظلال المتابعون.

إن العالم والمعلم، إنما هو وصف الله ورسوله لاسمه الهادي، نحن لهما وبهما الحق المتعلم. فالمتعلمون والحكماء المحكومون، إنما هم قائم الله ورسوله للناس، إن إنسان الله للناس، إن عبد الله بين الناس قائم بصفتهم في قيام بخلق الله ورسوله، مـُمَد من الله ورسوله، مـُمِد بالله ورسوله، لطالب لله ورسوله، لمؤمن بالله ورسوله، لمفتقر إلى الله ورسوله.

إن إنسان الله وظلاله، سماء مظلة للناس لا ينقشع لرحمة الله من فوقهم، وجوده، ظلا لله ورسوله، ولا يتوقف بينهم ودونهم نزوله، يدا مقلة لهم، هي يد الله ورسوله، يشهدون ذلك لأنفسهم في أنفسهم بنور الله يمتد إلى قلوبهم.

بذلك كله، هدى الله ورسوله، وأمر الله ورسوله، بإنسان الله ورسوله، بآدم الله ورسوله، آدما من أوادم الله ورسوله، من عرفناه أخيرا لنا بيننا محمدا، بآدم خليقته في دوام دورته، ومن عرفناه محمد الله لحقيقته، بآدم فطرته، قائم أوادم خليقته، ظلالا لحق فطرته، في صبغة الله لسرمديته، فطرة تقوم بفطرة الله، فاطر السماوات والأرض برحمته لصبغته.

أظهره الأعلى على الدين كله، وأظهر به لنا الدين كله، فكان عند مؤمن بالله ورسوله، هو الدين كله، هو الأمر كله، هو الحق كله، لعالٍ من الحق عليه، حتى يستقيم إلى الناس حقه لحقهم لأعلى لهم.

بذلك يقوم في الناس أمره، ويعلو فيهم لهم بهم ذكره، فيُعرف الله يوم يتعارف الله إلى عارفيه من خلاله، ويوم يتلاقى الله معهم في برزخ وجوده، بلطيف جوده، وكريم موجوده، فيشهد الناس أنه لا إله إلا الله، يوم يقوم الناس لأنفسهم محمدا رسول الله، يقوم ويتقلب في الساجدين، بنور الله جعل له، وبنور الله أنزل معه، فيشهدوهم به لهم، نورا على نور للمستنيرين بنور الله ورسوله من بينهم، في أنفسهم وفي قائم به بينهم.

وتعالى الله عما يصفون.

اللهم بمن به لنا دانيت، وعلى أنفسنا أعليت، فعندنا علوت، ألف به بين قلوبنا.

اللهم بمن خلقت وبالحق بعثت، وكبَّرت، وعلينا أكبرت، فعندنا كبرت، ولنفسك علينا أكبرت، يوم أنك لأنفسنا به حققت، وبنفسك ألحقت، أشعل به جذوة الحياة في نفوسنا.

اللهم بمن به إلينا تعارفت، فعرفنا ما عرفت، وعرفناه على ما شرفت، فعرفناك، به قدّرت، ونفسه لنفسك وصفت، والوصف لنا به جعلت، يوم أنك به منا اصطفيت، وبه لنا رحمت، وبه بعثا بك لنا بعثت فبك بعثنا، يوم أنّا بك حيينا وقد أحييت، وبك غنينا وقد أغنيت، ولك عبّدنا أنفسنا، بعونك عبدت، ووصف الحق، بقائمنا حقا لموصوف العبد، عندنا صفاتك أبنت، وأوصافك علّمت، فعلمناك لا إله إلا أنت، لا شريك لك من أنفسنا، ولا شريك لك ممن أرسلت، اللهم به أنر عقولنا، وبه واصل بنا طريقنا، ولا تغلق أبوابك دوننا.

اللهم وقد صدّقنا رسولك، وصدقناك، وصدقنا أنفسنا منكما، بفضلك ورحمتك، في هذا الظلام الدامس، في هذا الجهل المطبق، في هذه الغفلة العارمة، في هذه المادية الظالمة، في هذه الخديعة الطاغية، في هذا الانحراف المبين، في هذا الضلال المتكاثف، ها هي ذي الفتن نراها وندركها، يأخذ بعضها برقاب بعض، أولاها كان خيرا من أخراها، حتى بلغت شدتها، وقامت غايتها، والمفتونون لها بها، جاهلون لأمرهم فيها، ويقدرونها منشودهم من الحق، اللهم فاكشف حجاب الغفلة عنا وعنهم.

اللهم إن عجزنا ظاهر لك، نحن بين يديك، اللهم إنك لها، وليس غيرك من يكون لها، أمّن يجيب المضطر إذا دعاه، ها قد استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا، اللهم نصرك الذي وعدتهم، وأمرك بالحق الذي ما أخفيته وما ظلمتهم.

اللهم بمن جعلته رحمة للعالمين، عاملنا برحمتك، اللهم بمن جعلته وجاء من غضبتك، فلا توصل إلينا غضبتك، ولا تلحق بنا نقمتك.

اللهم وإنك راد إلى الناس أعمالهم، بعدلك، فماحيهم بقدرتك، وحافظ من دخل في وجاء رحمتك، وكنز عنايتك، اللهم به فاحفظنا، اللهم به حماية لنا فأعمل ناموس قدرتك، لإزالة الظلام عن حقيقة شرعتك، اللهم إن الأمر لك، في السماء والأرض، وفي كل سماء، وفي كل أرض.

اللهم فاكشف لنا أمر رحمتك، وأقمنا في أمر حكمتك، وأعلِ بنا أمر شرعتك، وأعلِ في الناس شريعتك، وأقم فيهم برحمتك أمرك، من أمر رحمتك، وقِهم شرور أنفسهم من أمر غضبتك.

اللهم بهذا فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، اللهم بهذا، فعاملنا، حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، قوادا ومقودين، مجاهدين ومتابعين، طارقين ومنتظرين، وعمم رحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم فليأت ملكوتك على الأرض كما هو في السماء، اللهم أخرج لنا من محمد من وعدت، واملأ به الأرض عدلا، كما ملئت جورا، على ما بشرت، وأقم بذلك ناموس دنيانا على ما جعلت في ناموس أخرانا، لا إله إلا أنت، الأمر منك، والمرجع إليك.

سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الفيل - ١-٥

٢ سورة غافر - ١٦

٣ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٤ حديث شريف يرد في الأدب الصوفي، ويعتمدون فيه على الروايات التي جاءت في كتب الأثر، ومنها الطبراني، والترمذي، عن التوسل برسول الله، وأنه متوافق تماما مع بعض الآيات مثل: {وَمَا أَرسَلنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذنِ اللَّهِ وَلَو أَنَّهُم إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُم جَاءُوكَ فَاستَغفَرُوا اللَّهَ وَاستَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً} (سورة النساء: ٦٤)

٥ سورة الأحزاب - ٦

٦ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةُ أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في (تاريخه) عن أنس ابن مالك. المحدث الألباني. المصدر: ضعيف الجامع.

٧ حديث شريف ذات صلة: "إِنِّي عندَ اللهِ مكتوبٌ خاتمُ النَّبيِّنَ، وإنَّ آدمَ لمنجَدلٌ في طينتِه..." أخرجه أحمد وابن حبان باختلاف يسير، وأخرجه البغوي في ((شرح السنة)) واللفظ له. والحديث الشريف "أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد." أخرجه الترمذي، وأحمد بلفظ مقارب.

٨ من الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ." صحيح ابن ماجه.

(٩)

أين هو محمد يا من نتوهمونه!؟
يوم تعرفونه له فبالنور تقومونه، وبالروح تتحررونه، وباسم الله تتربونه!
سلاما لمن يسالمونه، وحربا لمن يحاربونه!
حقا وأمرا وسطا تقومونه وتقيمونه!
أمة وسطا به نتوحدونه فتشهدونه وتشهدونه![1]

حديث الجمعة

٢٠ ذو الحجة ١٣٨٦ هـ - ٣١ مارس ١٩٦٧ م

(اللهم إني أعوذ بك أن أقول زورا، أو أن أغشى فجورا، أو أن أكون بك مغرورا)[2].

(اللهم أحيني مسكينا، وأمتني مسكينا، واحشرني في زمرة المساكين)[3]، مسكينا لك لا لغيرك، ولا غير لك إلا ما سولت النفس للنفس عنك، بقيام النفس بعيدا عنك، وأنت القائم على كل نفس بما كسبت، أيا ما كسبت، بما عليه عزيمتها عقدت.

ملهمة فجورها وتقواها.. ممن علاها من نوعها لمعناها.. فعطل أو حقق لنفسه بها لها مناها.. شيطانا في قطيعة موجوده، أو رحمانا في نعمة وجوده.. آدما وإنسانا بعمله، أو إبليسا رجيما بخبله.. روحا حيا بحقه، أو مادة ميتا بفعله.. كتابا قائما بعلمه، أو ظلاما قاتما في قائم وهمه.. دنيا من خيال لرسمه، أو آخرة بمآل لكسمه في شهادة لخلقه، بعثا بمعاني حقه، أو مواصلة لقائم وهمه بفهمه.. مقيدا في شيئه وعجزه أو مطلقا في قدرته بحي أمره.

الإنسان في قائمه لقيومه، يقوم بذلك كله بفطرته، ليظهره الله من خلقه لنفسه، على الدين كله لصبغته لاسمه، فيقوم في ذاته أولية لذواته، خلقة من ذاته، ويقوم في سعيه ومجاهدته آخرية لمعناه في معناه بمعناه اسما لله، وهو فيما بينهما ضالا يهدى، وعائلا يغنى، ويتيما يؤوى.

فلما قام فيما بينهما على ما يليق من أمرهما أمرا وسطا لهما استكمل معنى الأول لمعناه ومبناه، واستكمل معنى الآخر لمولاه ومرتضاه، فعرف عنه أنه بأوله لأول لا أول له.. وأنه بآخره لآخر لا آخر له.. فكان بذلك تمام الأمر الوسط وخير الأمور. عرفه أمرا وسطا، بين أمر لمعنى بدئه، ظاهرا لباطن له، إلى أزل لا أول له، وأمرا لمعنى انتهائه، ظاهرا لباطن له، إلى أبد لا انقضاء ولا آخر له.

قام أمرا لبدء بدئه في أحسن تقويم، وأمرا لانتهاء انتهائه إلى أحسن تقويم، في قائم بينهما بهما لهما هو للأمر الوسط أحسن تقويم. فكان الأمر الوسط هو الإنسان في علميته على الرحمن ومخاصمته لعزلته لمعنى الشيء لنفسه لقائمه للشيطان، اسما لله ووجها له، وكلمة الله المترددة بين العالمين بعالم وجودها لها.

بذلك جاء رسول الله أمرا وسطا.. عَرَفَه لأمره الأول شهده ربا له وقيوم قائمه، فتقدم إلينا عبدا، وعرفه لأمره الآخر بعمله وامتداده في أمته نافلة له ربا غفورا.. فقام بينهما حقا، عبدا وربا، فعرف العبد لمعناه، ليكون للناس قدوة لمعانيهم عبادا لله، وعرف الرب لمولاه، في قائمه له لمعناه بأعلاه على أدناه، قيام أعلاه من الروح، على مبناه من الذات.. فعرَّف بذلك الرب للناس، منشودهم لهم في أنفسهم لأنفسهم على أنفسهم، تعريفا لم يسبق إليه من معلم ظهره ظلا له من قبله، عرَّفه القائم عليه، وعرَّفه[٤] لهم القائم به عليهم، حقا مرسلا، لحقي أمانيهم حقائق مرسلا إليها.

فكان رحمة للعالمين حقا، استكمل به آدم لبدئه معنى الرب لنفسه، بموجود العبد بولده أظهره الناموس على الدين كله، فسبح الأعلى لربه لمعاني الرب الأعلى له فسوى الأعلى بين العبد وربه، بين الأب وولده، فكان بالأعلى عبدا له عين من عرف لمعنى ربه وأبا له، متوحدا معه، بوحدانية ربه وربه.. فعرف ربه إليه رسولا ومن الأعلى مرسلا.. فقام بيننا لربه الأعلى عبدا ومنه إلينا رسولا. وعرف ربه العظيم بقيومه لقائمه له خليلا وعليه وكيلا. عاملنا على ما عامله به ربه الخليل وعرفنا بما قام به الأعلى عليهما، فكان لنا ربا غفورا، ورسولا كريما، وعبدا مقيما.

كان لنا ربا، كنا به أربابا، وكان بيننا للأعلى عبدا، كنا به له وللأعلى عبادا، يوم كان لنا فينا منا بهديه علما ورشادا، فرأيناه لنا في متابعتنا له الأعلى والأعلى، وشهدناه في مرايا وجودنا منا بنا من عملنا الأدنى والأدنى، ظاهر الأعلى والأعلى فوحدنا الله حقا، وقمنا بوحدانيته فعلا.

فاستكمل به الدين حكمته، واستكمل به الكون فطرته، واستكمل به الوجود دورته، واستكمل به آدم أوبته، وقدسي طلعته، واستكمل به الأعلى إرادته، على مراده من خليقته، أوجدها لنفسه، لظهوره بحقي عبوديته.

فكان نور السماوات والأرض لخاص وجوده، وكانت السماوات والأرض عَلم ذاته، وكانت النجوم والشموس أعلام صفاته، وكانت السدم أنفاس حضراته، وكانت الحقائق ذوات طلعاته، وكانت القدرة آيات علمه، وكانت الأكوان عوالم قومه، وكان الوجود جنة سبحه، وكانت الروح قائم أمره، وكان النور أرض انشقاقه، وكانت الأرض في قبضة ذاته ناشئة الليل بأوادمه، والسماوات مطويات بيمينه، وناشئة النهار بكلماته حق الأعلى وآياته.

فوق السماوات سار وإحاطة للسموات والأرض صار.. به قدر الله حق قدره.. يوم عُرِف الإنسان وجها لظهوره، ويوم قام الإنسان رسولا بنوره، ويوم تواجد ويتواجد الإنسان نبيئا حاملا لخبره، معلنا عن قائم الأكوان في الوجود لأثره.

كلكم راع لمعاني أوليته، وكلكم مسئول عن رعيته لمعنى آخرة أمره لآخريته، وكلكم بين أوليته بكبريائه، وآخريته بجزائه، أمرا وسطا لأمر رجائه ووفائه.

قام الرسول بيننا أمرا وسطا، وضرب لنا بالأمر الوسط مثلا، قام به لنا قدوة، ولم يظهر بيننا بآخرة أمره، ولا بأولية أمره، لنتابعه جهد استطاعتنا في قويمه على استقامته.. قائما بمسئوليته، ربا مهموما بمن كُلِّف بهم لمعنى رعيته، وعبدا قائما في نعمته، موكلا أمره لربوبيته، حسبه الأعلى، لأعلى وكل إليه أمره، وجعل في الانشغال به سره وجهره، وضرب لنا مثلا بنفسه لمن يريد أن يكون في نعمة الله بربه، محتسبا صابرا، بقضاء الله راضيا، ومن الله راجيا، أن يكون عنده مرضيا، ومن وجهه بالخلق معلوا، لا يأبه لأمر الناس في جهلهم عنهم ويعاملهم على أساس من علمه بهم، بما عرف من رحمة ربه وربهم.. وسعت كل شيء علما ورحمة، وأقامت كل شيء انتظاما وحكمة.

لم ييأس من ربه في نفسه، ولم يطغَ على مربوبه لأمره، ولم يخطئ التقدير لموجوده بسره وجهره، لباطنه وظهره. تفرقت أمته من بعده، على ما تفرَّقت الأمم من قبله، كلما جاء الناس من الله علم، بإنسان قام بينهم، نصبا وبشرا، كتابا وأمرا مبينا وخبرا، فجرا من ليل ويوما من شهر، وعصرا من دهر، فبشّر وحذّر بما علم وشهد، وفيه نظر، وله أوجد على ما وجد، وعلى ما قام في أمم الأرض من قبله، وعلى ما يقوم فيها من بعده.

(لا ترتدوا من بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)[٥].. (المسلم من سلم الناس من لسانه ويده)[٦].. لا تنحرفوا عما جئتكم به، فـ (أنتم في زمان من ترك عشر ما أمرتكم به لهلك..)[٧]. لو أن موسى قام بينكم اليوم فاتبعتموه لهلكتم.. لقد جئتكم بخير مما جاء به عيسى وموسى والنبيون من قبلي.. (ما تركت شيئا يقربكم إلى الله إلا وأمرتكم به وما تركت شيئا يبعدكم عن الله إلا ونهيتكم عنه)[٨].. {لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن}[٩].. أظهرني الله على الدين كله.. وها أنا مظهركم على الدين كله.. (أنا مدينة العلم وعلي بابها)[١٠].

فتفرقت أمته من بعده فرقا مع سحب الظلام بالفتن عليها أقبلت، يأخذ بعضها برقاب بعض، أولاها خير من أخراها، كما أنبأ وعرف، فمنهم من نزل به دون ما يليق، ومنهم من علا بإنائه عليه، أكبر مما يليق، ومنهم من جهّله على ما لا يليق، ومنهم من أعلمه بما لا يليق، وما استقام في أمره على أمره، إلا من رحم الله، يوم لحقته عناية الله برسول الله، فكان لرسول الله، وكان من رسول الله له، فكان كل شيء برسول الله.

قام وأقام في الله، منتهيا إلى الله، مبتدئا من الله، لا ينتهي لقائمه في الله بدؤه منه، ولا نهايته إليه. يدور في الله لا حدّ له، ويدور في الدهر لا بدء له، ويدور بالعصور لا انقضاء لها.

كان في دوراته خلقة العصور والأزمان ببدايات ونهايات، لبدء الإنسان ونهاية الإنسان.. يبدأ خلقا من حق، وينتهي حقا لجديد خلق، في دورة الحياة الدائبة، في دورة الصبغة في الفطرة، ودورة الفطرة في الصبغة، دورة الإنسان في الإنسان عبدا وربا، وفي الإنسان بالإنسان إلها وحقا، وفي الوجود بالوجود وجودا روحا وذاتا، وفي الموجود لموجوده موجودا كتابا وعلما في الله ذي المعارج، تعرج إليه الحقائق وتبرز منه الحقائق، وتتحقق بحقائقه منه له الخلائق، دانية حقية العبد، ربا آلها في الشهود، وعالية عبدية الآلهة، مألوها في الوجود.

هذا دينكم، وهذا رسولكم، وهذا ربكم، وهذا إلهكم، وهذا وجودكم.. هو بكم، ولكم، وفيكم، الظاهر والباطن، والباطن والظاهر، دواليك.. لا توقف لظهوره، ولا تعطل لتكنزه لبطونه.

إذا أدركنا ذلك، وأعملنا الرأي فيه، ودأبنا على النظر إليه، تكشفت لنا الأمور، وأسفرت بنا الحقائق، وانقشعت عنا الحجب، وانطلقت منا الأرواح، وتطورت بنا الأشباح، ونارت فينا العقول، واتسعت منا القلوب، وانطوت لنا القوالب.

فعرجنا معراجا بعد معراج، وصعدنا مرتقى بعد مرتقى، وتعالينا علوا بعد علو لعليّ بعد عليّ.. في محمود ومحمود، لمحمد ومحمد، لأحمد وأحمد، فحمدنا الله، وقمنا شعار الحمد لله، وقمنا أمة محمد لمحمود الله لأحمد من الله، فشهدنا أنه لا إله إلا الله، وشهدنانا محمدا رسول الله.

هكذا كان آباؤنا.. فإلى أي حال صرنا؟ ولأي مآل أُلنا؟ إنّا نتحدث عن المادة، ونقوم بالمادة، ونحاط بالمادة، ونقاد بالمادة، خلف أعلام للمادة، بدين يقوم لحمته وسداه من المادة، فَنُخلي قلوبنا وقوالبنا من المعنى، ونصارع بموادنا لمادينا معانينا لمعنانا، مسخًا على مبنانا، لا نعرف فينا روحا لمولانا، ولا عقلا لمرتقانا، ولا نفسا تشعل لإضاءة الطريق، في التئام على حق صديق، مؤمن لمؤمن، وأخ لأخ، وسيد لسيد برفيق لرفيق.

ولكن عبيدا ندعونا ولأي رب نحن العبيد؟ وسادة نزعمنا ولكن بأي سيد نحن نسود؟ هل للسيد المجيد؟ هل للفرد الوحيد؟ هل للوجود العتيد؟ هل للوجه السعيد؟ هل عرفنانا لإنسان الوجود، لطلعة الشهود، للموجود في أنفسنا، للحياة، للحي القيوم في حياتنا بنا، لكلي الحياة لنا؟

لاللـ هم لمعنانا.. لاللـ هم لسيدنا لمبنانا.. لاللـ هم قائما على كل نفس بما كسبت.. لاللـ هم من ورائنا بإحاطته... لاللـ هم إنسانا جامعا، وحقا على أعلى مجتمعا ولأدنى راعيا مجمعا.

لاللـ هم رسولا عرفناه.. لاللـ هم في الرسول شهدناه.. لاللـ هم في أنفسنا رجوناه.. لاللـ هم مؤمنين به آمناه.. لاللـ هم به آمنا، وفي السلم دخلنا، وفي السلام قمنا، ولنصرة السلام عملنا.

أم أننا باسم السلام خاصمنا وتخاصمنا! وباسم السلم كفرنا وطغينا، وعلى الله تعالينا! وهباء لنا، لهباء أنفسنا عبدنا، ولها هالكة معانينا عبدنا فهلكنا ما حيينا ومتنا ما بقينا!

{إنك ميت وإنهم ميتون}[١١]. أنتم بالأجساد دون الأرواح موتى، فما كنت بالجسد حيا، ولا حياة، ولا عنوانا للحياة، ولكنك كنت وتكون بالجسد كونا يشهدونه، وبيتا يقصدونه بأدبهم يوم يدخلونه، ويسعدهم يوم يعرفونه، ويرضيهم يوم يرتضونه، بروحك لأرواحهم يتواجدونه.

يا أيتها النفس المطمئنة - ادخلي في بيتي - ادخلي في عبادي، فهم بيوتي، وهم عوالمي وهم جنتي، فادخلي جنتي، قلبا بين القلوب لقلوب يتألفها ويجمعها كبير قلب، بمظاهر لهياكلها إنما هي نفوس جزئية تدخل نفسا كلية وعقول ساعية ترتضي عقلا راعيا، وأرواح حبيسة ترتضي لها روحا منطلقا واسعا حوضا وريا.

ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم.. من دخل فيك دخلت فيه، من رآك بيتا لي أجعله بيتا لك، أقم فيه واسجد لربك به (أنا في الآب والآب فيّ[١٢]، من رآني فقد رآه)[١٣].. (إذا جئت في القيامة دعوتكم بـ: يا إخوتي)[١٤]، إن القيامة إنما هي رسالة الإنسان.. هي رسالة أبيه من الروح من الحق.

وإذا أنت به فرغت من كل ما سواك، قياما لمن كان بك وكنت به، وبه سوّاك، إذا فرغت فانصب، خطابا موجها لمحمد وحقه آدما وإنسانا بظلاله من الحقائق والخلائق من الروح والناس، إذا فرغت من كل أغيارك فانتصب بينهم نصبا لربك يطوفونه، وفي صلاتهم يستقبلونه، ولأمرهم يستعينونه، وبخلقه يسترشدونه، وفي مسراه يتابعونه، ففي أنفسهم بربك ربا لهم يجدونه في الله يؤمنونه، وبالحق يعبدونه.

كان ربه له فيه دونهم، أحدا في اثنينيته، بأمرين لأمر في حقيقته في الله، مذكورا بأحديته لا شريك له من خليقته من الروح والناس، فأصبح به فيهم يعرفونه، حقا رسولا يذكرونه، يصلهم ويصلونه. عَلَما على الحضرتين بالحضرتين روحا يقومونه. بالحق لهم به يبعثونه، قياما للرسول وربه حقا يقومونه، وقياما لهم يشهدونه، قياما للعبد وربه، قياما للرب وإلهه، قياما للإله وإحاطته.. قياما للإحاطة ووجودها.. قياما للوجود وأكوانه.. قياما للكون وعوالمه.. قياما للعالم ومن كان فيه، الكل يحمدون رب العالمين، وهم العالمون برب العالمين، عَلَما عليه، وعلما عنهم في أنفسهم يذكرونه، وبحقهم لحقيقته يقومونه، وللناس هم له على ما هم فيه يقدمونه[١٥]. بذلك كان محمد كافة للناس بشرا مثلهم، وللروح كافة روحا مثلهم. بذلك كان رسول الله حقا وخلقا عبدا وربا.

هذا هو دينكم يوم تعرفونه.. وهذه هي ملتكم يوم تطلبونه.. وهذا هو طريقكم يوم تسلكونه.. وهذا هو الحق من ربكم يوم تشهدونه، فتقومونه، فتسعدونه.

بهذا جاء محمد وبه لم يغب، فأين هو محمد تسألونه؟ أين هو محمد تسترشدونه؟ أين هو محمد تتبعونه؟ أين هو محمد تأكلونه وتشربونه؟ أين هو محمد تقومون دونه؟ أين هو محمد في الله تعبدونه وعليكم تربونه وتسودونه والله به لكم أسماء له تشرفونه؟ وبالنور تقومونه، وبالروح تتحررونه وتسبحونه، ففي النفس تزكونه، وبنار الله مقدسة لأنفسكم تشعلونه، حربا على من يكفرونه، وسلاما لمن يسالمونه، أحياء به بينكم تقومونه، أشداء من حوله لا تهزمونه، ولا تُهزمونه، به لا تضيعونكم وبالله لا تضيعونه.

هل أنتم كذلك يا من تقولون إنكم مسلمونه؟ أين هو الإسلام يا من يهرطقونه؟ أين هو الإسلام يا من يشعوذونه؟ أين هو الإسلام يا من يجمدونه، ولا يطورونه! ولا في أنفسهم أو في الآفاق يشهدونه؟

لا إله إلا الله لفظا ترددونه، وقياما لا تطلبونه، وحقا لكم لا تذكرونه، وفي باطلكم لقائكم بوهم تدعونه، لأنكم تذكرون الله لفظا تعرفونه، وقياما لكم تنكرونه. أينما تولوا فثم وجه الله، ولا تشهدونه. عمى تعمهونه

ولا تبصرونه، وعمى على قلوبكم ترددونه لا تصدقونه، وحتى ظلام أنفسكم لا تدركونه، ونورا تعرّفونه، وعلما تقدمونه.

فما تكون الجاهلية؟ وما يكون الجهل ثوبا تلبسونه؟ يا من لفظ الإسلام هو دينكم، لا تتجاوزونه! أين المجاهدة في الله؟ ففي أنفسكم تجاهدونها دونه؟ وتطلبون لها الحق من الله على ما هديتم، وعلى ما قام الرسول به بينكم فيكم! ها أنتم لأنفسكم من كل مجاهدة لها أعفيتم ومعها ما جاهدتم! ثم لأوصاف المجاهدين لأنفسكم ذكرتم! ما حققتم لا ولا طلبتم!

الجاهلية الأولى جددتم وبعثتم! ومنها بجديد للإسلام ما خرجتم! (لا تَبرجوا تبرج الجاهلية الأولى)[١٦]، فإن جاهلية ثانية ستأتيكم في دورة الزمان، بهذا أنبئتم. (يأتي على أمتي زمان، القابض فيه على دينه، كالقابض على الجمر)[١٧]. هل لم يأتِ هذا الزمان بعد؟ (خيركم بعد الألف والمائة، الخفيف الذي لا زوجة له ولا ولد)[١٨].. (الأولاد مبخلة مجبنة)[١٩].. فهل نفي الرسول عندكم لكم الرهبنة؟ لقد قام بينكم الرهبان في الله من أمثال البدوي والدسوقي والقنائي، وغيرهم الكثير. فأنتم تتحدثون عن الرهبنة ولا علم لكم عن الرهبنة ومعناها في الله، بقاءً له وفناءً لما سواه. وتتحدثون عن التكاثر ولا علم لكم عن التكاثر في الله سفورا له وحجبا لما سواه.. تتحدثون عن حفظ فروجكم، ولا علم لكم عن حفظ فروجكم، وكيف تحفظ، وكيف تعرف، وعما تعفون، وعمن تعفون، والعفة في حفظ ما خلق لله أن يطأه ما سواه.

إن الإنسان بصوره بروابطه على اختلافها من أخ لأخيه وأب لأبيه وابن لأبنائه وأب لآبائه وزوج لزوجته، رجلا لامرأته، وامرأة لرجلها، وصديق لصديق، وحبيب لحبيب، وخليل لخليل، إن الإنسان في ذلك كله إنما يصور مظاهر الحق له فيه، وهذا ما أراده الرسول في قوله وبقوله (ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان)[٢٠] في أي صورة ما شاء ركبه.. خلقه أزواجا وحققه أزواجا، وأظهره بقدسه بروابط القلوب فيه أزواجا.

خلقه فقدره، والسبيل له يسره، أماته فقبره ثم أخرجه فنشره، عجوزا أبقاه، وجديدا أحياه، آباءً يقومون ويتجددون، وولدانا يخلدون ويبعثون، في فردوس ذاته لفرد وجوده.. الله قائم على نفسه قيامه على كل نفس بما كسبت.

فأين هي الجنة يا من يطلبونها؟ وأين هي النار يا من يصطلونها؟ إنما الجنة في النار، يوم تكونون لله فتكون النار بردا وسلاما على المؤمنين. وإنما النار هي في الجنة يوم أنكم في قطيعة عنه وأنتم في نعمته تمرحون، لا تخرجون من فتنتكم لكم وعنه فيكم تعمهون.

نعم فالنار في الجنة يوم يطغى الإنسان بنعمة الله فيجحد قائم نعمة الله فيطرد من نعمة الله نارا قامت في جنة، لقائم نفسه في كنودها وجحودها، شيطانا مريدا، وفرعونا جديدا.

أين هو فهمنا في الدين للقائم على كل نفس بما كسبت؟ أين هو فهمنا في الدين لسريع الحساب؟ لسريع العقاب؟ لراد الأعمال على أصحابها، يوم يجازى برفضها؟ لقابل النفوس لنفسه يوم هي به تسعد على علاتها؟ يوم يرتضيها لنفسه، لا عن طاعة بها قامت ولا يرفضها بمعصية فيها دخلت وأقامت. ولكنها يوم رضيته في طاعتها واستغفرته في معصيتها قدرها شاكرة، فلبست لكل حالة لبوسها، فحمدته يوم أطاعت محمودا مكرما، واستغفرته يوم عصت غفورا منعما، فقبلها وأكرمها وأعزها، ولنفسه أضافها، ووجها له ظهرها، في الدنيا وفي الأخرى لها.

إن الله (لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية)[٢١]، ولكن الطاعة تنفع صاحبها، والمعصية تضر بصاحبها في ناموس الله لبعث حقه وكسب رحمته. وقد أشهره برسوله. (أخفى الله الرضا في الطاعة، والغضب في المعصية)[٢٢] حتى لا يهدم ناموس الأمر والنهي لشريعته، وحتى لا يضيع رسوله وقائم رسله في طريقته وشفاعته، وحتى لا يهدم تعاليم دينه بجزائه ورحمته. أقامه بأبعاضه فيمن قاموه من صوره بأنبيائه. كان محمد لهم جماعا، وكانت أمته لهم فيه اجتماعا.

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللهم يا من جعلت من محمد لنا حقا، وجعلت من حقه بنا حقائق.. اللهم به وبحقائقه فحققنا.

اللهم يا من جعلت محمدا لنا إنسانا، وجعلت به لنا فيك مثالا، وجعلت به بنا عليك عنوانا.. اللهم أدخلنا في إنسانيته.

اللهم يا من جعلت من محمد لك وجها، وجعلت به لنا لك وجوها، اللهم اجعل منا له ظلالا، وأقمنا فيه حالا ومقالا وآلا، واجمعنا عليه قياما ومآلا، ولا تخرجنا منه دواما وسلاما.

اللهم يا من علمتنا به الأول في أحسن تقويم، والآخر في أحسن تقويم.. هو بينهما لك في أحسن تقويم.. اللهم اجعلنا به منك له في أحسن تقويم.

اللهم حقق لنا به قدوتك إلينا حتى تحقق، وحتى أنا بأنفسنا نترفق، وعليها منها نشفق، بما علمنا من أن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى. وبما علمتنا لو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم.

اللهم ادفع عنا شر العجلة، ولا تدخلنا باسمك واسمه فتنة لنا في أنفسنا قائم مهزلة.

اللهم به فولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ به أمورنا شرارنا جزاء عدلك، وقيام غضبتك.

اللهم به فادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

اللهم به كن لنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، مجاهدين وخاملين، قائمين وقاعدين، متحركين وكسلين، لا إله أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

اللهم به فارحمنا يا أرحم الراحمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ تم في هذا الحديث تحقيق بعض الآيات والأحاديث الشريفة، وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٢ دعاء مأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وذكر في كتاب "بحار الأنوار" من المكتبة الشيعية.

٣ من حديث شريف. صحيح الترمذي.

٤ تم وضع بعض علامات التشكيل وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٥ من الحديث الشريف: "لا ترجِعُوا بعدي كفارًا يضرِبُ بعضُكم رقابَ بعضٍ." أخرجه الطبراني، والإسماعيلي، والدارقطني.

٦ من حديث شريف. صحيح ابن حبان

٧ من الحديث الشريف " إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك، ثم يأتي زمان من عمل منكم بعشر ما أمر به نجا." صحيح الترمذي

٨ حديث شريف: "إِنَّهُ ليس شيءٌ يُقَرِّبُكُمْ إلى الجنةِ إلَّا قد أَمَرْتُكُمْ بهِ، وليس شيءٌ يُقَرِّبُكُمْ إلى النارِ إلَّا قد نَهَيْتُكُمْ عنهُ، إِنَّ الرُّوحَ القُدُسَ نَفَثَ في رَوْعِي: أَنَّ نَفْسًا لا تَمُوتُ حتى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَها، فَاتَّقُوا اللهَ وأَجْمِلوا في الطَلَبِ، ولا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ، فإِنَّ اللهَ لا يُدْرَكُ ما عندَهُ إِلَّا بِطَاعَتِه." أخرجه الحاكم والبيهقي.

٩ سورة العنكبوت - ٤٦

١٠ حديث شريف: "أنا مدينةُ العلمِ، وعليٌّ بابُها، فمَنْ أرادَ العلمَ فليأتِهِ منْ بابِهِ". المحدث: السيوطي، أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم..

١١ سورة الزمر- ٣٠

١٢ من إنجيل يوحنا: "أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ." (يو ١٤: ١٠).

١٣ متوافق مع قول المسيح عليه السلام: (اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟ أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ.) (يو ١٤: ٩, ١٠)

١٤ إشارة لقول المسيح عليه السلام بعد القيامة أنه قال للمجدلية: "اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" (يوحنا ١٧:٢٠). وتلك كانت المرة الأولى التي يدعو فيها تلاميذه بكلمة أخوتي. قبل القيامة، كان يسوع يدعو تلاميذه "أحبائي"، "عبيدي"، أو "تلاميذي".

١٥ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

١٦ استلهاما من {ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى} سورة الأحزاب - ٣٣

١٧ حديث شريف: "يأتي على النَّاسِ زمان الصابر فِيهِم على دينه كالقابض على الجَمْر." رواه الترمذي.

١٨ من حديث شريف رواه السيوطي في (الفتح الكبير)، وقال رواه أبو يعلي في مسنده: " خيرُكم في المائتينِ كلُّ خفيفِ الحاذِ قيلَ يا رسولَ اللَّهِ وما خفيفُ الحاذِ قالَ الَّذي لا أَهلَ له ولا ولدَ." لكن معظم كتب الأحاديث تصفه بأنه حديث لا يصح. ومع ذلك فالمعنى الإشاري للحديث يمكن فهمه من السياق.

١٩ حديث شريف ذات صلة: "الولَدُ ثمرةُ القَلبِ، وإنَّه مَجبَنةٌ، مَبخلةٌ، مَحزَنةٌ." أخرجه البزار، وأبو يعلي، وغيرهما.

٢٠ مقولة صوفية.

٢١ من خطبة للإمام علي كرم الله وجهه من كتاب نهج البلاغة: "أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ...". المكتبة الشيعية.

٢٢ من مقولة للإمام عليّ بن الحسين (عليه السلام): إن الله أخفى أربعة في أربعة: أخفى رضاه في طاعته، فلا تستصغرن شيئا من طاعته، فربما وافق رضاه وأنت لا تعلم. وأخفى سخطه في معصيته، فلا تستصغرن شيئا من معصيته، فربما وافق سخطه معصيته وأنت لا تعلم. وأخفى إجابته في دعوته، فلا تستصغرن شيئا من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم. وأخفى وليه في عباده، فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله، فربما يكون وليه وأنت لا تعلم.. بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

(١٠)

ظهر ولم يغِب وبدا ولم يحتجب
تجدد مبعوثا بالحق، وبالحق لم ينفرد
قام كوثر الحق لطالبيه، وكوثر الخلق لمستقيميه
رحمة للعالمين، وكتابا للعالمين

حديث الجمعة

٢٧ ذو الحجة ١٣٨٦ هـ - ٧ أبريل ١٩٦٧ م

أعوذ بالله، لي ولكم.. وأستغفر الله، لي ولكم.. وأحمد الله، على ما هدانا وعلى ما أولانا، لي ولكم.. بعَلَم أحديته، وقائم وحدانيته.

عباد الله.. أوصيكم ونفسي بتقوى الله، بمواصلة الاتقاء لأنفسكم، وقد حذرنا الله نفسه لنا.

عباد الله.. أوصيكم ونفسي بمحبة الله يحبهم ويحبونه، بإفشاء المحبة بيننا وجوها له وأعلاما عليه.

عباد الله.. لا تقوى لله، ولا محبة لله، ما لم نعرف من هو الله، ومتى هو الله، وأين هو الله، وكيف هو الله، ومن هذا الذي يتقى، وكيف نتقيه، وبما وبمن نتقيه، ومن هذا الذي نحب، وكيف نحب، وبما وبمن نحب، ومن هو هذا الأنا الذي يتقي والذي يحب، وكيف نفرق بينه وبين من لا يتقي، وبينه وبين من لا يحب.

إن الله، أبرز آياته في الآفاق، وفي أنفسنا، وتبين أنه الحق، لمن تبين له، وتبين أنه الحق لمن نظره، ولمن صدَّقه، ولمن لبى نداء الحق من نفسه، لمن لبى نداء الحق من جنسه، لمن لبى نداء الحق من قلبه، لمن لبى نداء الحق من عقله، لمن لبى نداء الحق من رسوله من أنفسكم.

ظهر ولم يغب، وبدا ولم يحتجب، تجدد بالحق وبالحق لم ينفرد، كوثر الحق لطالبي الحق، وكوثر الخلق لمستقيمي الخلق، وبمجاهدي التخلق، قدوة لم يحرمه الناس، ونورا لم يمتنع على القلوب لسائر الناس،

يوم تطلبه القلوب في قائمها الناس، تدركه حسا ووعيا ومعرفة، لم تمتنع على العقول إشراقا بها، يوم تستشرق إليه العقول.

حقا قائما ملبيا، لم يمتنع على من ناداه، قريبا لم يحتجب على من والاه حقا، سكن في القلوب، وأشرق في العقول. قُدِّرت به الذوات، واستقامت معه الجوارح، وقامت به الحّجة، وظهرت على قاليه بأهله المحجّة، عترة لم تنقطع، ومآلا لمن آله، لم يمتنع، فرض كفاية قامتهم الفطرة، لكشف صبغتها لقائم الله بالناس. ولكن الناس قدوة لهم أنكروهم، وإمامة لهم خاصموهم، وأحواض رحمة بينهم أهملوهم، وسيوف عزة لله أثلموهم[1]، وأبوابا للطريق إلى الله أغلقوهم، ثم هم بعد ذلك منهم بالمقابر ذكروهم، وبالقبور استغلوهم وتاجروهم، فإذا قام بينهم من ذرية الرسول على مثالهم من مال في شجرته، أو نتن من لحمته، فغلبهم مغالبا، وجلس على كرسي من كراسي الحكم، أخذه لنفسه ممن استذلهم وبطغيان سادهم، حقدوا عليه وحسدوه، وكلما أخطأ تركوه، واستقبل سبابهم أمه وأبوه.

قام بين الذوات ذاتا، وبين الأرواح روحا، وبين العوالم عالما، وفي الوجود وجودا، قام فطرة، لفاطر السماوات والأرض، وقام صبغة للحق، لصابغي الفطرة لهم بحقه.

يتحدثون عن الحق الرسول، بظلام نفوسهم، وبجهل عقولهم، بكنودهم وبجحودهم، بوهم وجودهم، وينسبون أنفسهم إليه، وهم المنقطعون عنه، الغريبون عليه.

يتحدثون باسم الدين، وينفخون أوداجهم باسم اليقين، ويرفعون لأنفسهم، بأنفسهم، شعارا لاسم الفضيلة، وأي فضيلة.. وإذا كانت هذه فضيلة فما تكون الرذيلة؟

أهل الدرك الأسفل من النار، مخالطو الأمراء، نعال الحكام، مخالب وأصوات وسياط الطغاة، هرطقة النحاة، يهاجمون رسول الله، لا يعرفونه، ويقفون بجوار الشيطان دونه، يتكلمون عن الروح، ويتعلمون عن التصوف، ويرسمون للريادة، ويظهرون في مقاعد القيادة، كأنهم الرعاة وكأنهم الولاة، يزعمونهم عماد الدين، وأحواض الحياة، ومنابر اليقين.. لرب هو الشيطان، ولدين للرحمن هو بهم الكفران. وهل كان الرسول إلا روحا! وهل أقام الدين في كل دين إلا الروح!

يجافون، ويجانبون، ويجرأون، على من بهم يرزقون وبهم يطعمون. وإنهم بفعلهم، وبرد أعمالهم، ومن يتابعونهم، هم علة ما يشهدون من حرمان، وعلة ما يشهدون من قصور رحمة الرحمن، علة ما تشهد الأرض في عصركم من نكبات الطبيعة، وضربات الوجيعة، في كل مكان. الطبيعة في حرب مع الإنسان، لأن الإنسان في حرب مع الرحمن. أُمر أن يدخل في السلم وهو يرفع عصا العصيان، بطاعة

نفسه وشهواتها، يقف في مواجهة ربه مخاصما، منازعا، مهاجما.. (من آذاني وليا فليأذن من الله بحرب)[٢] بنقمة تعم، ورحمة ترفع.

إن رحمة الله في هذا العصر، وبدءا من القرن العشرين على وجه التحديد، تُرفَع من أرضكم، عيانا بيانا، شيئا فشيئا، لعلكم تجأرون، لعلكم إلى الله ترجعون، لعلكم إليه تلجأون، لعلكم من كفر تفيقون، لعلكم عن عبادة الظلام تقلعون، وبأهداب نور الله من بينكم يرتفع شيئا فشيئا تمسكون وله تسمعون، ولكنكم آذانكم عنه تصمون وعلى متابعة نفوسكم ومخالفة عقولكم عزيمتكم تعقدون، لا تستيقظون، ونفوسكم لا تتهمون، وقاصر عقولكم لا تنبهون، وكل رشيد من بينكم تخاصمون، وعلى المخاصمة تتجمعون، لا الله فيه ترعون، ولا الله معه تخشون، ولا الله فوقكم تتقون، ولا الله أمامكم تنظرون، ولا الله بإحاطته من ورائكم تحسون، في الفتنة تغرقون، وعنه أمامكم وفي أنفسكم وعن أيمانكم وشمائلكم تعمهون، وإلى آياته في أنفسكم، وفي الآفاق، لا تتنبهون.

أحداث الإيقاظ، فيكم ومن حولكم تترى بلا عد وبلا حد وبلا حصر وبلا توقف ولا تفيقون، قلق نفوسكم مصدره لا تعلمون، وضيق ذات اليد لكم من عملكم، لا تستغفرون، وأنفسكم لا ترحمون، ورحمة الله، أمامكم، تدانيكم، منها تفرون، وعلى الشقاء تقبلون، وطريق التعاسة تطرقون، وبالباطل بينكم تتواصون، وعلى الحق مخاصمة بينكم تتجمعون وتتجرأون.

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أنفسهم يظلمون!! يهاجمون الروح وهي مصدر دينهم، ويهاجمون الموتى وهم مصدر يقينهم، جأروا مما فيه أبناؤهم مما تركوا من معارف عن الحياة كاذبة، فإلى ربهم لجأوا أن يعودوا إلى أبنائهم لما أفسدوا مصلحين، ولهم مذكرين، تحت لواء العارفين لهم مرشدين، وعليهم مهيمنين، ومنهم إلى الناس متحدثين، جديدا من الأمر، وجديدا من الدين، لقائم في البلاغ من النبيين تصير إليه الأمور يوما للدين، فيه يقوم الروح لرب العالمين.

فأُذن لهم أن يعودوا لدائم الحياة مُشْهِرين فعادوا مأذونين، وبشروا مغفورين، وحذروا مُنْذِرين، ووجَّهوا صادقين، وأبرزهم الله بينكم، بعيدا عن أيديكم آمنين، من وراء حجب منكم يتحدثون، وبهم لكم يقاربون، ولو عرفوا الأمان بينكم، لظهروا بينكم متجسدين، على الأقدام يمشون، ولكل العيون يُشْهَدون، لو أن ملائكة في أمان على الأرض يمشون، لأرسلنا إليهم ملائكة يُرْسَلون، وفيهم يُبْعَثون، ومعهم يتحدثون.

{لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله}[٣]، لو يصدقون، ولكن ما أقسى هذه القلوب، بالكتاب يعبثون، وبكلام الله ثمنا قليلا يسترزقون، وبحديث الله ينافقون ويراؤون، وأهل

السلطان أنفسهم لهم يبيعون ويعبّدون، ولهم عليهم وعلى عقولهم يربون، وما هم لله بعباد حتى يعبدوا، ولا هم ربانيين حتى يُرَبون، وبينهم عباد الرحمن هونا على الأرض يمشون، لهم يخاصمون، وبهم يكفرون ولحديثهم يكذّبون، ولسعيهم يخاصمون، وعملهم يفسدون، باسم الله ورسوله وباسم الدين... أي دين! هل هو إلا دين الشياطين!

إن الرسول من قبل، قال لكم ولأمثالكم، {لكم دينكم ولي دين}[٤]. {لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين}[٥]، وسوف يتكشف الأمر بعد حين فتكفرون بشرككم يوم أنكم، بهديه، لكم تَشْهَدون، فتُسْتَمْهَلون وتُنْظَرون. وها أنتم من قبله إليكم من المبلسين، يجري منكم الشيطان مجرى الدم وما تشعرون.

{إن الساعة آتية أكاد أخفيها}[٦] فلا تستعجلون، فلا الساعة في قائمها تعرفون، ولا القيامة في قيامكم تشهدون، ولا قائم الله حقا بينكم به تؤمنون، ولا حق الله لأنفسكم تطلبون، ولا بظلام أنفسكم تكفرون ولها تصلحون، وأنتم على ما أنتم، الناس إلى ما أنتم تَدْعُون، لتكونوا بعضكم لبعض عليهم أربابا وربانيين، وما أنتم لله بعباد أو لله بعابدين، حتى تكونوا ربانيين، أو في فضيلة أتاحها الله لكم، يوم أنكم بالله تُذَكّرون، وبه بينكم ومع الناس تتواصون، على ما عَلَّمكم من بينكم معلمون، أَمَروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، أنتم عليهم أنكرتم وما زلتم لأحيائهم بينكم تنكرون ولمعرفتهم تجحدون أو بتحريف لها تراؤون وتنافقون، لأنكم الحق لا تعرفون، فيمكنكم أن تعرفوا أهله يوم تشهدون، تعرفونهم أربابا مربوبين، وعبادا ربانيين، فتعرفون وتشهدون الله في العبد والرب مجتمعين وصفا يقوم في الإنسان للناس أجمعين. سبحان الله وتعالى عما تصفون، وتعالى رسول الله عما تذكرون، أو تُعَرِّفون.

ها هي الأحداث، تتوالى، وها هي الآيات بعد الآيات تتدانى، الله مبرزها شيئا فشيئا، بحكمة رحمته، وما انقطعت أزلا ولن تنقطع أبدا عن الأرض لكم، ولكنها في أيامكم وفي عصركم، ترهص بجديد، وتنذر بوعيد، وتبشر بسعيد.

فهلا هيأتم قلوبكم، هلا هيأتم عقولكم، هلا هيأتم نفوسكم، هلا أعددتم قوالبكم، هلا تجمعتم على رشيد منكم، هلا توسمتم ولو بحُسْنِ الظن، الإيمان في مؤمن من بينكم، عَزَف عن الدنيا، لم تُطغه، وعمل للآخرة لم تيئسه، وقدَّر الله، لم ينكره، وعرف الله في وجوده، قائما بجوده لم يجحده.

لو أن فيكم هذا الرجل، ولا بد أن يكون فيكم، ولا يمكن إلا أن يكون فيكم، وإن كان باخعا نفسه على آثاركم، فما زلتم على سنن آبائكم، تفلتون من قبضته، وتنكرون في دوام على بعثه ورجعته، وهو المبعوث فيكم بدائم رحمته، وتتخلصون في دائم من قيادته، وتنكرون على ريادته، وتفرون إلى شهوات أنفسكم من

ساحته، تُصَلُّون عليه لفظا، ولا تَصِلُونه قياما وفعلا، ولا تتكشفونه في أنفسكم، حقا ورحمة، ولا تسترشدونه فيكم ضميرا حيا، ولا تستمعون إليه فيكم، عقلا متحررا، ولا تجددونه بين جوانحكم، نفسا تشتعل فبه تنشغل وبقائمه تنفعل.

أقرب إليكم من حبل الوريد، من هو الذي هو أقرب إليكم من حبل الوريد؟ من هو النائم في الناس نيام؟ من هو القائم الطائف في القيام؟ إنه الحق من ربكم، {وقل جاء الحق وزهق الباطل}[٧] جاء الحق بمجيئه، وزهق الباطل بمجيئه بقلب هو كل قلب، يقوم ويتقلب في الساجدين في قالب هو كل قالب للمؤمنين، ما كان الله ليعذبهم وهو فيهم، وما كان الله معذبهم وهم فيه يستغفرون، وإن كانوا لا يعلمون، لا يعلمونه فيهم، ولكنهم وهم فيه، فبه يعرفون كيف يستغفرون وما كان ليعذبهم وهم يستغفرون من أنفسهم وظلامها وظلمها، زويت له الأرض رحمة للعالمين، وبعثت البشرية به بالحق، إزهاقا للباطل، نفسا كلية للنفوس، وعقلا كليا للعقول، وروحا كليا للأرواح، أول العابدين، وأول المتحققين، وأول الحق للساجدين، وبقية الحق للمتقين المحبين، مَهديا لا يغيب كوثره، وهاديا لا يختفي مخبره.

رفع شعار لا إله إلا الله للعالمين، وقام فيهم محمدا رسول الله، بالعارفين، فشهدوا لقيامهم، لله، أنه لا إله إلا الله، وشهدوا لرحمة الله أنهم في رحمة الله، وأنهم بها محمدا رسول الله، يوم أنهم لله ورسوله يؤمنون، ولله ورسوله يسجدون، أمام قبلة الله ورسوله، لكلمات الله ورسوله، بينهم يشهدون.

الله ورسوله على أنفسهم يربون، وببنيانهم لهما له يعبِّدون، يعرفونهم الحياة، بها يقومون، فيعرفونهم في الله قائم الحي للحي القيوم، فللحياة يكسبون، وبالحياة يبقون ويدومون، فالله لأنفسهم لاسم الحي القيوم يكسبون. هذه هي الجنة يوم تدخلون، ومن أنفسكم، في ضيقها، وموقوتها، وظلامها، وباطلها، منها تفرون، ومنها تفلتون، فعن النار تزحزحون، ومن أنفسكم في دوام تَحذَرون، ولها تجافون، ومعها تتخاصمون وتتحاربون، ولها لا تأمنون.

أي نار يخافون، وهم في النار يمرحون، وللنار يعشقون، وعلى عذابها يصبرون، وللقطيعة عن ربهم في قلوبهم يرضون، ولا وصلة له معهم يحاولون، ولا رسولا له في أنفسهم بالحب يشهدون، أو من بينهم يعتقدون، والخير فيه يتوسمون، فمعه يجاهدون، حتى يصلوا إلى ما يطلبون!

أي دين.. ذلك الذي يتحدثون عنه باسم الدين، لا سلاما ينشدون ولا إسلاما يعرفون، ولا في السلم مع ربهم، معهم، يدخلون، وله يتقون، ومن أنفسهم يحاذرون، وبعقولهم يسترشدون، وهم في مولد الفطرة

رحمة منه ونعمة، مولدا به يسعدون، لو أنهم له يقدّرون، فمع الأنبياء والصديقين والشهداء يقومون، في قائمهم هم معهم محشورين، عندهم وفيهم وبهم ولهم مذكورين، بألفاظ لا واقع لها ولا يقين!!

إخوانا في الله، بهياكلهم سررا لهم متقابلين، متلاقين، متعارفين، يعرفون أنهم طبقا بعد طبق، يبعثون، كما هم طبقا فوق طبق يرفعون، وأنهم من السماء رجعوا ومن السماء يرجعون، وأنهم من الأرض قديما خرجوا، وقائم قيام هم به منها يخرجون، فيعرفون فطرة الله لقائمهم، وصبغة الله لمن له يجأرون، وله يعبدون، ورحمته ينشدون.. (أبانا الذي في السماوات) [٨]، وأبانا الذي في الأراضين، أبانا في كل مكان، وأبانا في كل وقت وحين.

فلا إله إلا الله يشهدون، ومحمدا رسول الله يقومون.

اللهم يا من أنظرتنا، فكنا من قبله مبلسين، ورحمة منك به هيأت لنا، حتى نكون من المغيرين، لنغير أنفسنا إليه من ظلامها إلى نوره، ومن ضيقها إلى سروره، ومن ليلها إلى نهاره، ومن جهلها إلى أسراره، اللهم لا تجعل بنا حلولا لغضبتك، ولا تُنْفِذ فينا قضاءك، وارحمنا من عدلك، وعاملنا برحمتك وعفوك.

اللهم أيقظ طغاتَنا، وارحم بنا أمواتنا، وأمت نفوسنا بإحيائنا، ولا تعاملنا بكنودنا، وعاملنا معك برجائك لنا، وبصِّرنا بالرجاء لك حتى نرجوك، واكشف لنا الكفر بك، حتى نستعفيك، وحتى نستقيلك مما بنا.

أرسلت لنا من جعلته رحمة بنا، ورحمة منك لنا، ورحمة تَعُمُنا، رحمة لا تترك لنا ذنبا إلا غَفَرَته، ولا نقصا إلا أكمَلْته، ولا معوجا إلا قوَّمَتْه، اللهم حقق لنا به ما أردت له، واجعلنا به من أهل رجائك، وعافنا به من قيام بلائك، وقنا به من شرور فتنتك، واحفظنا به من مُهْلِك غضبتك.

آمنا أنه لا إله إلا أنت، وآمنا أنه العبد لك، وأنه القدوة لنا منك، وأنه الحق لقيامنا فيك، اللهم فيه فأقمنا، اللهم به فقُمْنَا، اللهم ظلالا له فألحقنا، ووجوها لك به فأسعدنا وأشهدنا، ووجهه إلينا، عليه فاجمعنا، ووجه بنا، به بك فأخرجنا، رحمة لمن عَرَفَنَا، ووقاية لمن جهلنا، حتى نكون به الأمة التي أردت، وسطا كما قومت، إليها انتهى ما قبلها، وبها اهتدى ما بعدها.. اللهم، افضح أمرَنا لنا، حتى نستيقظ من غفلتنا، حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، عالمين ومتعلمين.. مجاهدين ومتواكلين، ولا تتركنا لأنفسنا يا أرحم الراحمين، به فارحمنا، وله فأشهدنا، وفيه فأَشْهِدنا.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ أثلمه يعني كسر حافته

٢ من حديث قدسي: "إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ." صحيح البخاري.

٣ سورة الحشر -٢١

٤ سورة الكافرون - ٦

٥ سورة الكافرون – ٢- ٦

٦ سورة طه - ١٥

٧ سورة الإسراء - ٨١

٨ من الصلاة الربية " لو ١١: ٢"

(١١)

الهجرة

عبر المكان والزمان ومن الزمان والمكان، وإلى الزمان والمكان

من مكان لمكان ومن زمان لزمان، وإلى لا زمان ولا مكان ومن حيث لا زمان ولا مكان إلى حيث الزمان والمكان

حديث الجمعة

٤ محرم ١٣٨٧ هـ - ١٤ أبريل ١٩٦٧ م

باسم الله، وباسم رسول الله.

بالحق نقوم، وفي الله نعمل.

نشهده لا إله إلا الله، وبه نشهدنا محمدا رسول الله.

بنا يسجد لله، فنكون من الساجدين لله، السابحين في الله، المنزهين لله، المسبحين بالله، لمن سبح معنا في الله، فدخل معنا في حصن لا إله إلا الله، وفي وحدانية الله، وحدانية هي في أكبر، لأوسع وأرحب بوحدانية مطلق الله.. ويطول بنا إسناد عنعنة من ذواتنا لله، حتى إلى ذات وحدانية الله، في أحد لآحاد الله، لمطلق الله بروح لله، إلى روح لله، لروح أعظم وروح مطلق لانهائي لله.

بإدراك قرب الله، نقدر الله حق قدره، يوم نقدر أنفسنا به، ونعرف أنها بعيدة عنه بعيدا عنها هي شعار العدم، وأنها قريبة منه قريبا بها هي الحياة، وهي الكون والعالم، وهي الوجود، فنشهد بيقين أنه لا إله إلا الله، يوم نقوم بيقين لا إله إلا الله، كشفا للحجب وإقامة سافرة في حصن لا إله إلا الله.

فنعرف ونُعرِّف بيقين، يوم نَعْرف[1] بقيام، أن محمدا رسول الله.. يوم نقوم ونقيم محمدا رسول الله في خلق الله قياما للعباد لله، لإنسانية الله في مطلق الله بموجود الله، لوجود الله في وجود الله، عبادا لله، بقائم عبد الله.

في مثل هذا اليوم.. في مثل هذه الأيام من كل عام، نحتفل بأول العام الهجري.. نرى فيه عيدا.. نعود بأنفسنا إلى ذكراه، ونتأمل في أحوالنا بمعناه.

في مثل هذا اليوم هاجر رسول الله.. هاجر رسول الله كارها لأن يفارق أهله.. كارها أن يفارق أحب البلاد إليه.. كارها أن يبتعد عن أحب الناس عنده.. كارها أن يفارق عشيرته الأقربين.. وإن كانوا بئس العشيرة لعشيرهم، وهو نعم العشير لهم.

فعبر الله به وبقومه وبأحداث زمانه، كيف أن الإنسان بفطرته، كاره أن يفارق قائم حسه لذاته مستبدلا جوارحه النفسية إلى جوارحه الروحية يوم يفارق حسه الذاتي إلى حسه العقلي، يوم يفارق أحاسيسه الزمنية المادية، إلى أحاسيسه الروحية الأبدية، يوم يفارق عالم العدم لذاته إلى عالم الحياة لروحه. وهذا أمر يتم له يوم ينتقل بأنانيته والإحساس بها من جلدته إلى جوانيته قلبا ورأسا لموصوف الرب والعبد له في قائم حقه لحقيقته، اسما لله وكلمته.

أهملوه وما أهملهم.. قلوه وما قلاهم.. كرهوه وما كرههم، ما أحبوه ولكن أحبهم، شجرة بشريته أظهرهم، وهو في حقيقة أمره أول العابدين، وبعث شجرتهم لبشريتهم، إنه شجرة البشرية على الأرض بحقه لحقيقته، إنه سدرة المنتهى للخلق من البشرية بحقيته.

ضرب الله به مثلا لما أودع في كائن الإنسان لأحديته بواحديته من كنوده بقائمه لظاهره مع ربه لقائمه بباطنه وجوانيه، من كنوده بأحاسيس جلدته، وماديه مع معنويه بعاطفته وإدراكه، بقلبه ورأسه.

إنه كلمة الله التامة، {وتمت كلمة ربك}[2] توفاها الله مسيحا لإنسان عبوديته، فصار به عبدا لله، وأبرزها بجديد لقديم لمعناها، علما على سرمدي معناه لذاته وروحه، كلمة طيبة، هي شجرة طيبة، هي سدرة طيبة، أصلها ثابت، أصلها ثابت في الوجود مركز السماوات للشهود، وفرعها في السماء في كل سماء، قائم أمرها. ظهر الرسول الحق العبد على الأرض أمرا لها بمحمد، لفرعها توفى لعنوان موجودها، فبدلت به الأرض غير الأرض والسماوات.

صارت به الأرض سماء، وتكاثرت به الأرض أراضين، صارت به البشرية سبعا من المثاني وتكشف لها فيها بها الناموس، وقائم القرآن العظيم. صارت به البشرية كتاب الله الجامع لكتب الله، وكلمة الله

الجامعة لكلمات الله. صارت به الذات روحا، وتجسدت وتجمعت به الروح ذاتا، فكان روحا وذاتا، روحا لذات وذاتا لروح.

كلمة الله تامة متوفاة، أزواجا تواجدت، وأزواجا في قديم وجدت، وأزواجا في قادم وقائم تتواجد. تقوم مع من معه تقوم، مثنى وفرادى، فيعرف التوحيد لمعنى النعمة واليقين يوم يقوم الإنسان في التوحيد، ويعرف الجزاء والعطاء بقائم التعديد، لناموس الاختبار والابتلاء.. برؤية الأنا والأنت، مع من هو أنا وأنت، مع من هو فوق الأنا والأنت، مع من هو بعد الأنا والأنت، مع من هو لقائم الأنا والأنت، بأنت أنا، وأنا أنت. أنا وأنت لسنا إلا هو. وما كان هو إلا أنا وأنت.. وجه لوجه فيه.. نفنى عنا ونبقى به وجها لوجه، وجوه بالله ناضرة وناظرة، ووجوه لله قائمة حاضرة، بالله منظورة، (النظرة الأولى لك والثانية عليك)[٣].

له المثل الأعلى في السماوات والأرض، ولا يعرف إلا بمثل عليا.. للمثل العليا. ولا يتعارف لمثل دنيا إلا إذا اشرأبت إليه به لتكون مثلا عليا.. بإدراكها لوحدانيته تحت التحت على ما هو في وحدانيته فوق الفوق، لا تعرف وحدانيته لها قادمه إلا بطلبها في وحدانيته له قائمة. وهذا لا يكون إلا بكشف وحدانيته في دائمها بدائم نعمته ودائم رحمته، في الضمير متكلمة، وفي العقل معلمة، وفي القلب مقاربة، ولكلمة الله به متممة.. فهلا استمعنا إليها تنادينا من مكان قريب، من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال.

يعرف الإنسان الله لنفسه يوم يحيا بذكره، فيشرق العقل بحقه، فيعرف بيته لأمره فيستوي الحق في بيته على عرشه، فيسود العقل ملكا سيدا بسلطانه على ذاته، ويتحكم العقل في صفاته مطورا لها فتستقيم جوارح ذاته، وتحيا مواصلة كراته وكراته، في موجوده لذاته لكبير وجوده في الأعلى لذاته وروحه.

كرات بيضاء وعوالم ملائكية، وكرات حمراء وعوالم نفسية، مرجت في مجرى دمه، في صغيره لكبيره، تلاقت في برزخ وجودها بعالم ذاته، وهو في موجوده للأعلى بجماعه كرة سابحة فيه. فإذا ما تحرر وعيه لنفسه يوم ينعكس الإنسان بنظره وهمته، على ما هدي وبه أمر، إلى جوانيه، لكشف قائم صفاته وخصائصه لقيوم عقله على قائم نفسه في مشاهدة ربه لمعيته، بقائمه في بيته هو له وجه، وهو من ورائه بإحاطته، ومن أمامه بطلعته، وعن يمينه ويساره في قدرته لنجدته، ومن تحته ومن فوقه.. من فوقه لحمايته من نفسه، ومن تحته لحقيقته من ربه في نعمته ورسالته، ليكون بالله لاسمه، جنة داخليه وعزة متابعيه، وقدرة مستقيميه، ومشهود عارفيه، نفسا واحدة لقائم اسم الله وقيوم أسمائه، به فيه مشهودا لمن صلى وراءه بكل ما هو فيه، وجها لوجه لله، واسما لاسم لله.. نعم المؤمن مرآة المؤمن، ونعم المؤمن مرآة أخيه...

قائم الدين وحق الواردين وشمس المبصرين ومصباح نور الله في قلوب العاشقين، هم به في الليل سارين، وفي النهار عاملين.. {إن لك في النهار سبحا طويلا}[٤].. {إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا}[٥].. {تنزل الملائكة والروح فيها، بإذن ربهم من كل أمر، سلام هي حتى مطلع الفجر}[٦].. {وكان فضل الله عليك عظيما}[٧].. و{النور الذي أنزل معه}[٨] ، {نهدي به من نشاء}[٩].. {أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها}[١٠].. هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[١١].

أُعطي الرسول نفسا بشرية هي خير من ألف شهر أي من ألف كائن ملائكي من النور. أُعطي أرضا أبعاضها وذراتها أقمار، أشرقت عليها شمس الحقيقة لقديمها فجعلتها مدينة الأحرار، وقبلة الطواف والأسرار، تشد إليها الرحال ويقوم بها لله الرجال، بيتها حيث وجدت بيت الله في الحال والمآل، على ما كانت في سابق من مجال، بحق قامت في آزال وبحقها تبقى في الآباد لعين الحال. بيوت توضع وترفع، رحمة للعالمين، وقدوة للعالمين، وأمرا قائما قام ويقوم للمقتدين سلاما للمؤمنين وحربا على الكافرين، ووبالا على المتآمرين على هدم الدين، وإطفاء شعلة اليقين.

هكذا كان رسول الله.. وهكذا كانت عشيرته، يوم فاءت لأمر الله، فقامت بحكمة الله، وبقضاء الله، بعد أن أخرجته من بيته، وحرمته من داره، أقصته عن مدينة ربه، وأخرجته من وطنه، وأخرجته من سكينته، وأخرجته من دار محبته، فكان في ذلك محنته، وكان في محنته عطاؤه وجزاؤه ورجاؤه، لتمام قدوته وريادته، ثم عادت لطبيعتها مع أهل بيته، وثمرة جهدها وجهده، فتكررت المحنة وتكررت الحكمة. هكذا كانت الهجرة عندما قامت، وهكذا تكون كلما قامت وتقوم.

سأل الرسول، أما وقد أخرجتني من أحب الدور إليّ، ومن أعز البلاد عليّ، اللهم أسكني خير دار عندك وأحب بلد إليك ليعنون في قائمه بالظاهر، ما هو قائم بالباطن، يوم لا يتثاقل الإنسان إلى الأرض في طريقه إلى الله.. فأسكنه الله المدينة، وطنا جديدا، وجعل له فيها وبأهلها مولدا فريدا، وحقا وليدا شب كريما عتيدا من حق قديم خرج طريدا. {لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد...}[١٢]، في آدم من الناس، في غفلتهم، بها راضين وبجهلهم محورين وبمحنتهم جبارين مستكبرين.

(بئس العشيرة كنتم لعشيركم)[١٣]، وما زالوا، وما زال هو على ما كان، فأبدله ربه بعشيرة تالية، عشيرة حبيبة موالية، عشيرة تحبه، عشيرة ترتضيه، عشيرة ترضيه، عشيرة تؤويه، عشيرة تمنعه وتحميه. وهكذا يفعل الله له دائما. عرّفها الأنصار، وعرّفها الناس، وعرّفها أمته.

بذلك كانت هجرته من مكة إلى المدينة هجرة من عالم البلاء إلى عالم الجزاء والعطاء، ذكرى ما زلنا نذكرها مهللين، لكل هجرة من كل نفس نفارقها بالهجرة، عرفناها وقدرناها وأدركناها. هجرة، بها فتح رسول الله قلوب أهل المدينة.. فتحا عظيما إذ فتح الله له قلوب الناس بدينه في مدينته، وعوّضه عشيرة خيرا من عشيرته. فكان ذلك يوما من أيام الإسلام. طغى بذكراه على كثير من الأيام من أيام الإسلام، وكم في الإسلام عند قيامه من أيام، وكم سيكون له من أيام، لا تقِلّ عن يوم الهجرة فضلا.. وقد تعلو عليه شرفا وذكرا. فأين يوم الهجرة من يوم مولده، وأحداث عام الفيل، أو فتح مكة يوم بيوم خروجه ردا من الله ورسوله على يوم الاضطرار إلى الإفلات والفرار وكشف الناموس عن ثمرة وجزاء الاصطبار.

نعمت مكة بيومين من أيام الله للذكرى بما كان من إحسان الله على البشرية بإنسان الإحسان، هما يوم مولده عنونه عام الفيل.. عاما سجله التاريخ لمولده.. يوم ولد الرسول، فنصر عشيرته وهو في مهده، نصرها طفلا يكلم الناس في المهد بأحواله، أوتي الحكم صبيا، حاكما روحيا، فكان أقوى من رجال مكة وشيوخها.. أقوى من فرسانها، وأحكم من حكمائها. جاء الأرض ربا لهذا البيت، اسما وعلما لربه الذي أطعمهم به من جوع وآمنهم به من خوف، يوم أحاط أبرهة باسم النصرانية الداجلة أو النصرانية غير العاقلة، راغبا في أن يزيل هذا البيت لتعلو على الأرض كلمة الله بالإنسان الابن، أساء قومه فهمه وتقديره وقد ولد يومئذ صاحب هذا البيت.. ولد من يعنونه هذا البيت.. ولد حقيقة هذا البيت.. ولد من يشير إليه هذا البيت.. ولد القلب كلمة لله تتم، لقائم الإنسان الأب، وأول العابدين.. فمن الذي يقوى على الاعتداء على هذا البيت، وقد ولد إنسان الوجود طفلا ليظهر للشهود، حق الحياة وتمام كلمة الله، وشرف رسول الله، وحق عبد الله، ومشرق وجه الله للقلوب، وقائم اسم الله للعقول، وبيت ونصب الله للقوالب، لإحياء ذكر الله في هياكل النيام من النفوس، بين من غفلوه متخلفين ليلحقوا بمن ذكروه سابقين.

أمة تؤمن بالله وتعرفه، وتقوم بالله وتشرفه.. وتنسب إلى رسول الله عبادا لله، مع عبد الله يشرّفها وتشرّفه، يوم هي تعرفها فتعرِّفه، وتعرف الله أقرب للناس من حبل الوريد، فتنصف الناس يوم تنصفه، فتعرفه لها حقا تقومه وتقيمه وتتكلفه.

هذا كله كان في عام الفيل ليوم مولده. فهل جددنا الاحتفال بعام الفيل مقترنا بعزة سيده، ونصرة مجدده، وقد هوجمت أمته، وهو بين ظهرانيها طفلا على وسادته، تنتظره للظهور بقائمها على الناس سيادته، فناب عنه الله لنصرة قومه وعشيرته؟ فهلا توسلنا به لنصرتنا في محنتنا، واستنصرناه لنجدتنا في كربتنا.. هل اقترنت عندنا أحداث عام الفيل بيوم مولده، ونحن ما زلنا في كل عام نحتفل بيوم

مولده؟ هلا تذكرناه بما يليق به، مع ما أودع فيه سيدنا وسيده، أم أنا نحتفل به بصورة بعيدة كل البعد عن جدية مشهده؟

وهناك له ببكة يوم آخر قرين يوم مولده به نصر على عشيرته، قرين يوم هجرته، به نصرت أمته من الناس، هو يوم الفتح.. يوم فتح مكة وعودته إليها عزيزا قويا. نصر هو به على عشيرته فانطلقت في الوجود أريحته، وظهرت عزته، وعمت رحمته، وبدت حكمته، فيوم النصر على عشيرته لم يظهر عليها بعزته بل أطلقها برحمته، متألفا القلوب إلى محبته وما زال، وما زالت القلوب على قسوتها وجفوتها، فكان فتح مكة يوما من أيام رسول الله.

ولكنه يوم لا يرفع له في أمته بينها شعار، لأنه لم يبقَ له بينها قرار لأن عشيرته رأوا فيه هزيمتهم أمامه (وهو أحدهم)، بقاء مع أنفسهم، فكيف يجددون الذكرى لهزيمتهم، وقد رددوا في كربلاء الذكرى المرضية عندهم لردتهم، وهم لا يدركون في انتصاره النصر لحقيقتهم، حقا انتصر على مظلم وظالم جبلتهم، فهذا يوم ما زال مجفوا في بيئة محمد لأنهم يعفون عن نصرة محمد لمثاليتهم بحقه لحقيقتهم، بحقه على النفوس، ونحرها به لقيامتهم.

إن هجرته إلى المدينة كان فيها انتصار النفوس لحقها بمحبته، ولكن فتح مكة كان فيه انتصاره هو على النفوس بعزته. أما بمولده فكان فيه إشهاره وانتصاره لحقه لقائمه بفطرته، كما كان فيما وقع من قومه كشف لطبيعة الناس، في كنودهم لربهم بتفريط قومه في أمرهم لأمره، بجبلتهم من الشيطان يجري منهم مجرى الدم، وهم على ما هم، حتى يومكم هذا، صبغة الناموس ببقاء الناس في فطرتهم، إلا من رحم الله بعلم رحمته، مبدلين أنفسهم من شيطانيتها إليه، لحقي رحمته.

إن الرسول بحقيقته كما هو بخليقته[١٤] أمر لله قائم دائم، قديما وقادما، على ما هو في قيامه قائما. إن الرسول خلقية القوالب، خلقا به، تتخلق بخلقه لدوام، وحقيقة القلوب به تتحقق حتما لقيام، ونور العقول به تستنير قياما لسلام، ونار النفوس به تشتعل لحركة ومجاهدة ومقام.

هو وحدة من الناس، ومن الملائكة، ومن الإنس، ومن الجن، هو عنوان لمقام البشر في البشرية.. هو الإنسان للإنسانية، مثالا يقوم بفرده، يوم يقوم بحقه، وحضرة تقوم بجمعه، يوم ينتشر بنوره. فيقوم في الناس بعترته. تتحقق بهم للناس بشاراته بكلمة تامة سواء بينهم بذات وروح، وبشارات النبيين من قبله لفطرته لفطرتهم، والنبيين من بعده لتجديد أمره، والنبيين في قائمه لدائم كوثره، وعامل هديه ودائم رحمته.

أُعطي جوامع الكلم بروح قدس الله، وجماع كلماته تنشق عنه له فيه عذراء زهراء، فارتفع فوق الهامات علما للحق لكل علم للحق، قام، ويقوم متقلبا في الساجدين على أعلامهم في مطلق الله، بالنور الذي قام به قديما، وأنزل معه قائما، وجعل له دائما. فكان نور القلوب ونور العقول ونور النفوس، نور الهياكل يوم تصبح الهياكل من النور، ونور العقول يوم تتحرر العقول من الأفول، ونور القلوب يوم تحيا القلوب فتبعث من الموت، وتتواجد من العدم، وتستيقظ من النوم.

إنه مفتاح الحياة وسر الحياة، في قائم الحياة، عند القيام، وهو عارية الحياة عند النيام، وهو النور الحي في حكمة الأعلام.

بأمر الله هو أمر الله لكل أمر لله. خلقه وسلوكه ومعاملته دين القيمة، ومتابعته طريق الاستقامة، وحديثه بمعرفته الحكمة، وفعله بالأعلى الإرادة، وأمره بما هدى التشريع والتبليغ، ووحيه الدائم المكالمة مع كل كليم، وكوثره القائم السلام والمسالمة لكل سليم.

هاجر من مدينة إلى مدينة، ثم هاجر من أرض لسماء، ثم من سماء إلى سماء، حتى إلى سماء لأرض لم يعصَ ولن يعصى الله عليها، ثم هاجر من سماء لأرض إلى سماء لأرض، سبعا من المثاني، ثم جاء بالحق من السماوات عودًا إلى الأراضين أرضا فأرضا. إنه المهاجر دائما، إنه الهجرة الدائمة، وإنه العودة إلى حيث هاجر، يعود بالحق كلما افتقد الناس مهاجرا من حيث صار إلى حيث بدأ. إنه الحياة ومثاليات الحياة حيث وجد.

إنه دورة الحياة، وحلقات الحياة، وسلسلة الحياة. بهذا قامت رسالته على فطرته، إنه الجيئة بالمولد، وإنه الغيبة بالانتقال في كل أرض وفي كل سماء. إنه كلمات الله لظلالها في قائم حقها، منفردا بحاله. يقومها الناس في متابعة لآله، في التمسك بعترته لقدوتهم، قرين كتابه لمعرفتهم، وبكتابه حيا قائم بيته لقبلتهم، بأئمة ريادتهم. لا فرق بينهم ولا تفرقة لهم ولا تفرق فيهم. كتاب الله وعترته لكتاب الله وعترته.

بهما يتحدث بينكم في دوام وتسألونه بدائم له بكوثره في كل قيام، ويجيبكم بينكم بدوام حكمته رسالة لا ينقطع بينكم لها قيام. (يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها)[١٥].. (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[١٦].. (نزلت البسملة على كل نبي من قبلي ورفعت معه إلا أنا فقد أعطيتها لى ولأمتي)[١٧]، بها بينكم أقوم، وبها بينكم أُبعث وأدوم، وبها بينكم تنشق الأرض عني فأقوم، في دوام قيام لا ينقطع بين الناس نيام، في قيام بحكمة وهدي لسلام لا يتوقف، في صلة مع الله تبيتون بها عنده كلما بتّ، وعنده ستلاقونني، وبين يديه معكم تجدونني على ما أنا معكم فيه تشهدونني،

يوم أنكم لا تحولون بأنفسكم دوني، حقا لكم تقومونني، {هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[١٨].

اتقوا أنفسكم ولا تحولوا بها دوني، فأنا جديد نفوسكم بالحق يوم تعشقونني، فتكرهون أنفسكم بالباطل يوم تعرفونني، فتبادلونني عليها يوم تكبرونني، بتغيير ما بأنفسكم إلى نفسي تقتدونني، فأعطيكم نفسي حقية وآخذ منكم أنفسكم مظلمة ظالمة، أنا أقدر منكم على تقويمها وإصلاحها ثم المبادلة بها عند من يقبل فعلكم ويحتذي مثالكم.

هذا هو ناموس الفطرة، قامه بيننا ليكون به لنا، {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله}[١٩] فهو صبغة الله في الفطرة له بالوجود، أمره لخيره، وهداه لخيرنا به، أن {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه}[٢٠].

وحذره ونهاه لخيرنا {ولا تعدُ عيناك عنهم}[٢١]، ولا تستشرف نفسك إلى وجوه من أهل المادة من أهل الدنيا، إلى وجوه زينتها المادة، إلى وجوه من التراب قد تعجبك أجسادهم، وقد تسمع مخدوعا لمعسول أقوالهم، هم وجوه الأرض بمن عشقوها، وعلى أنفسهم ربيوها، فلا تختر لمواصلة نفسك من جعلناه زينة الحياة الدنيا، ولا تطع لإبراز قدوتك من أغفلنا قلبه عن ذكرنا، لا تتابع بحبك من اتبع هواه وكان أمره فرطا، وارقب وجه الله، وتعامل مع الله في الذين اتقوا والذين هم محسنون. إن الله كان بوجوه ظاهره عليما حكيما، على ما علّمك ربك، بمن علمه، وسوى بينكما على ما عرفك الأعلى مفيضا عليك من حكمته.

آتاك من لدنه رحمة وعلمك من لدنه علما، وضاعف الرحمة معك حتى لا رحمة إلا رحمتك. وضاعف لك العلم عنه بالعلم عنك له حتى لا علم إلا ما علمك. فقال رسول الله (أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها)[٢٢]. أنا لا أحب علما لا ينفع سائلا الله (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع)[٢٣].

اللهم بمن جعلته لحضرتك بابا، وعنك من غضبتك وعدلك حجابا، وجعلته منك حجاب نورك لعباد معرفتك، قيوم قائمهم في قائمك، فجعلت به كلمة الله عامة شاملة، ونعمة الله حاضرة ميسرة كاملة، اللهم به فارحمنا، وفي حجابك بنورك فأدخلنا، وفي حجابه من غضبتك فقنا، وبروحه روحنا أحينا، وبحقك به سلمنا وعلمنا وتولَنا.

اللهم إنا به آمنا ولم نره، فتغلغلت بالحب نفسه في خفي أنفسنا ففي أنفسنا رأيناه، وبنعمتك قمناه، وفي دينك دخلناه، وبسرك صليناه، وبسره وجها لك شهدناه، وبقائمه لقائمنا عرفناه، وبحقه لحقائقنا سبحناه، وبذرات وجودك بنا عنا نزهناه، وبأدبه في الكل عاملناه، فحققت لنا به ما وعدناه، فبما

تولانا تولينا، وبما أغنانا منك أغنيتنا، وبعلمه بك بالعلم عنا لك علمتنا، فبالحديث عنه حديثا عنك أمرتنا، وبالتعريف عنه أقمتنا، فعرفْناه على ما عرّفته، وعرّفناه على ما عَرفْته، فكفَّاه على ما وصفته فشرفته، وعلى ما شرُفناه فأشهدناه، يوم شرفتنا لعلمنا وقيامنا إياك لإياه، ومعناك لمعناه، وقيومك لقائمه، بقيومه على قائمك به في الناس.

لا إله غيرك ولا قائم إلا موجودك، ولا حي بحياة إلا من أحييت، فأنت الحياة، وأنت الأحياء. بك حيينا يا من هو الحي بنا.. يا من هو القيوم علينا بالحياة.. يا قائمنا بالحياة.. يا مقيم الحياة من قائمنا على من تقيم به الحياة معنا.

أمته أمة وسطا جعلتها خير أممك أقمتها وقومتها، وجعلت بها الأمة الوسط خير الأمم في قائم الفطرة لصبغتك وأمرا وسطا جعلته، وخير أمورك عرفته، اسما وسطا للعبد والرب قمته، وبالعبودية لك شرفته، وبالربوبية لك على العباد كلفته، وأربابا به قدرته فبالتنزيه لمطلق حقك أعلمته، وأرسلته، واسم القيام لقيومك وظهور قائمك في حاضرك لحاضر بك أشهدته، وفي المؤمنين بالله ورسوله أقمته، فأنت على ما أنت فوق الآزال وما قبلها، وفوق الآباد وما بعدها، وفوق القيام وقائميه، وبعد القيام ومتحققيه، لا شريك لك، ولا موجود بحق سواك.

اللهم بما عرفنا، فمكنا لنعرف.

اللهم بما شرفنا، فمكنا لنشرف.

اللهم بما علمنا، فمكنا لنعلم.

اللهم بما تحققنا، فمكنا لنحقق.

اللهم بما أيقنا، فمكنا لنوقن.

اللهم بما انتشر فينا من حقك فمكنا أن ننتشر به بحقك.

اللهم بمحمد فحقق لأهل الأرض فيهم رجاءه، ولا تعاملهم بنظرهم إليه، وعاملهم بنظرتك إليهم به.

لا شريك لك، أينما نولي فوجهك، وفي أي ما نقوم فأمرك.

اللهم بما حققتنا فحقق أخواتنا من الناس.

اللهم بمحمد عبدك ورسولك وحقك، فولِ أمورنا خيارنا بفضلك، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا لقائم عدلك.

اللهم به فارحمنا، حكاما ومحكومين، أمراء ومأمورين، ربانيين ومربوبين، مجاهدين وقاعدين، يقظين وغافلين، وقد جعلته رحمة للعالمين، به فارحمنا، وفيه فالقنا.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ تم وضع بعض علامات التشكيل وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٢ سورة الأنعام - ١١٥

٣ من حديث شريف: " يا عليّ إن لك كنزا من الجنة، وإنك ذو قرنيها، فلا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى، وليست لك الآخرة." جاء في حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل. كما جاء بصيغ مختلفة في المكتبة الشيعية.

٤ سورة المزمل - ٧

٥ سورة المزمل - ٦

٦ سورة القدر – ٣-٥

٧ سورة النساء - ١١٣

٨ سورة الأعراف - ١٥٧

٩ سورة الشورى - ٥٢

١٠ سورة الأنعام - ١٢٢

١١ سورة الشعراء – ٢١٨, ٢١٩

١٢ سورة البلد - ١:٣

١٣ حديث شريف: "بئس عشيرةُ النَّبيِّ كنتم لنبيِّكم، كذَّبتموني وصدَّقني النَّاسُ، وأخرجتموني وآواني النَّاسُ، وقاتلتموني ونصرني النَّاسُ، فبئس عشيرةُ النَّبيِّ كنتم لنبيِّكم". ورد في تفسير ابن كثير، للآية ٧٩ من سورة الأعراف، {فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ}، إشارة لقوم النبي صالح عليه السلام، ثم ذكر هذا الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم. كذلك جاء في السيرة النبوية لابن هشام، نقلا عن ابن اسحق، في حديث سيدنا محمد لأهل القليب.

١٤ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

١٥ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.

١٦ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر." أخرجه أبو داوود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داوود والحاكم.

١٧ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

١٨ سورة يوسف - ١٠٨

١٩ سورة الفتح - ١٠

٢٠ سورة الكهف - ٢٨

٢١ سورة الكهف - ٢٨

٢٢ حديث شريف: "أنا مدينةُ العلمِ، وعليٌّ بابُها، فمَنْ أرادَ العلمَ فليأتهِ منْ بابِهِ". المحدث: السيوطي. المصدر: الجامع الصغير، أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم..

٢٣ جزء من دعاء مأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ إِني أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وفتنة الدجال، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا، اللَّهُمَّ إِني أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا." أخرجه مسلم، والنسائي، والطبراني باختلاف يسير. كما جاء بلفظ: " اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ منَ الأربعِ، مِن عِلمٍ لا ينفَعُ، ومِن قَلبٍ لا يخشَعُ، ومِن نَفسٍ لا تَشبعُ، ومِن دُعاءٍ لا يُسمَعُ." صحيح أبي داود.

(١٢)

الهجرة الدائمة للمهاجر الدائم
في الوجود والحق القائم
مولود الفطرة ومبعوث الصبغة ورسول الحضرة
بفطرته فيمن لا نعلم يقوم، وبهم بصبغته فيمن نعلم يبعث ويدوم

حديث الجمعة

١١ محرم ١٣٨٧ هـ - ٢١ أبريل ١٩٦٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم.. باسم الحي القيوم.. باسم الإنسان.. باسم الوجود.. باسم العابد.. باسم المعبود.. باسم الموجد.. باسم الموجود.. بلا إله إلا الله، في القيام، وفى العيان، وفى الشهود.

في الفطرة نقوم، وبالصبغة نبعث، وبالحياة نبقى، وبالحرية ننطلق، وفي مطلقنا لمعاني جنتنا تكون سعادتنا، إليها نهدف، ولها نعرف.

الناس.. الإنسان.. الأشياء.. الكائنات.. المتكونات.. المقيدات.. المطلقات.. المنطلقات.. المسحاء.. المسخاء.. الأولياء.. الأتقياء.. الأشقياء.. الجبناء.. العارفون.. الغافلون.. الجاهلون.. الأدعياء.. الأوفياء.. الأصدقاء.. الأصفياء.. النجباء.. العرفاء.. العابدون.. المعبودون.. المخلقون.. الخالقون.. المتخلقون.. المتخلفون.

كل ذلك من صفات الإنسان، فيها يقوم، وبقيامها يعرف، وبكسبها يتطور ويرقى، وبتمامها يحيا، وبفقدانها يتلف، عليها يسمو، ومن مبدعها له، بسموه، منه يدنو ويدنو ويعلو ويعلو، ويرقى ويرقى.

الدجال، والمثال، لله المثل الأعلى، والمثل العليا، وبه يقوم المثال، ويستقيم الأمر، وتنتظم الحال. الله الذي هو الله لا يغيب ولا يحتجب، ولا يحاط ولا يغاير، ولا يتعدد ولا يتجدد ولا يتقادم.

المسح والمسحاء.. النبوة والأنبياء.. الولاية والأولياء.. صفات في الإنسان. فالناس بين مسيح ومسيخ.. والناس بين دجال ومثال.. والناس بين مسيح الرحمن، ومسيخ الشيطان.. والناس كلهم عابد، وكلهم معبود، ولكن يختلف فيهم العابد عن العابد، والمعبود عن المعبود، في العلم عن الوجود، وفي روابط الصفاء بأعلى لوصف الموجد عند الموجود.

تكلمنا عن الهجرة والمهاجر، في ناموس الهجرة، وبقاء المهاجر، بدوام الهجرة، وخلود المهاجر.. هجرة في الإنسان، يقوم بها الإنسان في ذاته، من مكان فيه إلى مكان.. من الرأس للعقل الخالق إلى القلب للكون المخلوق، أو من القلب إلى العقل بطلب الكون للمكون.. من المركز إلى محيط دائرته.. ومن محيط الدائرة إلى مركزها.. من رأسه عنوان محيطه لجلدته، إلى قلبه، مركز قيامه لجبلته.. ومن قلبه لحقيقته، إلى رأسه، لقالبه لرسالته، حقيقتان في الإنسان، تتزاوجان، ومراكزهما ووظائفهما تتبادلان أحدهما لباس للآخر وعنوان.

فالإنسان في نبوته.. والإنسان في ربوبيته.. والإنسان في عبوديته.. والإنسان في ألوهيته.. هو الإنسان.. هو المسيح وما يمسح فيه.. وهو المسيخ وما يمسخ به، فيوم يكون ميتا من تراب الأرض، فقد مسخت صورة الرحمن فيه، إلى صورة الشيطان له، فإن تخلى عن كونه لمعاني ذاته، إلى مكوّنه لمعاني حقيقته، قامت صفات المكون فيه، على قائم الوصف له، كونا ووجودا.

هذا ما جاءت به الفطرة، بدين الفطرة، برسول الفطرة، لقائم الفطرة بالناس، وبالوجود، كلهم اؤتمن على أمانة الحياة، فقام بالحياة في الحي القيوم، وجها للحي القيوم، فحرص على الأمانة فكسبها، وبقيت له، وبقي معها، وخَلُد بها، أو خان الأمانة فتخلت عنه، ففقدها، وبقي بعيدا عنها، في حسرة عليها.

يجادلون في الله، ولا علمَ لهم عنه، ولا قيامَ لهم به، ويتكلمون عن رسول الله، ما شهدوه لأنفسهم، وما قاموه في الأعلى له، بالأعلى عليهم، حتى يتكون، به لهم علم عنه بهم، بمن كان له رفيقا أعلى لأعلى عليه خلق فسوى أحدية لهم في واحدية لثالوث وجودهم، وقياما وحياة لهم، في قائم معبوده بأحده لأحدهم، في وجودهم وتواجدهم.

هو لهم وجهه، ويده، وقدمه، وسعيه، وهو لهم رحمته ونجدته وحقيقته، وطلعته، وجماله، وشهادته، وغيبه وقدرته، وسعته وعظمته، ومداناته ورحمته، وقربه ووحدانيته، وحقه لهم وأحديته. لا شريك لهم قياما به، بقيامهم فيه، وقيامهم له، ولا شريك له بهم أو منهم، فما كانوا أغيارا عنه، ولكن كانوا وجوها له، وقياما به.

هذه هي لا إله إلا الله، يوم تدركونها، ويوم أنكم شعارا لكم تقيمونها، وحصنا لكم تدخلونها، وكتابا لكم تنشرونها، وقياما بكم تعرفونها، فتكونون أمتها وخير الأمم، وتكونون أمرها وخير الأمور، وتكونون رسولها وخير الرسل، وتكونون إنسانها وخير الناس، وتكونون ناسها وخير الناسوت، وتكونون حقها وخير اللاهوت، تكونون اللهم، من اللهم، إلى اللـ.. هم، أمرا وسطا باللـ.. هم. هم الله، يؤمنون بالله، يعرفون الله، يقومون الله، يشهدون الله، كلهم الكلمة، وكلهم المسيح، وغيرهم المسيخ، كلهم المثال، وغيرهم الدجال.

المسيح بن مريم (حواء).. والمسيح بن آدم (عبد الله).. والمسيح بن عبد الله.. والمسيح عبد الله وابن عبد الله وأبو عبد الله، والمسيح الإنسان.. والمسيح الوجود للوجود المطلق.

المسيح كلمةُ الله.. المسيح روح الله.. المسيح حق الله.. المسيح للمسيح في ذي المعارج يجادلون في المسيح، وكلهم مسيخ، يُعرِّفون المثال وكلهم الدجال.. أي مسيح يعنون؟ وبأي مسيح يرتبطون؟ وأي مسيح يقومون؟

هل غاب المسيح؟ وهل احتجب المسيخ؟ إنهما صفتان في الناس، لا تنقطعان عن الناس، ولا يخرج منهما الناس، والناس بين أحدهما باختيارهم، وبإرادتهم، وبمجاهدتهم، وغفلتهم، وبمعرفتهم، بتواصيهم بينهم بالحق، أو بجهلهم في التفافهم حول كل شيطان مريد، باسم الله يقدمونه، واسما لله يؤمنونه، وأسماء له يتصفونه، يطغونه، ويطغونه، يظلمون أنفسهم ويظلمونه، وما ظلموا الناس، ما وقف الناس دونهم ودونه.

يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، إنه الدين، إنه دين الشيطان، وإنه دين الرحمن، لكم دينكم ولي دين، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، عليكم أنفسكم، ابدأوا بأنفسكم، لا تحاجوا الله، فهو الذي يحاججكم، فيسقط حججكم، ويقيم حجته عليكم، {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها}[1].. (عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به)[2].. (ومن نُوقش الحساب فقد هَلَك)[3].. (ما مات امرؤ إلا ندم)[4].

هذه هي المعاملة التي هي الدين، فلنتأمل هذه الحكمة بكلمة الرسول وقد جمعت كل الفقه وكل التشريع في عبارة قصيرة وأمر واحد (استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك)[5]. وهاك مقالة أخرى من الحكمة جمعت كل التحقيق في الطريق القويم، ولكل ما جاء بعد ذلك من التشريع المبين، ليلتحق بحكم التشريع المبلغ جمعها الرسول في هديه بقوله (عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به)[6]، فيها كل آداب الطريق.

فكل ما جاء بعد ذلك من التحقيق، فإنما هو تفريع عن حكمة التفقيه (استفت قلبك وإن أفتوك)[٧]، {فلله الحجة البالغة}[٨].. {لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون}[٩]. وكيف يسأل عما يفعل؟ ومن الذي يسأله عما يفعل؟ ومن هذا الذي يستطيع أن يسأله عما يفعل؟ ولكن الناس تفعل، ومن منهم الذي يفعل؟ إنهم الحمقى.. إنهم البعيدون عن إعمال عقولهم.

إن العقل يستطيع أن يعقل وأن يدرك، أن الله خير، وأن الله حكمة، وأن الله قدرة، وأن الله مغفرة، وأن الله رحمة، فإذا عقل العقل لله هذه الحقائق، هي الصفات له، يقوم بها الإنسان، وبغيرها وبنقيضها تقوم طبيعته في القطيعة، بما يلتحق به من صفات بالإيجاب والضد، فكيف يسأله أو يسائله؟ ولكن الناس بفساد أمرهم من رد أعمالهم إليهم، بحكم الناموس، أصبحوا يتشككون في موجود الله بهم، ولا يتشككون فيما عرفوا من جريان الشيطان منهم مجرى الدم، فهم لا يظنون بأنفسهم الظنون، ولكنهم يظنون بالله الظنون، وظن السوء.

لو عقل العقل ذلك، لكان حكيما، لكان فيلسوفا، ولو تحدث بحكمته لكان نبيئا، وفي قومه بالحق زعيما، ولو التفّ الناس حوله، يعرفون ما عرف، لكان إماما، ولكان سفينة نجاة، ولكان كلمة خلاص، ولكان نوحا، ولكان آدما راجعا إلى ربه، بكوثره لركبه.

لكان حقا.. لكان اسما لله.. لكان بسم الله الرحمن الرحيم، لكان كتاب لا إله إلا الله.. لكان قرآن كل رسالة.. لكان إنجيل كل حقيقة.. لكان توراة كل عهد وكل جماعة، وكل شعب مختار، وكل بيت مبارك، وكل أسرة مقدسة.. كان أمة، اجتمعت على أمة من الحق سبقت.. ولكان أمة لأمة على الحق تلحق.. لكان طبقا فوق طبق.. لكان أطباقا ترفع.. ولكان أطباقا توضع، حول بيوتها ترفع، وحول بيوتها توضع، لكان الناموس.. لكان الفطرة.. لكان الصبغة.. لكان الحق في الوجود، {من قتل نفسا [مؤمنة] بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا}[١٠].. {فصل لربك وانحر}[١١]، تقوم وتتقلب في الساجدين، {ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم، أو اخرجوا من دياركم، ما فعلوه إلا قليل منهم، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم}[١٢].

إن محمدا، أمرا وسطا، وجمعا وسطا، وأمة وسطا، وإنسانية وسطا، وروحا وسطا، وحقا وسطا، وبيتا وسطا، وأسرة وسطا، كان له ذلك كله.

كان المسيح بن مريم ابنة عمران، بقيامه المسيح بن آمنة بنت وهب. وكان المسيح بن عبد الله، بقيامه مسيحا لأبيه، بعثا وانشقاقا عن أبيه، عبد الله الذبيح بن الذبيح، وكان المسيح بن آدم، بقيامه وبعثه، حقا لحق من حق وأول عابدين، ذاتا وروحا، لسبق ولحاق بمعناه في المعبود الأزلي، بالعابد الأزلي،

فكان أصلا وأولا لعباد، وأصلا وأولا لأوادم، فكان المسيح الآدم، بذلك كله، كان كلمة لله تمت، بقيامها كلمة لكلمة أعلى ولكلمة أدنى متوفاة لأصلها وسبقها، بكلمات سبقت لكلمات تلحق، لعينها تتوفى، فكانت في المطلق مثالا، كان المطلق لها وجودا وحالا، وكانت له وجها، وعليه علما، وله اسما، فقامت رحمة للعالمين، أصلا لكلمات تلحق، وظلال تتواجد، ما جعل لبشر من قبله في قبل له الخلد، وله على ما في قديم جعل في قائم وقادم يجعل ليكون قدوة لتمام نعمة الله فسجد لله، وظلاله، في السماوات وفي الأراضين كلما ظهر وما ظهر إلا عبدا لله، شرف بموصوف العبد له.

ولم يتزحزح عن وصف العبد له، بشهود الحق فيه، وقيام الرب منه، وتجدد العبد به، وتكاثر الأرباب في قائم حقه.

(أعطيت جوامع الكلم)[١٣]، كل كلمات الله كانت عليه علما، وهو كان علم المعلوم له، بأعلى، لمثاله وحاله، رفيقا، تعارف إليه، وتجاوب معه، به كان هو ظاهر معطيه، من المعلوم له بعين قيامه به، لمطلق الله ولانهائيه، قدوة، كافة للناس في العالمين، بحاله وبدئه ومآله، بخلقه وحقه لمتابعيه، ولكل من كان فيه.

قام بالأعلى عرفه معه لقيامه به، عبدا له، لمعنى القديم، وعرّفه ربّه لقائمه له، بقيامه به، لمعنى الباقي، فتعارفا، وحقان تواصفا، ولأوصافهما تبادلا، وللأعلى بهما تزاوجا، فكان القديم به للأبد باقيا، وكان الباقي له بالأزل قديما، يوم أصبح القديم قادما، والقائم، متعاليا، متكنزا، والعلي قريبا ملبيا، في الوجود المطلق لله، يَعْلِمانه أسماءً له، وُيعلّمانه رسلا منه، ويقومانه عبادا له. كلاهما لأخيه أعلاه وقيامه وأدناه.

إن محمدا وربه، تبادلا قيامهما، لأنه ما كان هناك تفريق بينهما ولا فارق لهما قديم لقائم، وقائم لقادم، حق لحق، وإنسان لإنسان، وعنوان لعنوان، ووجود لوجود، في وجدان لوجدان، بتواجد لتواجد، لا ينقطعان ولا يفتران، بهما ظهر وعمل وعرف الرحمن للإنسان بالإنسان في لانهائي الله للوجود المطلق.

محمد وربه في مطلق الله، بهما عرف الناموس، وقُدِّر الله، بهما تعالى الله عن كل وصف، وبهما دانى الله كل موصوف، كل موصوف بالحق، كل موصوف بالإنسان، بهما كان الإنسان قائما على كل نفس، من وراء كل نفس بإحاطته، أقرب إلى كل نفس من حبل الوريد، بقائمه بحقه، ظاهره لوصف عبده، وعاقله بموصوف رسوله، وباطنه لقيوم حقه، أحدية ثالوث لقائمه، في ذاته وفي معناه، يوم يكشف له عنه غطاؤه.

هكذا كان، وهكذا هو كائن، كلما كان، وما غاب عن أن يكون، وهكذا سيبقى ويكون. تنشق الأرض عنه، وتنشق السماء للاجتماع عليه، وتنشق السماوات عن حقائقه، فتنشق الأراضون بكوثره لاستقبال أوادمه بمخبره، في عديد طرائقه، (إن لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق)[١٤].

الناس قائم قيومه، هو لهم من الحق، ينشدونه قيوم قائمهم، نور الله المنزل ولا رفع له.. نور الله الساري ولا قهر له.. نور الله المشرق ولا إطفاء له، لا تطفئه ألفاظ الأفواه، تتحرك بها الألسنة والشفاه، لا تصدر عن قلب ولا تصدق عن عقل، فكل ما صدر عن القلب أو صدر عن العقل ما كان إلا منه، وما كان إلا إشعالا لشعلته، فطرة رسالته، لا شرف لعربي فيها على أعجمي إلا بالتقوى، لا تميز فيها بين المناسك، أيًا ما كانت المناسك، ما قامت المناسك بهدي، وتابعت متنسكا بها بحق، {لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا}[١٥] {كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم}[١٦].

المسلم من لا يفرق بين رسل الله، وبين كتبه، وبين ملائكته وبين حقائقه.. المسلم من لا يفرق بين الناس، لأمانة حقه، ولشرف وجهه.. المسلم من سلم الناس من يده ولسانه.. المسلم من انتفع الناس بقلبه.. من أفاد الناس بعقله.. من خضع الناس لجنانه.. من سعد الناس بوجدانه.

المسلم هو الإسلام.. المسلم هو المؤمن والإيمان.. والمؤمن هو مرآة المؤمن.. المؤمن هو مرآة أخيه، يرى بها الحق فيه، يوم ينشد الحق له، بقائم الحق به، فيشهد جمال الحق فيه، في مرآته بأخيه، يوم يدخل معه في حصن لا إله إلا الله.

أين هو المسلم؟ وأين هو الإسلام؟ أعند هؤلاء الذين يدّعونهم المسلمين، ويزعمونهم المؤمنين، ويتكبرون بوصفهم المتحصنين بلا إله إلا الله، على من عرفوها وقاموها، وهم بأوهامهم دينا ما عرفوها، وما أحرزوها، وما قاموها، وما حرصوا عليها، وإن ولدوا في بيئتها وما شرفوها؟

يجادل المسلمون في المهدي، ويتخاصمون على المنتظر، ويجادلون أمما، على الكلمة، والكلمة بينهم سواء، في كل زمان، وفي كل مكان، وفي كل عنوان، الكلمة لهم يوم ينشدونها، وفي أنفسهم يوم يطلبونها، باحثين عمن قامها، فبجواره وفي حصن داره يتحصنون، وفي جواره في جوار لا إله إلا الله يدخلون، هو لهم بابها، وهو بينهم جلبابها، وهو لفقرائهم غناؤها، ولعطشاهم حوضها وماؤها. فهو للمجاهدين بها، هو لهم بإيمانهم غاية.. وهو لجهادهم نهاية.. وهو لهم في فقههم به وشريعتهم معه علم ودراية.. إذا حققوها.. كان لهم به في الله بداية، لا نهاية، وكانوا به لا نهاية لهم، ولا جذ لعطائهم، ولا توقف لمعراجهم، ولا قيد لانطلاقهم، لقائمهم لتقييدهم، لعين مطلقهم، في الأعلى لمطلقهم، وأحدية ثالوث لأحد لا ثاني له، وواحدية قيام لحق لا غيرية معه.

بهذا جاء الإسلام، وبه قام، وهم عنه يبحثون، وللصلاة على غير قبلة يقيمون، وبها قياما، وبعثا دائما، بأوهامهم عن الله يبتعدون. (كم من مصلٍ لم يزدد بصلاته من الله إلا بعدا)[١٧].. (كم من مصل والصلاة تلعنه)[١٨].. (كم من تال للقرآن والقرآن يلعنه)[١٩].. {فويل للمصلين}[٢٠] {الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون}[٢١].. {الذين هم عن صلاتهم ساهون}[٢٢].. وعن حكمتها، وأساس مشروعيتها يغفلون، {أرأيت الذي يكذب بالدين}[٢٣]، وقد انكشف وعرف لك يوم هو {يدع اليتيم}[٢٤]، يدعك أنت يا كوثر المسحاء والمساكين.

ما كان القرآن ورقا مصقولا، أو رسوما ونقوشا، أو خطوطا وحروفا، مخطوطا أو مطبوعا، ولكن القرآن إنما هو النفس، يوم تصبح بتجربتها ومعارفها، لله كتابا، وللحق جلبابا، وللأمر قياما، ولله شعارا، وللحق دارا، وللوجود قبلة، وللناس سنة وشرعة.

يعلمون ذلك يقينا، يوم نخرج لهم {دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون}[٢٥]، {رسولا من أنفسهم}[٢٦]، دابة لدواب الأرض، من أمة محمد في غفلتها، لموصوف الخليقة، بمحمد وأمته، لقائم الحقيقة، ضرب بينهم في حقيقتهم وبين ما هم فيه لخليقتهم بسور هو الدنيا طاغية، بسلطانها عالية، ظاهره من قبله العذاب، وباطنه من قبله الرحمة.

هل تابعنا محمدا ومن تابعه، فلم يلبسونا خرقتهم، ويطبعونا بطبيعتهم، ويبعثونا بجبلتهم، فنشهد من الحق فينا، ما شهدوا لهم من الحق فيهم؟ إننا يوم قالها من بيننا مسلم شاهد، فشهد أنه لا إله إلا الله، فأعلن شهادته (ما في الجبة إلا الله)[٢٧] صلبناه، وقد جعلناها من قبل سنة فكل حق ظهر بالأمر قتلناه...

كما فعلت أمة من قبلنا لا فرق بينها وبيننا، صلبت من بينها لها كلمة الله على ما فعلت بكلمات لله من قبله ومن بعده، وقد حاولت صلبه فشبه لها، خدعة من الله، خدعهم[٢٨] بها، وما زال بها خادعهم، لأنهم خادعوه، يخادعون الله والذين آمنوا، وهو خادعهم، وما يخدعون إلا أنفسهم.

إن أمة إسرائيل، بكوثر أبنائه أو أمة عيسى بن مريم وإخوته في أمه وأبيه ينتظرون مسيحا جديدا، وحقا وليدا، ينشق عن رجل، مرحلة ثانية في أطوار المسيح، ينتظرون المسيح بن عبد الله، وهل كان محمد على أرضهم غير المسيح بن عبد الله مسيحا انشق عن رجل تمام كلمة الله؟ فمن كان إذن رسول الله؟ أليس هو بن عبد الله شهادة وغيبا، خلقا وحقا؟ ولكنهم لا يدركون ولا يريدون أن يدركوا!!

حقائق الله، لأنفسهم، بخيالاتهم، يجسمون، وبتجسيمهم يخرفون، وعن الجادة يخرجون، ولخُلق القويم يهدمون، وبخلق منحط ينفعلون، وله بينهم يبيحون، وللرذيلة بينهم يشرّعون، ولاسم الذي ينتظرون

يشوهون، مسيحا يخرج من رجل، مسيحا يحمل به رجل، ويلده رجل، ويقذف به في الرجل رجل، ما هذا الهراء! ما هذا العماء! ما هذا البلاء!

ولكننا في عصر لكلمة، ترهص بقيام، وتنتظر عند الناس لسلام، تنشق عنها الأرض (أول من تنشق عنه الأرض أنا)[٢٩]، (أنا ابن الأرض)[٣٠]، (أنا حي في قبري)[٣١]، (تعرض عليّ أعمالكم)[٣٢]، وسأخرج لأسفر بينكم بجديد مرة أخرى، بداية هي قدمي، على ما أنا قدم الأعلى لمعنى إنساني.

هذا هو أمر المسيح الذي ينتظرون، وما هو بالمسيح الهادي والكوثر الدائم، ولكنهم ينتظرون الكلمة في يوم الفصل، وما هو إلا يوم البلاء، يوم القضاء، يطلبونه بجهل.. متى غاب المسيح للحق؟ متى غاب المهدي في الحق؟ متى غاب الولي بالحق؟ متى غاب عباد الرحمن لقائم الحق؟ متى غاب الرحمن وجها للحق؟ متى انقطعت رحمة الله بالحق؟ متى انقطعت ولايته بالحق؟ متى غابت عن الناس عناية الله فيهم لقائمه بالحق؟ متى حُرِم الناس هداية الله؟ {من يهد الله فهو المهتد}[٣٣].. (الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة)[٣٤]، إنه يعني الأرض والحياة البشرية عليها، وما بها وما لها من الحق، {ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم}[٣٥].

ولكن الناس ينتظرون! ينتظرون نجدة من بعيد! من السماء والسماء بين جوانحهم! ينتظرون نجدة من الله في سمائه، والله في بيته من قلوبهم! ولكنهم حقا فيهم يجافونه! وإلى ملكوته فيهم لا يتجهونه! وفي أنفسهم لا يطلبونه! وهو لهم في الوجود المطلق فطرة وصبغة، لا ينشدونه! ولا يتعارفونه! ولا يتواصونه!

وهم بعد ذلك المسلمون! فلمن أسلمتم؟ أللأوهام! وهم بعد ذلك اليهود! لمن هديتم؟ وهم بعد ذلك المسيحيون! فيمن مسحتم؟ في الأحلام! إنكم للغيوم، وللفهوم قمتم!، فلمن أسلمتم وفيمن مسحتم، وإلامَ هديتم أيها الأنعام!؟

إن الذي أسلم، قال إني أسلمت وجهي لله، فكان وجها لله أسلم له المسلمون فمن مسلمكم له تسلمون! {وأذن في الناس بالحج يأتوك}[٣٦].. وإن أتوك فقد أتوني، وإن عرفوك فقد عرفوني. أَذِن لموسى وهارون أن اتخذوا لكم بمصر بيوتا واجعلوا من بيوتكم قبلة، يستقبلها الناس، ويدخلها الناس، ويطوفها الناس.

ولماذا هي مصر ولمَ لم تكن فلسطين؟ لأن الله جعل من مصر ربوة ذات قرار ومعين، تشهد لمستقبلها من بعيد، وتبعث فيها الأديان من جديد لأنها أرض لها مكانة عند الله عالية، إنها كنانة الله في أرضه، إنها أرض مقدسة، إنها تمام الثالوث، للأراضي المقدسة للأرض جميعا لقائم مكانة خاصة بالشرق الأوسط، لوسط الأرض فيه شجرة الجنس لا شرقية ولا غربية، حي في قبره.

إنه أرض الأصول للكلمات.. إنه أرض الأصول للآيات.. مصر به بسهامها معلم الإنسانيات.. إن أهلها الوارثون.. إن أهلها الهادون.. إن أهلها العارفون، بالحق يبعثون، وبالضلالة يفتنون ويختبرون، وبالطغاة يقذفون، فيستيقظون، ومن عمائهم يخرجون، وإلى ربهم يجأرون، فبالافتقار يوصفون ويرحمون، وفي جأرتهم يجابون، وبيد الله ينجدون، وبقدم الله بينهم يسعفون، فبالحق ينصرون، وعلى باطلهم يتغلبون وينصرون، ساعة وقيامة يظهرون، يوما لليقين ويوما من أيام الدين.

أليسوا هم بمصرهم كنانة الله في أرضه، من أرادها بسوء قصمه الله؟ إنهم يوم يستيقظون فهم سهام الحق يقذف بها الباطل، في كل مكان، وفي كل عنوان، فهل عرفتم لكم بالإسلام هذا الحق، وقد قام بينكم بالعيان، وللدنيا معكم بعنوان، فقديما قذفتم بالفراعين، وأمددتم بالميامين، يوسف وموسى وهارون، ولجأ لحصنكم الكلمة، وأبناء الأمين؟

وحديثا، لِمَ لا تشهدون وتذكرون يوم تحولت موازين القدر، وأساليب القضاء، لحلفاء مصر، مع محور ألمانيا وتركيا، في حرب ١٤- ١٩١٨ العالمية، يوم تغير ميزان القوى عند حدودكم الشرقية، عند القنال، الذي جعل برزخا مائيا يفصل بين الأرضين من شبه جزيرة العرب وشبه جزيرة إفريقيا، به أصبحت إفريقيا جزيرة، تهيأ لمكانتها الخطيرة وبه جمع بين البحرين، الأبيض والأحمر للخلقين عنوانا على ما في رسالة الفطرة من الحق، في برزخ البشرية من الطين، لأمة المسلمين، فيهم يجتمع عوالم النور، وعوالم النار، لمعاني العقول والنفوس، في قائم وحدة من دار ومن جوار، لا يبغي أحدهما على الآخر، في حضرة صاحب الدار، في حضرة من جعل علما على الأعلى علما على صاحب السماوات والأرض دارا أكبر، دارا لدار في مطلق الوجود، وسيدا لسيد، في قائم الشهود، وحقا لحق، ووجها لوجه، وعبدا لعبد حتى إلى هيكل لهيكل في عالم الإنسان للحق في مطلق الله.

صدق رسول الله، وصدقت نبوءته، (مصر كنانة الله في أرضه، من أرادها بسوء قصمه الله)[٣٧]، ثم أكدّ بالأحداث ذلك مرة أخرى ليكون فيه للبشرية آية، مرة وأخرى، وعنونه مرة أخرى، عند العلمين، عند بيت محمد علي إشارة لمن هما في بلدهما من الأرض علمان، للأب والابن في الإنسان برسالتهما للعرفان، حقان يقومان، جعلت أرض مصر مأوى لرسالتهما، وبيتا لحقيقتهما، وقياما لأمرهما، فمن طلب المعرفة فليهبط مصر له فيها ما سأل، ومن طلب السلم مع الله والسلام معه فليهبط من كبريائه، ولينزل مصر فإن له فيها ما سأل.

فتحولت دفة الحرب مرة أخرى لصالح الحلفاء، ضد المحور، محور روما وبرلين وقد حلت روما محل بلد قسطنطين، حلول قياصرة محدثين محل قياصرة في الغابرين تذكيرا بمحور عاد وثمود، محور الباطل ينتصر للباطل، فتحولت دفة الحرب لصالح الحلفاء، لأن مصر كانت في صداقتهم في الحالين، فبذلك مثلوا

المجتمع البشري في الأمرين، وفي الزمانين، وفي القضيتين، فهل تنبه الناس من المسلمين والكتابيين إلى إشارة الأحداث إلى مصر، وأنها مركز للتحول الفعلي بيد القدر، في ملاحقة التحول الفكري في الإنسانية؟

واللفتة الثالثة كانت في حرب القنال، ومعركة بورسعيد يوم ظهرت بها آية الله عيانا بيانا (نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده)[٣٨]، فسلمت كنانة الله مما أريد بها، أما الآية التالية فربما كانت بيوم فلسطين.

إن الناس لا يتنبهون إلا بالقوارع، وها نحن نتتالى بيننا وعلينا القوارع ولا نفيق، ولا نستيقظ، ولا نتنبه ولا نتأمل، نبلوكم بنقص في الأنفس، والثمرات.. ولا من يفيق.

إن حادث الطائرة الذي وقع بالأمس بين مطار القاهرة وقبرص آية من آيات القدر. فروا من الموت، أو من خطر الموت، فلقوا في فرارهم الموت، عيانا بيانا. فروا من الرمال، فروا من العواصف الرملية، إلى العواصف الكهربية، فتنقض عليهم صاعقة كأنها تقصدهم في هذا الفضاء الرحب، فتقضي على مائة وثمانية وعشرين رجلا، يقضى عليهم في لمحة، وينجو منهم رجلان، ليكونوا آية للناس، على ما يفعل الناس بأنفسهم، برد أعمالهم إليهم في قضاء الله، في ناموس الله، في قوانين قدرة الله، ينجيهم بأبدانهم ليكونوا آية للناس ممن خلفهم، على ما سبق أن بمصر في قديم فعل في الفراعين.

لا تسألوا الله لماذا فعل؟ ولكن اسألوا أنفسكم لماذا فعل بكم؟ إنه {لا يسأل عما يفعل وهم يسألون}[٣٩]. والناس على أرضهم، كهؤلاء الذين كانوا على طائرتهم، إنهم على جناح القدر، فهل حرصوا على ذاك الجناح يركبونه، وقد خفضه الله لهم، لموصوف دونهم، اخفض لهم جناح الذل من الرحمة؟ لا تنسوا أن هناك جناحا آخر، له أمر آخر، وله شأن آخر، وله فعل آخر.

إنسان الله.. عبد الله.. إنه صاحب الجناحين.. إنه باب القبلتين.. إنه ساحة الحضرتين.. إنه قائم الأمرين.. إنه سيد الكونين، يملك الدنيا والآخرة له دارين. إنه وجه الله لأهل الدنيا بقائمه بالآخرة، وإنه وجه الله لأهل الآخرة، بقائمه من أمر الدنيا، يتجلى بأهل الآخرة، على ما يليق بهم، في حدود عطائهم وكسبهم بما كسبوا من الله، ويتجلى من أهل الدنيا قائم أهل الدنيا، يوم يظهر بها نفسا واحدة على ما يليق بأمره من الله، ليكون لأهل الآخرة، باب رجائهم، وحق مآلهم، وحافز نزولهم، ودافعهم إلى رحمة الناس، ليكون لهم به في العالمين قبلة، عند بابها يسجدون، ولما هو من ورائها يطلبون، فيكشف لأهل الدنيا عن بابه بالآخرة بهديه (السماء قبلة الدعاء)[٤٠]، إلى باب الروح مشيرا، (أنا روح القدس)[٤١]، معلما عنده يسجدون، ولما وراءه، من أمرهم له يجهلون، معه لهم يطلبون، وإن كان هو

أمرهم بين أيديهم فيه يفرطون، وعنه يعمهون، وله لا يعملون، الرسول بكوثره بينهم قائم الحق في أنفسهم ولا يبصرون. (كيف بكم وقد نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)[٤٢].. (يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا)[٤٣].. (لا مهدي إلا عيسى)[٤٤].. (المهدي ولدي)[٤٥].. (الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة)[٤٦] (تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي)[٤٧].

إن الله معكم أينما تكونون، إن الله لكم كيفما تكونون، إن الله بكم يوم تعرفون، وإن الله لكم يوم تنشدون اسما أعظم له تقومون، به تبعثون فأين له تطلبون؟ في المساجد! في المقابر! في المعابد! في القصور! في الموالد! في المزارات! في المشاهد! في المصانع! في المزارع! إنه فيكم وفي أنفسكم يُطلَب، وإليكم بكم فيكم يعرف، وبكم لكم فيكم بعضا لبعض يتعارف.. (لا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله)[٤٨]، (يأكل الذئب من الغنم القاصية)[٤٩].. {أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا}[٥٠] عبادة الفرد؟ عبادة الجماعة؟! من يكون الفرد؟ ومن تكون الجماعة؟ أهذا الطوب وهذه المتارب! أين القلوب؟ وما تكون القوالب؟

إن المعرفة بالله لا تأتي عن طريق الرواية، إن المعرفة بالله لا تأتي عن طريق الهواية، إن المعرفة بالله لا تأتي عن طريق القراءة، إن المعرفة لله تأتي عن طريق اتجاهكم إلى أنفسكم، إلى قلوبكم، إلى داخلكم، إلى جوانيكم، (إن لله كنوزا مفاتيحها الرجال)[٥١].. (فلينظر أيكم من يخالل)[٥٢].

إن كنوز الله لكم فيكم، وإن مفاتيحها الرجال من بينكم، أولياء أو وسطاء. (طوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير، مغلاقا للشر)[٥٣]، (لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها)[٥٤]، إنها ليست الكثرة، وإن المنشود، ليس هو القلة، خيركم لأهله من كان خيركم للناس، وخيركم للناس من كان خيركم لأهله. (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٥٥].. {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير..}[٥٦].

لقد كانت آسيا القارة بيئة نبوة وأبوة وحكمة، وكان شبه الجزيرة العربية بيئة رسالة بنوة ورحمة وأمومة حانية، وكانت أوربا شبه جزيرة أخرى لآسيا بيئة رسالة نبوة وبنوة وعلم، كلها رسالات لآدم وها هي ذي أفريقيا جزيرة من الأرض تمت إحاطتها بالماء تهيأ لتكون بيئة رسالة القلب الإنساني إلى العقل البشري الحائر بكلمة متوفاة، كأنة الله، تنتظرها البشرية لرسالة السلام.

اللهم يا من جعلت لنا الإسلام دينا لنا رضيته، اللهم أدخلنا في الإسلام إسلاما بعد إسلام وسلاما بعد سلام.

اللهم يا من جعلت الإسلام دينا للسلام، اللهم فارزقنا به السلم ودائم السلام.

اللهم يا من جعلت الإسلام كتابا، تكتبه النفوس، وتقرأه العقول، وتقومه القلوب، اللهم فحقق لنا فينا الإسلام.

اللهم به فثبت خطانا، وابعث لنا فينا معنانا، واجعل الرسول بك مولانا، واجعل بحقك له فينا معنانا، يا من به تولانا، فأولانا، لا تتخلى عنا يا مولانا.

اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ به بقانون عدلك منا شرارنا، ردا لأعمالنا.

اللهم إنه لا حجة لنا عليك، ولك الحجة البالغة علينا، اللهم تجاوز عن منحط جدلنا بجهلنا، واكشف لنا حجتك علينا دون جدل منا، فالقنا على ما رضيت بمن لقيت مرضيا منك وأقمنا بمن رضيت، فيمن رضيت.

واجعل اللهم من محمد إمام ركبنا إليك، وصادق حديثنا بك، فافتح بحقك له آذاننا وقلوبنا وعقولنا، وأفئدتنا، ونفوسنا، وقوّم به أمرنا، حتى نكون به شرف أمرك، وظاهر سرك، وقائم جهرك، معلنين مشاهدين، قائمين بلا إله إلا الله، مؤمنين مشاهدين مشهدين قائمين مقيمين محمدا رسول الله.

لا إله غيرك ولا معبود سواك.

اللهم به فأصلح أمرنا حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، أئمة ومتابعين، مجاهدين ومقلدين، عاملين وخاملين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة البقرة - ٢٨٦

٢ حكمة دارجة، توافق مقولة الإمام علي كرم الله وجهه: " قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: "اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً بَيْنَكَ وبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لَهُ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ واكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، ولَا تَظْلِمْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا تُظْلَمَ".

٣ حديث شريف عن عائشة أم المؤمنين: "ليسَ أحَدٌ يُحاسَبُ إلَّا هَلَكَ قالَتْ: قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِداءَكَ، أليسَ يقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: {فَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسابًا يَسِيرًا} قالَ: ذاكَ العَرْضُ يُعْرَضُونَ ومَن نُوقِشَ الحِسابَ هَلَكَ. صحيح البخاري.

٤ من حديث شريف: "ما من أحد يموت إلا ندم. قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع." أخرجه الترمذي، وابن عدي، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد، والديلمي في الفردوس، والبغوي في شرح السنة.

٥ من الحديث الشريف "استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك." أخرجه أحمد بن حنبل والدارمي.

٦ حكمة دارجة، توافق مقولة الإمام علي كرم الله وجهه: " قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: "اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً بَيْنَكَ وبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لَهُ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ واكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، ولَا تَظْلِمْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا تُظْلَمَ".

٧ من الحديث الشريف "استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك." أخرجه أحمد بن حنبل والدارمي.

٨ سورة الأنعام - ١٤٩

٩ سورة الأنبياء - ٢٣

١٠ سورة المائدة - ٣٢.

١١ سورة الكوثر - ٢

١٢ سورة النساء - ٦٦

١٣ جزء من حديث شريف: "فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بِستٍّ: أَعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وأَحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسْجِدًا وطَهورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كَافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّونَ). سنن الترمذي، ومسلم باختلاف يسير. كما أخرج البخاري بعضا منه في أحاديث أخرى.

١٤ مقولة صوفية

١٥ سورة المائدة - ٤٨

١٦ سورة البقرة - ١٨٣

١٧ حديث شريف ذات صلة: "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدا." أخرجه الطبراني في الجامع الصغير للسيوطي. كما أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان."

١٨ استلهاما من الحديث الشريف: "رب تال للقرآن والقرآن يلعنه." حديث شريف نسبه الغزالي في (إحياء علوم الدين) لأنس بن مالك

١٩ حديث شريف نسبه الغزالي في (إحياء علوم الدين) لأنس بن مالك: "رب تال للقرآن والقرآن يلعنه."

٢٠ سورة الماعون- ٤

٢١ سورة الماعون – ٦, ٧

٢٢ سورة الماعون - ٥

٢٣ سورة الماعون ١

٢٤ سورة الماعون - ٢

٢٥ سورة النمل - ٨٢

٢٦ سورة آل عمران - ١٦٤

٢٧ مقولة للحلاج.

٢٨ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٢٩ من الحديث الشريف: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا فخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولا فخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا فخرَ." صحيح ابن ماجه.

٣٠ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٣١ حديث شريف يتردد في أدبيات التصوف، يتوافق مع الحديث الشريف: "الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ". أخرجه أبو يعلي والبزار.

٣٢ من حديث شريف: "تعرض عليّ أعمالكم، فما رأيت خيرا حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم." أخرجه النسائي والطبراني.

٣٣ سورة الكهف - ١٧

٣٤ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٣٥ سورة النساء - ١٤٧

٣٦ سورة الحج -٢٧

٣٧ عبارة يقال إنها ليست بحديث شريف ولكن موجودة في الأثر، ولها مرجعية بأكثر من لفظ: قال السيوطي: (وفي كتاب الخطط يقال إن في بعض الكتب الإلهية (مصر خزائن الأرض كلها فمن أرادها بسوء قصمه الله). ووجدت في كتاب الموضوعات لعلي القاري: (مصر كنانة الله في أرضه ما طلبها عدو إلا أهلكه الله.)

٣٨ إشارة إلى الحديث الشريف للرسول، وقت فتح مكة: "لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه، صدَقَ وعدَه، ونصَرَ عبدَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه " أخرجه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، باختلافات يسيرة.

٣٩ سورة الأنبياء - ٢٣

٤٠ عبارة صوفية ترمز إلى أن السماء مهبط الرزق والوحي وموضع الرحمة والبركة.

٤١ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.

٤٢ حديث شريف. أخرجه البخاري ومسلم بلفظ: "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم."

٤٣ من حديث شريف: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا...." أخرجه البخاري ومسلم.

٤٤ حديث شريف رواه ابن ماجه.

٤٥ حديث شريف: "المهدِيَّ رجلٌ مِنْ ولَدِي، وجْهُهُ كالكوْكَبِ الدِّرِّيِّ". أخرجه الطبراني.

٤٦ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٤٧ إشارة إلى حديثين شريفين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي:

٤٨ استلهاما من {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله} سورة آل عمران - ٦٤

٤٩ حديث شريف: "ما من ثلاثةٍ في قرية، ولا بَدْو لا تُقَام فيهِم الصلاةُ إلا قد استحوذَ عليهم الشيطانُ، عليكَ بالجماعةِ فإنّما يأكلُ الذئبُ من الغنمَ القاصيةَ". أخرجه أبو داود، والنسائي، وأحمد باختلاف يسير.

٥٠ سورة سبأ - ٤٦

٥١ حكمة تتناغم مع الحديث الشريف: "إنَّ من الناس مَفاتيح للخير مَغاليق للشَّرِّ، فطُوبَى لِمَن جعَل الله مَفاتيح الخير على يدَيْه، ووَيْلٌ لِمَن جعَل الله مفاتيح الشَّرِّ على يدَيْه." أخرجه ابن ماجه في سننه، وهكذا صححه ابن حبان.

٥٢ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.

٥٣ من الحديث الشريف: "إنَّ من الناس مَفاتيح للخير مَغاليق للشَّرِّ، فطُوبَى لِمَن جعَل الله مَفاتيح الخير على يدَيْه، ووَيْلٌ لِمَن جعَل الله مفاتيح الشَّرِّ على يدَيْه." أخرجه ابن ماجه في سننه، وهكذا صححه ابن حبان.

٥٤ استلهاما من حديث شريف يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم الإمام علي بن أبي طالب: " فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لكَ حُمْرُ النعم" أخرجه البخاري ومسلم.

٥٥ حديث شريف. صحيح البخاري. جاء أيضا: " والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيدِهِ لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ من الخيرِ." أخرجه النسائي ومسلم.

٥٦ سورة آل عمران - ١٠٤

(١٣)

مَن نكون؟!
نَنشَغل ونُشغَل ونجعل لنا بمادي الحياة عن حقها شاغل، وحق الحياة لنا في موجودنا الظاهر والباطن والقيوم والقائم والمنفعل والفاعل

حديث الجمعة

١٨ محرم ١٣٨٧ هـ - ٢٨ أبريل ١٩٦٧ م

صعد إلى الفضاء الخارجي، وأصبح ولا شيء معه.. فتساءل بينه وبين نفسه.. إذن أين هو.. ذلك الذي يتحدثون بوجوده ملء السماوات والأرض؟! وعمي عنه ملء نفسه! عمي عنه معه يراه ويسمعه! عمي عنه الحياة به له!

فلما عاد إلى الأرض بأرضه، تاركا السماء لسموه، لم يحتفظ بتساؤله في نفسه مدركا لحيرته بقائمه، مفتقرا للإدراك لأمر قيومه، بل أفضى عما بذات نفسه معلنا على الملأ إنكاره وريبته في أمر ربه. والناموس لا يؤاخذ الإنسان بخواطره، وإن كان على علم بها. فإذا ما أبرز الإنسان خفي نفسه، أصبح مسئولا عما أبرز من أمره، وأصبح لزاما على الناموس أن يجيب على إنكاره، بإخباره، ومن سمع عما بينه وبينه.

أعاد الكرة، فكان على المتسائل معه، والمتسائل عنه، أن يقدم الدليل له على وجوده، هذه المرة، عِلما لا يعلم إلا يوم يحيط به، ويكشف الغطاء عنه، عندما يجتاز به بوابة الموت، ليشهد ما كان قائما به، وفى نفسه قائم الله على كل نفس، وقائم الرب لها منه في كل نفس مما كانت تحيد عنه من الحق لأمرها، لكن قومه ما زالوا على ما هم من فطرة الإنكار والجهل لا يتعظون بما هو قائم بينهم في دوام من أمر التحول إلى الحق، فيعلنون في ولولة الحزن، وفي ضجيج البكاء، (هلك كرفاروف)[١]، نعم هلك،

وجاءت سكرة الموت بالحق، هلك القابل للهلاك فيه، خرج إلى الفضاء الخارجي ولم يعد، بل واصل المسير، فقد لقي من يتساءل عنه، لقي ربه.

إن الإنسان والإنسان والإنسان، على أرضكم، إنما هو قائم واحدية إنسان واحد، لقيومه لأحده، بين آحاد الله، حقا من حقائقه، وقدسا من أقداسه، ووجودا بين موجوداته، نفسه عليه الحسيب، وهي له معه الرقيب، وهي فيه بإيمانه له الحبيب، وهي له بافتقاره الخليل المجيب. إنه وإياها قائم الرب والعبد في الله.. إنه العقل للنفس في قائم عالمه بذاته لذواته، فبدونه لا إله عنده، وبدونها له، لا وجود له ولا حياة، فهي بدون الله لها الهلاك والعدم، وهي بالله لها الحياة والبقاء، والقدم.

من أراد واعظا، فالموت يكفيه، ومن أراد مؤنسا، ففي حديث الله المتواصل بالإلهام ما يغنيه، ومن أراد عِلما فليتأمل فيما هو فيه، ومن أراد للوجود مثالا فلينقب به عن المثال فيه، فيتكشف له عنه ما يعنيه وما يغنيه وما يرضيه. (إذا رضي الله عن امرئ، جعل له من نفسه واعظا يأمره وينهاه)[٢]، بما يصلح به له أمره فيه.

يا هامان، ابنِ لى صرحا لعلي أتطلع إلى إله هارون وموسى.

يا علمائي، اصنعوا لي قمرا يطير في الفضاء، ويصعد إلى السماء، لنرى إن صح ما يقول عنه الأنبياء.

يا وزيري، ابنِ لي برجا، أتطلع منه إلى السماء، وأحيط منه بهذا الفضاء.

يا خبرائي، شيدوا لي مدينة أعرف وأذكر بها في كل العصور، واجعلوا لى شعارا أعرف واذكر به مدى الدهور.

يا شعبي، تضافروا، واعملوا، عَلنا نستطيع بما هو بنا، فليس هناك غيرنا، لعلنا نستطيع غزو الفضاء وتحقيق السلام والرخاء، يا شعبي أعني لأقدم لك السعادة.

أيها الناس اقبلوا نيري لصلاحكم، وسودوا عليكم من أسود لكم.. أنا الناموس، أنا الأعلى والأدنى والقاموس.

هذه مقالة كل طاغية بأمر لله به، فبعزتك لأغوينهم أجمعين، حتى لو كان أمره من الرحمة، فأسرف بها إلى حد الطغيان في استعمالها، فكان لفعله رد فعل يعود عليه بتعطيل امتداده برحمة الله، {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}[٣]، إن أساس تواجد الإنسان في الله، أن يتواجد بإرادته في قائم حريته بعيدا عن هدم إرادة الناس، وتعطيل حرياتهم.

إنه الإنسان دائما، في قديمه فَعَل، وفي قائمه يفعل، وفي قادمه كلما ارتد إلى غفلته، وطبيعته من جبلته، يقوم ويفعل. إنه يزاحم الناموس دائما، ولا يرضيه أن يُمحَى فيه ويقوم به.

الإنسان هو القادر، يوم يُقَدر بقدرة عقيدته في الأعلى ناموس قيامه، وبقدرة معتقده في الله، إيمانا بقدرة الله له، لا فرق بينه وبين مرآته فيه بالأعلى والأدنى. قَدّره الله بقدرته، فَقُدرته من قدرة الله بظاهره وباطنه، بمادته وروحه. ويوم يتحد فيه له الأعلى والأدنى، يومئذ يعمل مستقيما، ويقدر محسنا، ويستطيع أن يعمل بلا خيبة، ويمكنه أن يبرز ما فيه من قدرة بلا عجز.

رباط العقيدة، رباط الحياة.. وهو رباط المعرفة، ورباط الحب، والعشق والهيام، إنه رباط الإنسان بظاهره، مع الإنسان لنفسه بباطنه.. إنه رباط الإنسان بإنسانه.. إنه رباط الإنسان بالإنسان.. رباط الإنسان بإنسانيته.. رباط الإنسانية بإنسانها.. رباط العابد والمعبود، وحدة المعبود والعابد في الوجود الإلهي.

إن وجد هذا الرباط، وجدت الحياة، وإن وجدت الحياة، وجدت القدرة على الإبصار والسماع، ووجدت القدرة على الكلام والإعلام، ووجدت القدرة على الإنصات والتقبل والفهم لحديث الله، بالآيات، مما ترى، ومما تسمع، ومما تعي، ومما تحس، ووجدت القدرة على الحديث والإبانة بالخلق والإبداع.. وتجلى الإنسان بالكون تعبيرا عن نفسه.

حديث الله قائم متصل، أزلي أبدي صمدي، حديث سرمدي لا يتوقف أبدا، إنه تعبيره عن نفسه بإبداعه الدائم للإنسان، المعبر عن نفسه في دائمه بما يبدع في الكون من أكوان، رسولا منه، بذلك يتحدث الإنسان الحق من أفواه الوسطاء الموصولين بالأرواح المرشدة، رسل عوالمها راشدين.

هل استمع الناس لصوت الله في أحداث الطبيعة، وأحداث الحياة، وأحداث الوجود؟ هل قرأ الناس في كتاب الله بمشاهدة آياته في أنفسهم وفي الآفاق؟ هل أنصتوا إلى حديث الحكمة الربانية من أفواه الواصلين من العارفين، أو من أفواه الوسطاء الملهمين هم ألواح كتابه المتجدد، وحديثه المتصل، وتعبيره المداني؟

ليست آيات الله، حروفا تجمع، وفي آلة على ورق تطبع، والورق برسومه إلى الأنظار يدفع.. إن آيات الله تقرأ، في أحداث الطبيعة، وظواهر الطبيعة، ونواميس الطبيعة، وقدرات الطبيعة، تسود الإنسان وتستهلكه في ماديه، ويسودها الإنسان ويستهلكها في حقيه، ويقومها الإنسان وتطوره وتطورها في خلقيه.

إن آيات الله تشهد وتسمع، وتدرك، في وجيب القلب.. في دقات القلب.. في نبضات القلب.. في حركات القلب.. في دورة الدم.. في طاقات العقل.. في وظائف الرأس.. في التزامات الفؤاد.. في انتفاضات الإرادة.. في انتظام الهيكل.. في كل حركاته وسكناته.. ملكوتا قائما لله بين جوانحكم بذاته. {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[٤] في هذا آيات الله، وأحاديث الله المتصلة، لا تنقطع أبدا عن مملكته بكم، تشهدونكم بظاهركم في ملكوته الأكبر من حولكم، كما تشهدونكم الأكبر في ملكوتكم لكم بباطنكم في الله ذي المعارج.

فهل استمع الناس لصوت الله، في قوارع الحياة، تبدأهم في كل صباح، وتلاحقهم في كل مساء؟ فيضان الفرات، فيضان كل نهر في كل مكان، إذا خرج عن الانتظام، شرد وقتل وهدم وأتلف، أتلف جهد الإنسان في عشرات السنين، في لمحات من الوقت. أتى على ما أثمرته أيدي الناس، بالآلاف والملايين، في السنة والسنين، وعشراتها والقرون، في بطشة واحدة، بضربة واحدة.

ها هي ذي ظواهر الطبيعة، تطالعنا بها صحفنا في كل يوم، فتعرض لمشاهدتنا وسمعنا قوارع الطبيعة في أمريكا، في الشمال وفي الجنوب. ويطالعنا الواقع بيننا بقوارع الطبيعة في بلادنا، وفي مدينتنا، وفي حقولنا ومزارعنا، وفي سواحلنا وموانينا، بما أصبحنا نئن منه ونضعف أمامه، فهل يستمع الناس إلى لغة الله؟ هذه هي لغة الله، أتريدون أن يصدر الله له بينكم صحيفة، لتكون لسان حال الله، بما لا تشتهي أنفسكم فتغلقونها، أو تراقبونها، أو تؤممونها؟!

أأفعال الله هي على صورة من أفعالكم؟ أقدرات الله محدودة كحد قدراتكم؟ أصفات الله عاجزة على ما تشهدون لصفاتكم؟ أذات الله مقيدة كقيودكم في جلودكم، إن كانت ذواتكم وصفاتكم على حالها لقائمها، لم تخرج من دائرة فاعليته، وتبعيتها لسلطان حكمته؟

إن الله ليس في خارجكم، وليس في داخلكم.. إن الذي هو في داخلكم هو بعينه الذي هو في خارجكم منه.. إن الفضاء الخارجي تسبحون فيه، هو بعينه الفضاء الداخلي يوم تسبحون فيه. فلا أنتم في الفضاء الخارجي سبحتم بعد، ولا أنتم للفضاء الداخلي دخلتم بعد.

إنكم على ما أنتم دون تطور به راكدون.. إنكم بركودكم الهالكون.. إن الحياة في الحركة والتطور بها. وإنكم لا تعرفونكم في الهالكين، إلا يوم يسترد الناموس أمانة الحياة فيكم، فلها بعد الذي تركت بكم لا تملكون، وخيرها لا تواصلون. وبما خلفت لكم يومئذ تعلمون أنكم أسأتم استعمالها، ففقدتم كل ما كان يمكن أن يكون لكم بها.

إن ما فيكم من الحياة، إنما هو ما تنشدون من الحق، هو الحي القيوم، في قديم وفي قادم على ما هو في قائم. وإن الحياة فيكم هي الغاية، وهي المقصود والمنشود بالدوام وبالخلود. وليس قائمها بحاضر الجلود القابلة للتعدد والتطور والتجدد. في سابق قالوا (أرحام تدفع وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر)[٥]، وما نظن الساعة آتية، وما نظن أن هناك من يبدلنا خيرا مما بين أيدينا، من جنة نملكها، ونديرها وندبرها، وأن هناك خيرا مما نحن فيه... فأحاط بثمرهم، وأحاط بجنتهم فأصبحوا يقلبون الأكف على ما أنفقوا فيها.

والذين قالوا بالأمس "أرحام تدفع وأرض تبلع"، ها هم أولاء قد بعثوا على ما قالوا متخلفين عن المسير، بعثوا على ما كانوا، كرة أخرى من نبات الأرض، إجابة لسؤالهم رحمة من الله بهم.. رحمة سوف يدركونها، يوم تكشف عنهم بالعلم أغطيتهم. وهم ما ترون على الأرض اليوم من خشب يعبدون ما سبق أن قالوا، ويعودون إلى القول بما قالوا، أبناء هم الآباء، وآباء هم الأبناء.

(أرض تبلع وأرحام تدفع).. ليست مقالة جديدة، إنها مقالة قديمة، أنتم وهم معكم تعرفون ما كان مصير من قالوها، وإلى أي أمر صاروا، وكيف قامت معركتها، وعلى من دارت، ولمن كانت الغلبة، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة، وما النصر إلا من عند الله.

إن تنصروا الذي هو فيكم من الرحمن على الذي هو فيكم من الشيطان، ينصركم الناموس، وتكون لكم العزة والغلبة {إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم}[٦].

إن آمنتم أن الله معكم أينما كنتم، وكيفما كنتم، وحيثما كنتم، معكم وأقرب إليكم من حبل الوريد، معكم وقائم على كل نفس بما كسبت، معكم ويَجُب كل شرك به، معكم وهو قيام من معه، معكم لا شريك له منكم، ولا شريك له من غيركم، مع الكل ولا غير له، مع الكل ولا شريك له من الكل، له الدوام، وبه يصير لكم الدوام، ويثبت أقدامكم لأحد جمعكم به.

إنه بالعاطفة يوصَل حبا وخشية، وبالعقل يدرك إشراقا وتجربة، والعقل به بالعلم يبعث، ويتحرر، وينطلق، والقلب بالعاطفة يحيا، ويتطور، وأرضا وعالما يتخلق، والحياة منه تنبثق، والوجود بإرادته فيه يتواجد، دارا، يذكر فيها اسم الله يحتويها المذكور بها ولا تحتويه، إن دوركم بدناكم تحتويكم ولا تحتوونها، ولكن دوركم بالله أنتم تحتوونها ولا تحتويكم، إن السماء والأرض هي لكم فيكم.

إن الإنسان لله.. إن الإنسان الحق لله، يتسع لما لم تتسع له السماوات والأرض، من أمر نفسه، ومن أمر ربه، ومن أمر حقه. (إذا رضي الله عن امرئ، جعل له من نفسه هاديا ودليلا يأمره وينهاه)[٧].. بذلك قال من كان للرسول من نفسه هاديا (منك وإليك يا رسول الله)[٨].. كان ضميره لخيره

ولسعادته، ولوعيه، يأمره فيأتمر، وينهاه فينتهي، فيدرك ربه في نفسه، لا شريك له، في أمره، من أمره، بأمره لأمره.

حق يقوم، وغيب يُشهَد، وحاضر لا يغيب. يتواجد بظاهره، في أعماق باطنه، ويداني من غيوبه، قائم ظاهره، متغلغلا في ذاته، قائما بصفاته.. يعرف أنه الاسم الأعظم، وأنه حضرة الأسماء والصفات، لقائمه كان بالاسم الأعظم له إنسان ربه في إلهه لمعنى الحق له معه، بقيوم ربه فيه، ووجوده له، فكان لأمته نور حياتهم به جاء الحق لسائر الأمم وأشرقت الأرض بنور ربها، تمام كلمته وامتداد روحه، وظهور حقه، كافة للناس.

هذا هو دين الفطرة، وهذه هي علوم الروح، في علمها عنها، وقيامها بها، تدانيكم لأمركم بأمرها، أبناء وإخوانا لها، تصلحون لأمركم، لعين ما صلحت هي له، وقامت هي به.

الله، عندها، هو الناموس.. هو القانون.. هو الحياة، من حيث معناه، وهو الوجود، من حيث ذاته بظاهره وباطنه.. ذاته ذات الإنسان مرسِلا ورسَولا ومرسَلا إليه، يوم يقوم الإنسان اسما له ووجها له، متخلصا مما سمي به من أُمه وأبيه، إلى دائم اسم الله.. يوم يبعث الإنسان بجمعه لأحده، وبأحده في جمعه، يوم تتلاقى القلوب كالبنيان، فتتواجد الحقيقة، في الوجدان للعيان، فيقوم الإنسان بالإحسان، بالإنسان مع الإنسان، حقيقة الإنسان، لقائم الرحمن، ظاهرا لباطن، في القيام، وفي الوجدان، (المؤمنون كأعضاء الجسد الواحد)[٩].. (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)[١٠].. {إنما المؤمنون إخوة..}[١١].. يؤمنون بالله ورسوله لا سلطان ولا طغيان، ولا نسيان، ولا فقدان.

الله قيام المحبة وقائمها، وقلوب محبة وقائميها، تكشف عن ذات الله لها فيها، وقائم صفاته بها، لقائم الوجود بمعانيها، قلب الوجود، الوجود لها قالب، حياة الوجود، الوجود لها ظاهر، هي فيه له الباطن.

الإنسان؟ الإنسان إنما هو ذلك الإنسان الذي تعلم نفسه ما قدمت وأخرت، (كل الناس هلكى إلا العالمون..)[١٢]، يوم يشهد بعقله في نفسه ما كان وما يكون، ويعلم بقلبه، ويحس بعقله أنه على ما هو كائن أن الله له، ويعلمه لله، فيرتضيه في تقيداته لا حَدَ ولا حصر لها، غير ضيق بها أو قالٍ لها.. عبد الله، ويرتضي جنة له، عبوديته لربه في نفسه، رفيق لرفيق في الأعلى والأعلى، نفس راضية مطمئنة، تدخل نفسا واسعة ذات مكانة عالية، فيها تتحرر منها وبها تنطلق فيها، إعمالا لناموس الوجود، {يا أيتها النفس المطمئنة.. ادخلي في عبادي وادخلي جنتي}[١٣].. {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا}[١٤].. {ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم}[١٥].

هذا هو الناموس، فهل أعملناه؟ إنه بيننا بأبوابه يتجدد، فهل سمعناه، ولبيناه، ودخلناه؟ إنه في وجودنا لوجودنا برحمة الله يتعدد، فهل لأنفسنا قبلناه، فسعدناه، وتعددناه، فعددناه وتوحدناه؟

ظهر بيننا رسول الله، رسولا من أنفسنا، رسولا لقائم الله على كل نفس، رسولا قام لقيومه للناس جميعا مثالية لنا نرتجيها، وبه نقتديها، عبدا لله، وبيتا يذكر فيه اسم الله، لرب هو الناس، وجوها لله في الشهود وفي الوجود، ما أدركناه.. ما فهمناه.. ما تابعناه.. ما قبلناه.. ما ذكرناه.. قلنا إنه غاب وما بكيناه، قلنا إنه سيأتي وما انتظرناه.. قلنا إنه كوثر لا يغيب وما تعقبناه.. زعمنا طلب الله، لا رسول الله، ومتى غاب الله؟ وكيف يحاط بالله؟ نعم هو عبد الله ورسول الله، وهل نلاقي في وجود الله في هذا الجانب أو ذاك من واقع الحياة إلا رسول الله؟ وهل غاب رسول الله عن خلق الله بين خلق الله، في جانبي الحياة؟ وهل كان الله أمرا مستقلا عن الوجود بقائمه ومعناه؟ وهل انفصل رسول الله عن الله؟

هل لنا من الله رحمة، وعلم، وخير، ورضا، إلا لقاءً مع رسول الله؟ متى ظهر أو غاب الله؟ ومتى كان غائبا هذا الإله؟ وكيف يغيب الله وهو الحياة؟ إن القول بطلب الله بعيدا عن قائم الحياة، إنما هو بعد عن الله، (كم من مصلٍ لم يزدد بصلاته من الله إلا بعدا)[١٦].

متى غاب إنسان الكتاب؟ متى توقف التنزيل عن قائم الحجاب ونُصب الغرفة والباب؟ متى تعطل الإلهام؟ متى سكت الله عن الكلام؟ متى أَوقَف الآيات عن البروز والإعلام، حتى ينتظر الناس كلاما غير الكلام؟ أو حتى يتوقف الناس عن استقبال هذا المتواصل من البيان والإعلام، تعريفا لهم عن وجودهم متواصلا من قديم لمستديم في قائم لا ينقضي ولا يريم[١٧]، وتعريفا لهم عن الوجود لا ينفصل عن الموجِد بقائمه من قديم؟

متى كان كلام الله ألفاظا وكلمات؟ متى كان كلام الله حروفا ووريقات؟

متى كان كلام الله رسوما ومحابر؟ متى كان كلام الله أقلاما وألواحا ودفاتر؟

إنكم أنتم بأشباحكم أوراق كتابه، وأقلام أعلامه لإعلامه بحديثه لحجابه، في حجابه بسلامه.. إنكم معالم آياته، وقائم بيناته.. إنكم وجوه الله لأسمائه وأعلامه، يوم تتأملون في معالمكم، وتكشفون عن عالمكم، لتقرأوا عن الله ما بكم منه كتابا له، أناجيلكم صدوركم لأم الكتاب لكم بقرآنه وإنسانه.. أمة وسطا وأئمة للناس، وعروة وثقى بين حضرات الحق وحضرات الخلق.. شهداء على الناس، الرسول عليكم شهيد.

ننشغل، ونُشغل، ونجعل لنا بمادي الحياة عن حقها شاغلا، بوصف الإصلاح، وبوهم الصلاح، وبزعم الإشراق والإصباح، ونحن في ظلام وليل أنفسنا، وفي جاهلية وغفلة عقولنا، وفي موات وجمود أرض

قلوبنا، لا حرثنا ولا استمطرنا، ولا زرعنا ولا بذرنا، ولا الأرض هيأنا أو خدمنا، ثم ننتظر المحاصيل، لأوقات التحصيل، ما أثمرت حدائقنا، ولا أنبتت مزارعنا. هل نحن بهذا من العقلاء؟

إن الناموس قرَّعنا، ونبهنا، ولامنا، يوم قال لنا {أليس منكم رجل رشيد}[١٨].. وكيف يسائلنا أليس فيكم من رجل رشيد، وهو لم يوجِد بيننا رجلا رشيد؟؟ كيف يسألنا ويلومنا عن أمر لا وجود له بيننا؟ (الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة)[١٩].. (لا تزال طائفة من أُمتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة)[٢٠]، إلى يوم القيامة، إلى قيام الساعة، إلى تجديد الرسالة، إلى تجديد البيان والمقالة، يوم تنشق الأرض عني وليد الأرض، دابة الأرض، وجديد السماء، وأساس الولاء، أول العابدين، في دورتي في الحياة حياة الطريق، في دورتي في الوجود، بداية الخلق للتواجد، وبداية الحق للشهود، كلما جئت المعذبين، وكلما انطلقت إلى المفتقرين، وكلما سقت إلى الحياة السعداء المكرمين، في حضرة الوجود لرب العالمين، إلى حضرة ذاته وقائم وقيوم روحه.. باب حضرته لقائم وجوده، وأحد موجوده، في واحدية حقائقه بأسمائه، لحضرة أعلامه بحضرات أعلامه، لبيوت ذكره، لوجوه معلومه بالآباء والأبناء، والأزواج والأمهات، الله وملائكته.. الله ورسله.. الله وحقائقه.. الرب وعباده.. الموجِد وعوالمه.. الخالق وما خلق.. المبدع وما أبدع.

{ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن}[٢١].. {الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه}[٢٢].. فهل اتبعنا من حديث الله أحسنه؟ هل استمعنا إلى القول، وقدرنا حسنه، فعرفنا أحسنه؟ وما فيه إلا حسن وأحسن، وأحسن، وأحسن، وما فيه إلا الحسن. {يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين}[٢٣].. {من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها}[٢٤].

قام الدين قبل محمد على طلب نعمة الله.. وقام الدين بعد محمد على طلب الله لذات الله، في مشاهدة نعمائه والإحساس باختباره وابتلائه، في قائم ولاحق الحياة. إن الناموس يخاطبكم على لسان رسوله {وما ظلمونا، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}[٢٥] خطابا دائما متصلا مبينا.

هل عرفنا ما عند أهل الكتاب؟ لنحكم عليه ونعرف أنه مما عندنا عنا، يوم نعرف ما عندنا مما هو دون ما عندهم، وما عندنا مما هو فوق ما عندهم، يوم نعرف الموسويين منا، من أتباع الحروف والقرائين، والعيسويين من بيننا من المجاهدين والمجتهدين والمصطفين والمخاطبين والفريسيين. ويوم نلاقي من بيننا الموحدين، المتحققين، المحمدين، المحمودين، المبعوثين، القيمة بكوثرهم على قائم هذا الدين، عباد الرحمن والرحامين، يعرفون الله في شقي الحياة، ويتعاملون مع الله في أنفسهم ومن حولهم، عبادا له ودائم عبودية به، ودائم حق بالعبودية فيه، في قيام لا إله إلا الله بقائمها محمد رسول الله، وعبد الله، وحق الله، ووجه الله.

هو في السماء إله، وهو في الأرض إله، له ملك السماوات والأرض، وهو على كل شيء قدير، لا شريك له من عباده، ولا شريك له من خلقه.

لعلهم في جولتهم في الفضاء، هذه المرة لاقوه، وفي رد أعمالهم إليهم عرفوه، وبموتهم عنهم كشفوه، وبيقظتهم من نومهم طلبوه.

نسأل الله لنا ولهم الهداية، ونسأل الله لنا ولهم بنا مزيد العناية.. نسأل الله أن يقيمنا من مرقدنا، وأن يوقظنا من منامنا، وأن يبعثنا من قبورنا، وأن يكشف لنا عنا عما بنا من حقه وأمره، وأن يحيطنا بالعلم عن وجودنا في وجوده لقائم موجوده، بكرمه وجوده.

اللهم بمن عرفك ووصفته معروفك، واصطفيته لك، وأفنيته عنه، وأبقيته بك، وأظهرته لحقك، وأطلعته وأشهدته لجمال وجهك، ومددته بقدرتك، وامتددت به إلينا يدك، وسعيت به إلينا قدمك، ونطقت به منه حديثك، وعلمتنا به علمك، في علمنا عنا، علما بك عنك، لا معلوم غيرك، ولا عالم إلا أنت.

تهدي من تهدي إلى شكرك، وتهدي من تهدي إلى نفسه بكفرك، حتى يحكم على نفسه بفضلك، فينشدك برحمتك، فما كنت إلا هاديا، وما كنت إلا معينا في الأمرين، وما كنت إلا ناصرا للضعيفين، من الذات والروح لا قدرة إلا لمن قدرت من قدرتك، ولا إحكام لمن أحكم في النور أو في الظلام، في الضلالة أو في الهدى، إلا من فيض حكمتك.

مكروا فمكرت، ومكرت مكر الخير، ومكروا لضياعهم، ولفتنتهم، ولإساءتهم إليهم، وخسران أمرهم بهم، فعاملتهم بمكرك وخيرك، فمكرت بهم لخيرهم، ولله المكر جميعا. إن الله وراء الشيطان، بتدبيره وحكمته، كما هو من وراء الرحمن، بعطائه، واصطفائه، ونجدته. {ولو شاء ربك ما فعلوه}[٢٦]. ولو شاء ربك ما اهتدوه.

إن الله وراء كل شيء فاعلا محيطا، وأمام كل شيء قائما مشهودا.. قائما في قائمه بقيام كل شيء، لا موجود بحق سواه، ولا عالم ولا معلوم إلا إياه.

هذه هي لا إله إلا الله، يوم تدخلون حصن لا إله إلا الله، وهذه هي شهادة محمد رسول الله، يوم تشهدونكم محمدا رسول الله ظلالا له، تقلب فيكم بالحياة وبالوجود، وشرفكم بالحق له بالعلم وبالسجود، وأحياكم فيه بحياة الوجود، في موجوده، لموجود الله لوجودكم بالحق، وفي مشهوده لمشهود الله لمشهودكم به، في شهوده، لشهود الله لشهودكم، في وحدانيته لوحدانية الله لوحدانيتكم فيه، في قيوميته لقائم اسم الله، وقيومه لقيامكم به.

أنتم به قائم الله لقيومه عليكم في مطلقه، وأنتم به قيوم الله لقائمه على قائم الناس بالله في مطلقهم له.. أنتم الآباء في الأبناء.. وأنتم الأبناء في الآباء.. أنتم كلمات الله، وحقائق الله، وعباد الله، أناجيلكم صدوركم، يوم تكونون من المسلمين، يوم تدخلون الإسلام.. يوم تجددون الإسلام.. يوم تجددون عقائدكم مع أنفاسكم في دخولها وخروجها عاطرة باسم الله، لا تلهيكم تجارة ولا بيع عن ذكره، يوم تجددون وجودكم مع أفكاركم تنيرونها وتظلمونها.. يوم تجددون داركم بأعمالكم بين سجين قوالبكم وانطلاق قلوبكم لمطلقها.

ما كان الله إلا أنتم، وما كنتم إلا الله، ولا صاحبة ولا ولد إلا إياه، يوم تنظرون إلى أمركم وتبعثون بحقكم وتتخلصون من موصوف خلقكم تعرفونه، خالقا قرين وجوده، فما كان بغيركم إلا مجهولا ولا موجود له يعرفه ويناديه. فما عرفه إلا الإنسان، وما تواجد إلا بالإنسان، وما عُرف إلا للإنسان، وما عبده وقدَّره إلا الإنسان، {إن يشأ يذهبكم ويأتِ بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز}[٢٧].. (إذا لم تذنبوا وتستغفروا لذهب بكم وأتى بقوم آخرين يذنبون ويستغفرون فيغفر الله لهم)[٢٨]، فإنه لم يطرأ على قائم الله بجديد الخلق جديد. فما كان بموصوف الجديد، إلا دوام تجليه من كنوز حقائقه ومعانيه.

فإن قدّرتم الله حق قدره، فاسألوا أنفسكم متى كان الإنسان؟ فمتى كان الله مجهولا حتى يخلق الإنسان؟ ومتى كان مجردا عن الظهور، حتى يبعث به فيه الإنسان؟ إن الإنسان فيه قديم بقدمه، باقٍ ببقائه، موجود بوجوده، لا شريك للإنسان من الوجود، ولا من أي مشهود، ولا شريك لربه منه، ولا شريك لحقه به، ولا شريك لإلهه بمشهود، ولا شريك لغيبه بموجود، لا من وجوده، ولا من أي وجود.

إن الإنسان هو الذي يعرف أنه لا إله إلا الله.

إن الإنسان هو الذي يقوم بلا إله إلا الله.

إن الإنسان هو الذي يعلم أنه لا إله إلا الله.

إن الإنسان هو الذي قام أزلا بلا إله إلا الله.

إن الإنسان هو القائم سرمدا بلا إله إلا الله.

إن الإنسان هو الذي يكسب أبدا لا إله إلا الله.

إن الإنسان هو لا إله إلا الله، في حقيقته، وفي خليقته، وفي ظهوره، وفي بطونه.

عرف ذلك وشهده من عرفناه عبد الله، وأول العابدين لا أول ولا آخر لهم فكان بذلك بكوثره وبما عرف رسول الله.

من شهدناه بإسلامنا له ولكوثره حق إيماننا وحق قيامنا وحق حقيقتنا، وحق وآدم خليقتنا، محمدا رسول الله والذين معه.

فإلى متى لا نعرف عنا، بمعرفتنا عنه؟ وإلى متى لا يتواجد منا، بتواجدنا منه؟ إنه لنا، وإننا له، فيمن كان لنا وله، وفيمن هو العروة الوثقى، بيننا وبينه تمام كلمة الله لنا، ومسيح حقيقته عندنا، من جعله وأبقاه بها باب مدينته وعلم حضرته، وكثره بنا لها، وجدده بها لنا، فأزَّله بها علينا، وأبدنا بها له، وحققنا معه بها، وأقامنا للناس قياما له فيها، قائم آله ودائم مثاله، من هدى الله، وحفظه الله، كوثر عباد الرحمن، آدم بنيه وعترة مواليه.

فشهدنا به لدائم رسالته أنه لا إله إلا الله.

وشهدنانا بلا إله إلا الله، أننا محمدا رسول الله.

اللهم بمن شهدناه لنا، وشهدنانا له، يوم شهدناك لنا به، وشهدناه لك بنا.. اللهم به فارحمنا.. اللهم به فيسر أمورنا.. اللهم به فسدد خطانا، اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بقطيعتنا عنه أو بمخاصمتنا له، أو بمعاندتنا لعقولنا وقلوبنا به.. اللهم به فاكشف عنا أغطيتنا، حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، قادة ومقودين، نصبا وغرفا ومصلين، قلوبا غفلا ومُخَلَّقين، خلقا ومُحَقَّقين.

اللهم به فافضحنا لنا عندنا حتى يستقيم لنا فينا أمرنا، وافضحنا عند غيرنا، حتى يستقيم أمر جمعنا، فنعرف حول من نلتئم، وعلى من نجتمع، وحول من نطوف، ولمن نستقبل في صلاة، وفيمن نعتكف في فلاة، وممن ننفر، ولمن نظاهر، ولمن نكره، ولمن نوالي، ولمن نخاصم ونجابه، ونعاند، ونحارب وله نقاوم ونجاهد ممن اتخذوا ركن الشام قبلتهم أو ركن العراق هويتهم، حتى ننتصر بعزتك، وبرحمتك، بتحقيق مرادك لعبدك ورسولك.

لا إله غيرك ولا معبود سواك.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ لم نجد سندا لهذه العبارة، ولكنها ربما إشارة لطاغية ما.. والمعنى يتضح في السياق.

٢ حديث شريف: "إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظًا من نفسه يأمره وينهاه." أخرجه الديلمي، وجاء في الجامع الصغير للسيوطي.

٣ سورة الكهف - ٢٩

٤ سورة الذاريات - ٢١

٥ مقولة تنسب إلى من يطلق عليهم الدهريون وهم من لا يؤمنون بيوم البعث. وجاء ذكرهم في الآية الشريفة {مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} الجاثية - ٢٤

٦ سورة محمد - ٧

٧ حديث شريف: "إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظًا من نفسه يأمره وينهاه." أخرجه الديلمي، وجاء في الجامع الصغير للسيوطي.

٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٩ حديث شريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى." صحيح مسلم.

١٠ حديث شريف: "المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ". صحيح البخاري.

١١ سورة الحجرات - ١٠

١٢ حديث شريف جاء في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي باب "حقيقة النية ومعناها". وجاء في تاريخ دمشق لابن عساكر: سمعت ذا النون المصري يقول: "الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملون، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، قال الله عز وجل: "ليسأل الصادقين عن صدقهم."

١٣ سورة الفجر – ٢٧،٣٠.

١٤ سورة مريم - ٩٣

١٥ سورة الرعد -١٥

١٦ حديث شريف ذات صلة: "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدا." أخرجه الطبراني في الجامع الصغير للسيوطي. كما أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان."

١٧ من الفعل "رام" وله عدة معانٍ، منها: طلب، قصد، أقام، فارق.

١٨ سورة هود - ٧٨

١٩ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٢٠ من الحديث الشريف: "لا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي على الدِّينِ ظاهرينَ، لعدوِّهم قاهرينَ، لا يضرُّهم مَن خالفَهُم، إلَّا ما أصابَهُم مِن لأواءَ حتَّى يأتيَهُم أمرُ اللَّهِ وَهُم كذلِكَ. قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وأينَ هُم؟ قالَ: ببيتِ المقدسِ وأَكْنافِ بيتِ المقدسِ". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة." أخرجه الحاكم.

٢١ سورة العنكبوت - ٤٦

٢٢ سورة الزمر ١٨

٢٣ سورة البقرة - ٢٦

٢٤ سورة الإسراء - ١٥

٢٥ سورة الأعراف - ١٦٠

٢٦ سورة الأنعام - ١١٢

٢٧ سورة إبراهيم ١٩-٢٠

٢٨ حديث شريف: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لهمْ." صحيح مسلم.

(١٤)

علمت نفس بتجدد يومها
فعلمت في يومها أمسها، وأدركت في يومها بأمسها غدها
فتجمعت في يومها بغدها وأمسها يوما واحدا لله

حديث الجمعة

٧ صفر ١٣٨٧ هـ - ١٩ مايو ١٩٦٧ م

تصحيح التاريخ الهجري: ١٠ صفر ١٣٨٧ هـ

اللهم.. باسم الله الرحمن الرحيم، لنا، بنا، علينا وفينا، أمامنا، ومن ورائنا، قبلنا، وبعدنا، لا تخْرجنا، ولا تقطعنا مما عليه ائتمنتنا وفيه ابتليتنا، وله أوجدتنا.

اللهم.. باسمك الرحمن الرحيم، ألهمنا الصواب، وأنطقنا بك الرأي الذي عندَك لا يعاب، والدُعاء الذي منك يستجاب.

اللهم.. إنه لا إله إلا أنت، ولا موجود بحق سواك، فما في الوجود إلا إياك، وما نشهد فيما نشهد إلا وجهك لمعناك، وأمرك لنا بنا لمبناك، ونهايتنا إليك، فيمن عناك، فكان لنا جنتنا لفردوس معناك، جعلته قدوتنا فيمن به توليت، فلنا فيك بك منك بعثناك، فما به شهدنانا إلاك، وبقيامنا به ما عرفنانا سواك، وما كنا فيه إلا قيامك ومعناك.

فشهِدنا لا إله إلا الله، على ما ارتضيت، وقمنا لا إله إلا الله، على ما أقمت فيمن أقمت، فعرفناها حقَ الله ورسول الله، فشهدْنانا بك قياما به، وشهدْنانا به قياما بك، فشهدْنانا محمدا رسول الله، وقمنانا به عبدا لله، بلا إله إلا الله.

فعرفنا ما عرف، وشَرُفنا بما شَرُف، فعَرَّفناك باسمك لمعنانا، قيوم مبنانا، وروح محيانا. عرّفناك على ما عَرَفناك، وعلى ما عرفك لمعناه، حقا وعبدا لله، وقد أبرزته لنا قدوة لمعناك، فأشهرناها داوية الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.

الله أكبر فما نحن إلا عباده.. الله أكبر فما نحن إلا رشاده.. الله أكبر فما نحن إلا إرادته ومراده.. الله أكبر عمن أعز منه به فيه.. والله أكبر على من طغى بنفسه منه وتكبر.. الله أكبر دائما، والله بأسمائه لعباده يكبر، دواما، والله أكبر مهما كبر كبيره، والله أكبر مهما أشرق نوره وعبيره، بالإنسان على الإنسان من الإنسان إلى الإنسان في الإنسان بالإنسان يظهر، ويحيا، ويكبر، ويكبر.

الإنسان للإنسان عينه وحبيبه.. اسمه ورفيقه.. الإنسان للإنسان رحمانه وخليله.. الإنسان قائم بدء، والإنسان حق انتهاء، والإنسان بينهما رسول من حق البداية، ومعلم لمن يطلب لنفسه في الحق، البعث بحق النهاية.

جاءنا محمد الله.. جاءنا رسول الله.. جاءنا الحق.. جاءنا الوجه لله.. جاءنا الرب لأنفسنا من أنفسنا في أنفسنا.. جاءنا الغيب.. جاءنا غيبنا.. جاءنا الإله لقدس قيامنا لمعانينا.. جاءنا الإنسان.. جاءنا الأمر الوسط في الله.. جاءنا الحق الجامع في معناه لقديمه، لمعاني قيومه ورفيقه الأعلى، وقادمه لمعنى اليوم الآخر، يوم يسفر قديمه عن وجه الحق به من خلاله، قديما به أسفر المرة قبل المرة، وقادما منه يسفر المرة بعد المرة، وبينهما به قام، وبما قام يقيم كرة بعد كرة.

كان العبد لقديمه، دعاه ربا له.. وكان الرب لقادمه، ظهر به عبدا له.. وكان بما كان له، رحمة للعالمين، وحقيقة وحقا للموقنين، قيام وقيوم العارفين، كاتب وكتاب الكاتبين، عالم وعلم ومعلوم وعلم العالمين. كان ظاهر الدين كله، بظهوره ظهر الدين، وباطن الدين كله بحقيقته بحقيقة[1] كانت حقيقة الدين كله، فبباطنه قام الحق لباطن الموقنين.. أولا لأولين، وأولا لمتابعين، وأولا لقدامى في جديد أولية لقديم أولين مبعوثين، وجها للأزل لإنسانية أزلين، ووجها للأبد لحقائق عابدين، وقائم حق، لمن كانوا للحق طالبين، وقائمهم بالحق مصدقين، ولتحقيق أنفسهم في مرادهم مجاهدين، ولحقائق الله بخلق الله مسالمين.

لقد كان كل شيء، لأي شيء، ولكل شيء، ما طلب الشيء حقيقته، وما تابع الشيء طريقته، وما واصل الشيء سيرا خلفه إلى الله، لله تبعيته. إنه إمام الراغبين، للحق طالبين، وإنه نبي المستنبئين، إلى العلم مفتقرين.. إنه الطريق للسالكين، يوم يردون الحوض عطشين فيعبون الماء عبًا شرهين.. إنه الحياة، لمن كانوا بالحياة متمسكين، وبوهم الحياة لهم معارة، لموقوتها مدركين وبقائمها هم بها عاملون، ما كانوا بها قائمين. فما كان الوجود عند طالبيه؟ وما كان الشهود عند مشاهديه؟ وما كانت الحياة عند من ائتمنه الحي القيوم على الحياة فيه؟ هل كانت غير رسول الله له فيه، قائم أنفسهم، وقيوم معانيهم؟ (أخذ الله قبضة من نوره وقال لها كوني محمدا فكانت ومنها خلق أرواح الأنبياء والشهداء والصديقين وخلق الخلق)[2]. وهكذا يفعل الله سرمدا[3]، دائما وأبدا.

فمن كان الله عند رسول الله؟ ومن كان رب رسول الله عند رسول الله؟ وما كانت نفس رسول الله عند رسول الله؟ وما كان عقل رسول الله عند رسول الله؟ وما كان رأس رسول الله عند رسول الله؟ وما كان قلب رسول الله عند رسول الله؟ وما كانت جلدة رسول الله عند رسول الله؟ وما كانت ذات رسول الله عند رسول الله؟ من كان قائم رسول الله عند قائم الحق برسول الله؟ ومن كان قيوم رسول الله، رفيقا أعلى، عند قائم رسول الله، حقا جاء، وحقا من الله أُبْدى، فلنا بدا؟ (من رآني فقد رآني حقا) [٤].

هذا ما أجاب عليه كتاب رسول الله، وسنة رسول الله، عن رسول الله، وهو ما قال عنه إنه علم احتفظ به لنفسه، لا يكون من الله إلا لمن آمن بالله ورسوله، إيمانا تلاشت به نفسه له إلى نفس الرسول للرسول مسيحا له ومسيحا فيه، وظهر الرسول به مسيحا لله، ومسيحا في الله.

ما كانت الأرض تنشق عن رسول الله عند رسول الله!! وما كان انشقاق الأرض عن رسول الله عند رسول الله؟ وما كانت السماء عند رسول الله سماء لرسول الله!! وما كان انشقاق السماء عن رسول الله، قبضة نور، الله عند رسول الله؟ وما كان انشقاق السماوات عن قبضات نور الله عند رسول الله؟ هذا ما يجب أن يجيبنا عنه الدين بفقه الدين، وقد فعل بالحكماء الصادقين، فهل كنا لهم مصدقين؟

هل ذكر رسول الله ربه في نفسه؟ وقد أمرنا الله على لسانه في أمره له، واذكر ربك في نفسك؟ هل ذكره في نفسه، على مراد الله من أمره؟ وهل أنتج عنده، وهل ينتج عندنا هذا الذكر أثره؟ وفي أنفسكم أفلا تبصرون! هل ذكره في نفسه فوجده؟ هل كشف عنه الغطاء فشهده؟ وما الغطاء عند رسول الله؟ ومن الذي كشف له عنه الغطاء في أمر رسول الله؟ هل كان المكشوف عنه الغطاء غير رسول الله؟ هل الغطاء كشف عن غير رسول الله؟ وهل كان الغطاء شيئا آخر غير رسول الله؟

ماذا عرفنا عن رسول الله؟ وماذا عرفنا عن رب رسول الله؟ وماذا عرفنا عن الأعلى لرسول الله ولرب رسول الله؟ هل ذكر رسول الله ربه العظيم؟ هل استجاب رسول الله لأمر الله، فذكر ربه الأعلى؟ هل حقق الأعلى لرسول الله ما وعد به في وصف نفسه، {الذي خلق فسوى}[٥] {والذي قدر فهدى}[٦]؟ هل كانت هداية رسول الله قدرة من قدرة الله؟ هل كانت هداية رسول الله عجزا عن إعمال قدرة الله أقرب إليه من حبل الوريد، كما قال بعضهم (عرفت الله في نقض العزائم)[٧]؟ هل قدر رسول الله بالله، على ما قدر وأحاط الله! وهل أراد رسول الله بما قدر، أن يخالف قدرة الله! هل واءم رسول الله بين قدرته قدرة لله، وقدرة الأعلى قادرا لمعنى مولاه؟ أم أنه تعارض بقدرته مع قدرة الأعلى لقدرة الله! فتعارضت قدرة الله مع قدرة الله!

ماذا كان من رسول الله، لقائم رحمة الله، مع قائم ناموس الله بعدل الله؟ وبماذا يقوم رسول الله، في قائمنا لقيامه! وإلامَ ينتهي رسول الله؟ وماذا يحقق رسول الله، يوم يفعل لأمته ما أراد به الله، من إبرازه رحمة الله، ونشره رحمة الله، وإعماله رحمة الله؟ (رحمتي غلبت عذابي)[٨].. (أمة مذنبة ورب غفور)[٩]؟ (أنا رحمة مهداة)[١٠].

كيف يرضى؟ وبماذا يرضى؟ وعمَ يرضى؟ وعمن يرضى؟ ومتى يرضى؟ (لا أرضى وأحد من أمتي في النار)[١١].. وهل يرضى غير ما يرضى الله؟

علّمنا رسول الله عنا في تعليمه لنا عن الله، قائم وقيوم قيامنا، عرف الله حاضرا، وعرف الإنسان فيه غائبا، أينما تولوا فثم وجه الله، الله قائم على كل نفس، الله من ورائكم محيط، الله معكم أينما كنتم، الله أقرب إليكم من حبل الوريد. فغيبنا الله، وأحضرنا أنفسنا، والحاضر هو الله، والغائب إنما هي أنفسنا في مآلها بما نكسب أو نخسر بأمر الله لها حاضرا. إننا أمر الله في قائمنا، عارية اسمه، وعارية الحياة، وعارية قدرته، وعارية مشيئته، وعارية مطلق إرادته.

ففي الأمانة فرطنا، وعلى قائم الله أنكرنا، ومع قيومه تعارضنا، وتخاصمنا، وبقائمه لنا بالأيدي تشابكنا وتشاجرنا، وثياب الله ألبَسْناها مزقنا وقطعنا، فتقاتلنا وقتلنا وقتلنا، ودم الله سفكنا، وتراب الأرض بدم الله سقينا، فلا على دم الله فينا حرصنا، ولا على أمر الله بنا عَمِلنا، وما لأمر الله لنا كسبنا! الله غيّبنا، ونفوسَنا أحضرنا! ونحن نفسه وعلى نفسه أنكرنا! ولمعيته لنا ما راقبنا، ولهديه ما استجبنا، ولتحذيره ما اتقينا! ثم نحن أمة التوحيد زعمنا! وأمة رسول الله ادعينا! وأمة الحق كَذَبنا وشوهنا، لأنا على الحق بنا أنكرنا، فكيف نجابهه بإنكارنا! ونزعمه بأوهامنا! فما في السلم معه دخلنا، فالسلام بين إخوتنا نشرنا، والسلام مع الوجود لنا طلبنا، فمع السماء سالمنا، ومن وطأتها بالعذاب والقضاء سَلِمنا.

نحن على الأرض، إنسانية الله.. بشرية الله.. ناس الله.. هل عرفنا من كنا، قبل ما أنَّا في وجودنا تواجدنا! هل عرفنا من نكون، بهذا الوجود لنا، يوم أنَّا من هذا الوجود، ننشق[١٢] عن أرضه، إلى وجود من بعده ينتظرنا؟

إننا بما كنا، كنا قبل أن نكون على ما أنَّا، وإننا بما سنكون إليه بعد ما كنا على ما أنَّا، سنكون على ما كنا، إننا بأنَّا وما كنا، وما سنكون على ما أنَّا، إنما نحن إنسانية واحدة.. إنما نحن نفس واحدة.. إنما نحن بشرية واحدة.. إنما نحن آدمية واحدة.. إنما نحن وجود واحد.. إنما نحن حقائق لحقيقة واحدة.. إننا نعلم يوم نعلم، ونعلم يوم نتقي فنعلم، فتعلم نفس ما قدمت، مما كانت قبل ما هي كائنة، وما أخرت، مما تكون من كيانها على ما هي كائنة. إن العلم ينفع ويُطلَب، إنما هو علم الإنسان عن نفسه. {علمت

نفس ما قدمت وأخرت}[١٣]، علمت نفس يومها، وعلمت في يومها أمسها، وأدركت في يومها بأمسها غدها، فتجمعت في يومها، بغدها وأمسها، وقامت يوما واحدا لله، وحقا واحدا لله، واحدا وأحدا لله، وعبدا واحدا لله، ووجودا واحدا لله، الله عندها قائم على نفسها، وقائم على كل نفس بما كسبت.. يداول الأيام للناس بين الناس.

هذا ما قدمه الإسلام للناس، فما عرف محمد غير نفسه، في قديمها، وفي قادمها، فعرفه بينهما بين يدي رحمة الله بما قامت نفسه قائمة بالحق، عالمة ما قدمت، وعالمة ما أخرت، جامعة في علمها، لمعلومها، بما علمت، عما قدمت وعما أخرت، وعرفتها، عبدا من عباد، وحقا من حقائق، وربا من أرباب، وآلها من آلهة، وحياة من حيوات، وقبسا من نور الله من أقباس من نور الله، فكانت رسولا بما علمت وعلّمت، وحقا بما تكاثرت وصبغت فحققت وحقت، سماء علت، وأرضا مدت.

هكذا عرف رسول الله، وهكذا كان رسول الله بما عرف فقام رسولا لله، وهكذا كان رسول الله بما شرف، إماما للناس، وحقا للعوالم، وهكذا بما اتسع له رسول الله، كان حقا واسعا للحقائق، فقال أُعطيت جوامع الكلم. وهكذا رضيه الله قُدوة، كافة للناس، به رضي الله الإسلام دينا، وببيته أراد الله أن يذهب الرجس عن أهله، كان للناس رحمة، وكان للعالمين على الحق عَلَمًا، وكان لطالبي الحق حقيقة، وكان لجماع الخلق وجها غاب اسمه إلى اسم ربه عند المؤمنين في الإيمان بنور الله لهم. كان الخلق عنده في تحقيقه لأحديته له ربا، فما رأى خلقا، ولكن رأى في دوام حقا.

اقرأوا بينكم كتاب الله معه، {يا أيها النبي اتقِ الله، ولا تطع الكافرين والمنافقين، إن الله كان عليما حكيما}[١٤]، يا أيها النبي.. يا أيها الحق.. يا أيها العبد.. يا أيها الرحيم.. يا أيها الرحمن.. آمَنْتَ لنا، وأَمِنْتَ معنا، ورأيتنا في كل وجه، لست معيبا في إيمانك، ولست منحرفا في شهودك، ولست ناقصا في وجودك، {ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا}[١٥]، اشهد فيه حكمة الله.. اشهد فيه وجه الحكيم، بنقيضه.. اشهد فيه وجه الكنود، في وجوده. (العاقل من اتعظ بغيره، والشقي من اتعظ بنفسه)[١٦].

فلا تنتظر العظة من نفسك، يوم تسقط في هاويتها، ولكن انظر العظة في غيرك ساقطا في هاويته، في شهودك، وفي عين واسع وجودك، فامدد يدك إليه، وأنقذه، وأخرجه من حضرته، وانشره في عالم حقيقته. أَمِتْه وانبعث[١٧] فيه، بواسع الحياة فيك، بادله على نفس من عالم نفسك، عالما مقابلا، في قائم وجودك، لعالم مجالك برسالتك.

لو أن الناس في الأرض جميعا طرقوا باب رسول الله، ليأخذوا حقهم، مما هو لهم عنده، لأغناهم جميعا، ولأسعَدَهم جميعا، ولأحيا قلوبهم جميعا، ولأنقذ جلودَهم من النار، ولبعثهم جميعا في نعم الدار، نعم الدار داره، ونعم الجوار جواره، ونعم الحق حقيقته، ونعم الله وجوده، ونعم الجمال شهوده، {ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا}[١٨].

عبد الله، في السماوات والأرض.. عبد الله، لا يشهد لطلعته سواه، عبد وجوده في مطلقه، وعبد لانهائيه في معناه.. عبد انتهت عبوديته مسيحا عن وجوده، قائما بموجوده لموجوده.

عرف الحق للحق في نفسه، وقبل الحق للحق على ما هو الحق في وجوده. لم يطلب من الحق أن يغير له معناه من الحق.. عبدا يقع تحت وطأة الناموس، وعبدا يرتفع بربه لمعناه فوق الناموس، فلا يفسد الناموس، ويُعمِل الناموس على ما هو الناموس، ويَعْمَل مع الناموس ناموسا للرحمة بدانيه وللعدل بعاليه على ما شهدَه وعرفه.

صاحب الخلق العظيم، قائم الطريق المستقيم، عَلَم الله القويم، شاهد الله لقائمه في معناه، ومُشهِد الله لكل من يطلب أن يشهد الله، فيشهده الله على ما شهد الله في قائمه في معناه. لا يعدد الله، وإن تعدد هو عبدا لله.. لا يعدد الله وإن تعدد به وجه الله.. لا يعدد الله وإن تعددت معه عوالم الله.. لا يعدد الله، وإن تعدد الوجود به في مطلق الله، بقائم كل وجود لله، وجودا وليدا لوجود، ووجودا مولودا من وجود في وجود لم يلد ولم يولد، فكانت أقانيم الإسلام وجودا لوجود من وجود، لمنشود وجود في قائم وجود. وكانت أقانيم الإسلام آدما لآدم من آدم في آدم. وكانت حقائق الإسلام إنسانا من إنسان في إنسان لإنسان. بذلك استقام على الله العنوان باسم وذات ومعنى الإنسان، (إن لله عبادا إذا ذكروا ذكر الله) [١٩].. {عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه}[٢٠].. {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم}[٢١].

بهذا كله، جاء الإسلام، وبهذا قام رسول الإسلام. فما كان ويكون الإسلام؟ هل كان الإسلام كلاما، أم كان الإسلام رسولا وقياما! ممن صدر ويصدر الكلام؟ إنه يصدر من حق قائم، لحق قيوم، في حق مقيم، إلى حق من الخلق يقوم. بذلك صدر الكتاب والكلام.. وبذلك لم ينقطع الكتاب ولم ينقطع الكلام، ولو كانت البحار مدادا يتجدد والأشجار أقلاما تتعدد، ما توقف الكلام عن الإعلام، وما انقطعت الأقلام عن الإبانة والكتابة والبيان، ولنفذ البحر واستنفذت طاقاتها الأقلام، قبل أن تنفذ كلمات رب الحكمة والبيان.

فبماذا عرفنا وعرّفنا الإسلام؟ عرفناه وعرّفناه كلاما، ولم نعرفه ونعرّفه رسولا وقياما.. رسول ليس أبترا.. رسول أعطي الكوثر، وجعل كوثرا بمعناه ومبناه كافة للناس.. رسول هو أمة.. رسول هو أمم.. رسول هو عباد.. رسول هو طبقات الناس.. رسول هو ما قبل البشرية، قام فيها رسولا، ورسول ما بعد البشرية، يقوم فيها رسولا، ورسول في قائم البشرية، لا ينقطع بين أهلها رسولا. شانئه أبتر، وهو ومن آمن بالله معه قيام كوثر ويكثر.

إن الناس على الأرض.. إن البشر على الأرض، يتردَدَون بين غيب الأرض وشهادة الأرض، فهم إما أنهم من غيبها إليها يتصاعدون، أو أنهم من غيبها إليها ينزلون، أو أنهم من شهادتها وفي شهادتها بجلود في دوام يبدلون. وهذه هي أيضا أقانيم الإسلام، فمن جاءوا إليها صاعدين، ومن عادوا إليها هابطين، ومن تواجدوا فيها بالجلود متجددين بالناس في الناس متقبلين، إنما هم إنسان واحد، وأحد واحد، وحق واحد، وبشرية واحدة، ومادية واحدة، وروحية واحدة، ونورانية واحدة، ونارية واحدة، وترابية واحدة.

إنه الإنسان.. إنه العنوان.. إنه البيان.. إنه القيام والإحسان.. إنه العراك والسلام.. إنه الخوف والأمان.. إنه العدل والطغيان.. إنه الحكمة والبهتان.. إنه الإنسان ظاهر الله، لباطنه حقيقة الرحيم الرحمن، وقائم الديان، وقيوم الله لقائمه في الشهود والعيان.

إنه الإنسان.. إنه وجه الله.. إنه اسم الله.. إنه روح الله، إنه ظاهر الله.. إنه غيب الله، ولكننا نُغّيب الله، ونحضر أنفسنا. ولو أنصفنا لحضرنا الله، وغيبنا أنفسنا، ويحذرنا الله نفسه، حاضرة في[٢٢]نفوسكم، قائمة في قائم نفوسكم، قيومة[٢٣]عليكم، بقيوم عقولكم، مستقيمة فيكم في حياة قلوبكم، سعيدة بما منحها الله، عالم وجودها بذواتكم، استوى بنوره لعقولكم، على عرش ملكه، في هياكل نفوسكم.

{وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[٢٤]، لمَ لا تردون البصر إلى أعماق أنفسكم، على ما هدى الله قدوتكم ومثاليتكم، وحقكم، وعبوديتكم، وربوبيتكم، وألوهيتكم، وحقيقتكم، من عرفتموه بينكم رسول الله، ومن شرفه الله عندكم لقائم عبد الله، ولمن أبان لكم به أنه هكذا يكون حق الله؟ {وقل جاء الحق وزهق الباطل}[٢٥].. {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا}[٢٦]، أولية وجود، وحقية شهود.

لا سبيل للرسول، متميزة عن سبيل ربه، فما كانت سبيل ربه إلا سبيله، وما كانت سبيله إلا سبيل ربه. {قل هذه سبيلي}[٢٧]، وكيف تكون سبيل الله سبيله، وهو منقطع عن مواصلة التواجد في آدم الوجود؟ وكيف يمثله من هو أعمى، أو من هو أصم، أو من هو غائب في قبر، أو من هو لا وجود له

في قومه وبين الناس، وجودا وهميا وفي الأوهام؟ {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله}[٢٨] مفتح العينين، {على بصيرة}[٢٩]، من أمري.. مفتح الأذنين، أسمع للوجود، وأسمع لربي، وأسمع للغيب، ويسمع الغيب بي يوم أسمع، {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله}[٣٠]، وإذ تشتكي إليك، ولو لم تسمع ما سمع لها الله، ولو لم تسمع لك ما سمعت لله، {أبصر به وأسمع}[٣١]، امنحهم السمع والبصر، قم وتقلب فيهم بما هو لك من السمع والبصر، {أسمع به وأبصر}، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٣٢].

أعلنها.. وأشهرها.. {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}[٣٣] ولست في هذا إلا عبدا من عباد وأولهم، وحقا من حقائق وأولها، ووجها من وجوه وجماعها، (الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة)[٣٤]، فبشر أمته، إذا كنت أدعوكم اليوم على بصيرة، فلن ينقطع من بينكم الداعي على بصيرة. {أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}، وليس في متابعتي، وما اتبعني من يقحم نفسه على الدعوة ولا بصيرة له، فليتحمل وزر نفسه، يحملون أوزارهم، وأوزار غيرهم، وأوزارا مع أوزارهم {كونوا ربانيين}[٣٥]، وأهل بصيرة، قبل أن تجلسوا بجوار العمود وعلى الحصيرة، {كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون}[٣٦].. {لا يكلف الله نفسا إلا وسعها}[٣٧]، (ومن قال لا أدري فقد أفتى)[٣٨]، لا تقحموا أنفسكم على ما تجهلون، وتزعمون أنكم تعلمون.. (فقهاء أمتي في الدرك الأسفل من النار)[٣٩].. حكام أمتي وإن كانوا طغاة، فإن الله قد يصلح هذه الأمة بالطغاة نصرا لهذا الدين، ينتقم بهم وينتقم منهم، ولن يصيب أذاهم إلا من يستحقه، {ولو شاء ربك ما فعلوه}[٤٠] وما هم بضارين به من أحد منهم إلا بما يشاء الله، ولكنهم ليسوا أربابا عليكم، فأمراؤكم ليسوا إلا أجراءكم، (فلا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله)[٤١].. (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة)[٤٢]، (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[٤٣]، (تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي)[٤٤]، هذا هو دينكم، يوم أنكم ترتضونه، رضاء بما تعرفونه، أما أنكم ترتضونه على أساس من متابعة الآباء، والأمهات، والتعصب للآباء والأمهات، فإنكم تمرقون من هذا الدين مروق السهم من الرمية. إن هذا الدين لا يعرف الجهل، ولكنه يقوم على العلم، وبأي قسط من العلم ولكن أي علم؟ إن هذا الدين والعلم به لا يقوم على العبث بالقول، ولكنه يقوم على أساس من الاستقامة على المقول، {كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون}[٤٥].

الذين قالوا ربنا الله، وهذه مرحلة من العلم، مرحلة أولية من العلم، ثم استقاموا، وهذه مرحلة ثانية في المجاهدة بما علم، بالمجاهدة في المعاملة مع النفس والمعاملة مع الناس، هذه هي أول مراحل المجاهدة

الصادقة بها يحصدون ما زرعوا، ويجنون ثمار ما بذروا، وهذه هي المرحلة الثالثة للإسلام، والأولى في الإيمان، {تتنزل عليهم الملائكة}[٤٦] كنتيجة حتمية لاستقامتهم.

وها أنتم أولاء في هذا العصر، يجعل الله من هذا الدين الذي قام على أساس من الواقع، يجعل فيه واقعا، لبيان ما جاء مبلغا، وقامه المؤمنون متحققا. {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة}[٤٧]، ها هي ذي تأتيكم الملائكة.. ها هي ذي الأرواح الخيرة.. ها هي ذي الأرواح المشرقة.. ها هي ذي الأرواح المنيرة.. ها هي ذي الأرواح الهادية.. ها هي ذي الملائكة تسوق الأهل إلى أهلهم.. (إن لله ملائكة سياحين في الأرض، يسوقون الأهل إلى أهلهم)[٤٨].

فماذا تنتظرون بعد ذلك من بيان؟ وماذا تريدون بعد ذلك من إحسان، من رب الإحسان، ورسول الإحسان؟ ظهر بينكم لإنسانكم، ولملائكي عقولكم، ولحقي نفوسكم وقلوبكم، الوجه والعنوان، لتتابعوه على ما هو كائن، وعلى ما كان، وعلى ما هو بينكم يكون، لتكونوا فيما كان على ما كان، ولتكونوا فيما يكون على ما يكون، حتى تسعدوا في قائمكم بما هو كائن، على ما هو بينكم قائم وكائن. {يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون}[٤٩].

أي دين أقوم من هذا! وأي حق أقرب من هذا! وأي سلام أسمى من هذا! به بدلت الأرض غير الأرض، والسموات، فكانت حضرة لله، على مثال من حضرات، سدرة منتهى، ولخلق الله مثالية سدرات في واسع الوجود والملك لله، في ممالك الله، في وجود الله، لمطلق الوجود اللانهائي له.

رسالة بها دانى الله الخلق، وقاربهم، وأمر رسوله الدائم بينهم أن يجيبهم {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب}[٥٠]، إني معهم أينما كانوا، إني أجيب دعوة الداعي إذا دعاني، ففي نفسه يلقاني، وفي غير نفسه لن يجد عنواني. {فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون}[٥١]. إني قدرتهم أن يرشدوا، وقدرتهم أن يهتدوا. وما قدرتهم لذلك إلا يوم أن قدرتهم ليضلوا، وقدرتهم ليسيئوا إلى أنفسهم فيهووا، لقد أصبحت القدرة لهم، والله {قائم على كل نفس بما كسبت}[٥٢]، وهو بقائمها لقيامه هداها السبيل إما شاكرة، وإما كافرة.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم بمن كتبت للبشرية به رحمتك، وأمنتهم به من غضبتك، وسلمتهم به من محنتك.. وأمرتهم به بطاعتك، بما قدمت من شرعتك.. اللهم به فاهدنا.. اللهم به فارحمنا.. اللهم به فتولَنا.

اللهم بمن ارتضيته لك عبدا، ورضيته إلينا من أنفسنا رسولا، ورضيت الإسلام له إسلاما لك قائم حقك، وعرفت الصلة به صلة بك، وصلاة لك.. اللهم به فاقبلنا.

اللهم بمن جعلته قبلة الصلاة لقاصديك، وروح الحياة للحريصين على الحياة بهم لك فيك بأمرك لهم روحا على روح، ونورا على نور، فألقيت منه الروح لأمرك على من تشاء من عبادك.. اللهم به فأحينا.

اللهم بمن جعلته أمر الروح والروح، وبمن جعلته حق الإنسان والإنسان، وبمن جعلته وجهك وجماع وجوهك، واسمك وجماع أسمائك.. وحقك وجماع حقائقك.. اللهم به فألحقنا، وإليه إليك فانسبنا، وبه فحققنا.

اللهم لا تفرق بيننا وبينه، على ما وحدت بينك وبينه، ولم تفرق بينك وبينه، ولم تفرق بينه وبينك. اللهم وحدنا معه حتى لا نفترق عنه فلا نفترق عنك، وحتى لا نفرق بيننا وبينه، وحتى لا تفرق أنت بينه وبيننا.

اللهم به فتولَنا.. اللهم به فقمنا، وفي الناس أقمنا، قياما له، وأعلاما لك، فلا تخرجنا من وحدانيتك، ولا تباعد بيننا وبين عقيدة أحدك، ولا تحرمنا شرف العبودية لك، ولا وصف العبد عندك.

اللهم في كرات وجودنا على هذه الأرض وقبلها وبعدها، اجعل في كل كرة من كراتنا، نفسا عذرية، وحقيقة قائمة أبدية، لحقيقة قدمية أزلية حتى نكون أمرا وسطا على ما هدَيت، نقومه ونشهده دائما، كلما قمنا، وكلما لك شهدنا في حق أحاط فيه، بحق فيه قمنا.

اللهم اكشف لنا أنا في لا إله إلا الله، وأدخلنا في لا إله إلا الله، بابا بعد باب، حتى نشهد الله أكبر والله أكبر، في لانهائي عطائنا.

اللهم بقائم حقك بنا، ضاعف حقائقنا لنا، وارتقِ بحقك بنا، في علي حقائقك لا نهاية لتعاليها، وارحم بها في تدانيها لا نهاية لتدانيك.. ولا تحرمنا قائم الأمر الوسط فيك، رضيناه في عبدك ورسولك، أمرا وسطا لا يغيب، وحقا دائما لا يحتجب، عن الرقي لا يتوقف، وعن التداني لا يتعطل.

اللهم وقد جعلته كافة للناس، فأدخلنا به في الناس، وانشرنا به في الناس، وأقمنا به الناس، فاجعل به من أفرادنا أوادم، ومن أوادمنا بيوتا، ومن بيوتنا أمما، ومن أممنا بشرية، ومن بشريتنا إنسانية، ومن إنسانياتنا وجودا، ومن وجودنا موجودا وموجودا وموجودا.

اللهم اجعل منا عالما، وليدا من عوالمك، ووالدا لعوالم فيك بعوالمه.. اللهم ابعثنا به البيوت والمدينة، والوالد والولد، والروح والسفينة.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

اللهم ادفع عنا من البلاء ما نعلم، وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

اللهم اكشف الغمة عن الأرض وعن بلاد المسلمين، وعن هذا البلد، وولِ اللهم أمورنا خيارنا، ولا تول اللهم أمورنا شرارنا، وخذ بنواصينا إلى الخير، واكشف لنا عن الصواب والحق، حكاما ومحكومين، مجاهدين ومجتهدين، أئمة ومتابعين.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع.

٢ حديث قدسي متداول في الكتب الصوفية: " لما أردت أن أخلق الخلق قبضت قبضة من نوري، فقلت لها: كوني محمداً، ثم خلقت من نور محمد كل الأشياء." ولكن يوصف في معظم كتب الحديث بأنه موضوع. الحديث له سند في موسوعة الإمام علي بالمكتبة الشيعية بصياغات متعددة منها، من حديث شريف: "عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير." رياض الجنان: مخطوط.

٣ الدائم الذي لا ينقطع، ما لا أول له ولا آخر له.

٤ حديث شريف: مَن رآني فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآنِي في المَنامِ فقَدْ رآنِي، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

٥ سورة الأعلى - ٢

٦ سورة الأعلى - ٣

٧ مقولة لأحد الحكماء، أو الصالحين، لم نستدل على اسمه، وجاءت القصة كالآتي: "لقي حكيم حكيماً فقال له: "بم عرفت ربك؟ فقال: عرفت الله بنقض العزائم". كذلك روى الإمام الحسين (عليه السلام) عن الإمام عليّ كرم الله وجهه: أن رجلا قام إلى أمير المؤمنين فقال: يا أمير المؤمنين، بماذا عرفت ربك؟قال: بفسخ العزم، ونقض الهم، لما هممت فحيل بيني وبين همي، وعزمت فخالف القضاء عزمي، علمت أن المدبر غيري. محمد الريشهري. المكتبة الشيعية.

٨ حديث شريف ذات صلة: "لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي". صحيح البخاري

٩ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةً أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في (تاريخه) عن أنس ابن مالك. المحدث الألباني. المصدر: ضعيف الجامع.

١٠ حديث شريف: "إنما أنا رحمة مهداة." أخرجه ابن سعد والحكيم والحاكم.

١١ من حديث شريف جاء في تفسير القرطبي أنه حين نزلت الآية {ولسوف يعطيك ربك فترضى} قال النبي صلى الله عليه وسلم "إذا والله لا أرضى وواحد من أمتي في النار." وجاء في صحيح مسلم في حديث طويل منه: "اللهم أمتي أمتي وبكى. فقال الله تعالى لجبريل: اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك فأتى جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - فسأل فأخبره. فقال الله تعالى لجبريل: اذهب إلى محمد، فقل له: إن الله يقول لك: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك."

١٢ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

١٣ سورة الانفطار - ٥

١٤ سورة الأحزاب - ١

١٥ سورة الكهف - ٢٨

١٦ حكمة مشهورة تتوافق مع مقولة للإمام علي كرم الله وجهه "السعيد من وعظ بغيره." ويقول البعض إنها من حديث شريف ضعيف وغير مثبت.

١٧ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

١٨ سورة الإسراء - ٧٢

١٩ حديث شريف: " إن لله عبادا إذا رُؤوا ذُكر الله." الراوي: الحسن البصري. صحيح ابن ماجه.

٢٠ سورة النساء - ١٧١

٢١ سورة آل عمران - ٥٩

٢٢ تم إضافة حرف الجر "في" وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٢٣ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٢٤ سورة الذاريات - ٢١

٢٥ سورة الإسراء - ٨١

٢٦ سورة مريم - ٩٣

٢٧ سورة يوسف - ١٠٨

٢٨ سورة يوسف - ١٠٨

٢٩ سورة يوسف - ١٠٨

٣٠ سورة المجادلة -١

٣١ سورة الكهف - ٢٦

٣٢ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

٣٣ سورة يوسف - ١٠٨

٣٤ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

٣٥ سورة آل عمران - ٧٩

٣٦ سورة آل عمران - ٧٩

٣٧ سورة البقرة - ٢٨٦

٣٨ مقولة تم تداولها من كلام الحكماء وأهل العلم، وقصدهم أن السائل يعلم أن المسؤول لا يملك المعلومة التي يسأل عنها فيسأل غيره، ولذلك فهذه الجملة مطابقة لمنهج الإسلام ونصوصه.

٣٩ إشارة إلى حديث شريف ذات صلة: "مررْتُ ليلةَ أُسرِيَ بي بأقوامٍ تُقرضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ من نارٍ، قُلْتُ: من هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: خُطَباءُ أمتِكَ الذينَ يقولونَ ما لا يفعلونَ ويقرؤونَ كتابَ اللهِ ولا يعملونَ بِهِ." أخرجه أحمد والبزار وأبو يعلي.

٤٠ سورة الأنعام - ١١٢

٤١ استلهاما من {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله} سورة آل عمران - ٦٤

٤٢ من الحديث الشريف: ".. فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قالَ: كيفَ إضَاعَتُهَا؟ قالَ: إذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إلى غيرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ". صحيح البخاري

٤٣ من الحديث الشريف: "ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته". أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي.

٤٤ إشارة إلى حديثين شريفين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي:

٤٥ سورة الصف - ٣

٤٦ سورة فصلت - ٣٠

٤٧ سورة الأنعام - ١٥٨

٤٨ استلهاما من حديث شريف طويل معناه (إن لله ملائكة سيّاحين في الأرض، يسوقون أهل الذكر إلى أهل الذكر). وبداية الحديث الشريف: " إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنادَوْا: هَلُمُّوا إلى حاجَتِكُمْ قالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بأَجْنِحَتِهِمْ إلى السَّماءِ الدُّنْيا..." صحيح البخاري. صحيح الترمذي.

٤٩ سورة يس - ٣٠
٥٠ سورة البقرة - ١٨٦
٥١ سورة البقرة - ١٨٦
٥٢ سورة الرعد - ٣٣

(١٥)

ما كانت الروح إلا قائم وقيوم الله
هكذا قدم الله نفسه لله، قديما لجديد
في قائم بوجود
برسول الله حقا في دائم رسالة الله بالحق

حديث الجمعة

١٥ صفر ١٣٨٧ هـ - ٢٧ مايو ١٩٦٧ م

تصحيح التاريخ الهجري: ١٨ صفر ١٣٨٧ هـ

براءة من الله ورسوله، لمن بريء من نفسه، ومن وجوده وحسه، ومن إرادته وتدبيره وعقله، إلى الله ورسوله، قائم وجوده، في قائم موجوده لا يفرق بين الله ورسوله، ولا يفترق بموجوده عن موجود رسوله لحسه، لموجود ربه في نفسه.

برئ من مادي وجوده، وشفى من وزر موجوده، متواجدا بموجده، عَالما جديدا بحقه وسيادته في الأعلى لأعلام حقه وسيده، مبعوثا بالله، وبرسول الله، في قائم الله وقائم رسول الله، كلمة لله، ووجها لله، في قائمه لأحده بواحديته لصفاته، في مطلق اللانهائي.

{يا بني لا تشرك بالله، إن الشرك لظلم عظيم.. يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل، فتكن في صخرة في السماوات أو في الأرض يأتِ بها الله}[١]. هذا ما قاله لقمان لابنه وهو يعظه، فعلى أي شيء يُبني الوعظ والإرشاد؟ أعلى غير الوحدانية؟ وعمَ يكون الوعظ والإرشاد؟ أعن غير التوحيد؟ وبمَ يكون الوعظ والإرشاد؟ أبعيدا عن العلم عن الله؟ كيف يكون التقويم؟ وعلى أي أساس يقوم التعليم؟ وعلى أي صورة يقوم التفهيم؟ أبعيدا عن حكمة الله؟ كيف يكون الإصلاح؟ وما هو الصلاح؟ ومن هو المصلح؟ وما يكون ما يصلح؟ وما هو الشيء الصالح؟ أهو غير جمع تألفت القلوب فيه، حول رسول الله؟ (لا تدعوني بالرجل الصالح، فالصالح هو الله)[٢].. {إن الله كان عليما حكيما}[٣].

{إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}[٤].. {فأينما تولوا فثم وجه الله}[٥]. إن المغفرة، للشرك، بالله لا وجود لها، لاستحالة إمكانها لأن التخلص من الشرك هو نفسه المغفرة، إن البرء من مرض الشرك هو كسب المغفرة، إن السلامة من مرض الشرك هو النجاة والخلاص والمغفرة، إن البعد عن الشرك، هو السلامة، هو الحفظ من الندامة، إن الشرك هو الداء وهو البلاء، وهو العدم. وإن التوحيد هو الدواء وهو التواجد وهو الحياة. وإن التوحيد يقوم في إدراك الوحدانية، وإعمالها بالعمل على القيام فيها، ونفي الأغيار معها، إن التوحيد يقوم في التخلص من القيام في وصف الغيرية، وهذا هو الصلاح، وهذا هو الإصلاح، وهذه هي العظة يوم تصدر من واعظ إلى متعظ.

{ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا}[٦]. إن انتفاء الغيرية، هو قيام في العندية، عند الله، يوم تعرف أنك لست غير الله، يوم لا ترى وجودا، قائما بحق، إلا وقد رأيته ليس غير الله، إن التنزيه في أن ترى ما ترى، ليس غير الله، وأن كل ما ترى مما هو ليس غير الله، ليس عين الله، إن كل ما ترى إنما هو من عند الله، وإنما هو وجه الله، الله وراء ما عنده مما ظهر منه لك، إنه الوجه وما وراء الوجه له بإحاطته، فيوم ترى وجهه، فإنك لا تراه، إلا بما وراءك من إحاطته، فهو ما هو وراءك بإحاطته لعين ما وراء مشهودك، فأنت كذلك وجه الله، مع وجه الله إليك، وجها لوجه.

ويوم تكون وجها لله، لا يقع نظرك إلا على وجه الله، في كل ما ترى.. فإنك ترى بعيون قلبك، بعيون عقلك، بعيون باطنك، ترى باطن ما ترى، مما ترى بعين رأسك، ترى قلب منظورك، به يستحيل منظورك إلى وجه لله، يوم أنك بباطن ناظرك، تقوم، فتنظر ما لا تلحقه الأبصار، وهو يلحق الأبصار، بكائنه اللطيف الخبير، ويوم يلحق بلطيفه الأبصار، تبصر بعينه، عينا له، وبصرا منه، فلا يقع البصر إلا عليه، ولا يتجه النظر إلا إليه، فكل ما رأى الرائي، رأى فيه وجه الله، فصار في الله في دائم أمره وجها لوجه.

صار المؤمن بذلك في فردوس وجوده، بقيام حق موجوده بعثا بحقيقة موجده، على ما هو موجود، في وجوده، لا جديد فيه، ولا غير له، إنها الحياة، يكسبها من يعمل لإحياء نفسه بعارية الحياة له.

يدرك ذلك، الإنسان، ويتميز بإدراكه له به على سائر الكائنات والعوالم والأكوان، بذلك يقوم الإنسان بجمعه المتوحد عقل الوجود الكلي، لإرادة الموجد، بعثا برسول الله، مضافا إلى نفس الله، قيام إرادته للوجود لله، ظهورا وقياما لقدس الله ولوجه الله لمطلق الله.

أنـا إن رأيت حبيبي فبـــأي عين أراه

بعينــه لا بعيني أراه فما يراه ســـواه[٧].

إن الإرادة، لقائم الوجود في مطلقه، وإن الوعي، لناموس الوجود في علمه، هو ما يدركه ويقومه الإنسان، وإن النفس، نفسا لله، تشمل بلطيفها الوجود، بحدوده وما بعد مدركه بموجوده، وتسبح بذاتها لمعناها، في مطلق الله لموجوداته بعوالمه لتعدد كائنه بكائناته، في تعدد نفسه، لكوثر نفوسه، بوجوهه بالإنسان.

إن نفس الله، ووعي الله، وعلم الله، وحكمة الله، وإرادة الله، وقدرة الله.. إن هي إلا صفات في الله، يجمعها الله، وجمعها الله، لإنسانه يوم ارتضاه حقا أبداه، وآدما بداه، فرسولا سماه، وعبدا ناداه، ووجودا تولاه، وإرادة قدّره وهداه، وحكمة علّمه، ونفسا خلّده وأزّله، وخليفة الله وكلمة الله ربه، وبروح الله أبداه كوثرا أوحاه، وأمرا لله تولاه، وأمرنا لخيرنا أن لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا بعيدا عنه من دون الله، جعله لنا عبادا وأربابا فكلنا لله العبد والرب في قائمه لقائم معناه، قياما لمن تولاه، وقيوما لمن يتولاه.

الإنسان هو إنسان الله، لمعنى وجوده، وإنسان الله، لمعنى عليائه وسماوات ارتضائه، ونفس الله، لتجليه بكائناته، لقائم كينونته، لموصوف خلقه، خلق وهو على ما عليه كان، انفرد، في موجوده، خلقا وخالقا لا شريك له. ولا يتصف بوصف الخلق له إلا من تخلق بخلقه. ما كان الإنسان بجلبابه إلا فيه، وما كان في الجلباب إلا هو، وما كان الجلباب غيره، وما كان الكون إلا جلبابا.

جعل الإنسان قابلا لإدراك ذلك، كلما درّكه بذلك، فأدرك بما درّكه، إدراكه لكونه، وقيامه لأمره، فعرفه لله اسما، ووجها، ووجودا، وحقا، وشرف بما عرف، يوم جمعه في موجوده، لأحدية كائنه بوجوده، عبدا للأعلى. في شهوده، بقيام في وحدانيته، علما على أحديته، إنسان الله وعبد الله، للأعلى رفيقا، إنسانا لله وعبدا لله في رقي متصل، واتساع متواصل في اللانهائي المطلق.

بهذا جاء دين الفطرة، وعلى أساس منه قام دين الفطرة، بذلك برزت الحكمة بدين الفطرة، من الرجل الرشيد، من السيد الحر، من الإنسان الطليق، من اسم الله، من عبد الله، من وجه الله، من حق الله علمها وعلّمها وأعلمها، قامها وأقامها، بقائم ودائم رسول الله.

ظهر رسول الله بها، مبعوثا بالحق، متخلصا من أوصاف الخلق، يوم زهق باطله، بوصف موقوته في كرات تواجده، وبعث بحقه، لقائم دائمه، حيا في قبره، وحيا قبل خلقه، وحيا بعد مخلوقه، وحيا بخالقه يوم ظهر خلقا، تميز في خلقته، وتميز في حقيته، ولم يتميز عن أمته، لا بخلقيته ولا بحقيته يوم كان أو يكون المتابِع والمـُتَابع من أمته قائما به، ما أعطيته فلأمتي، لها من خالقي خلقيتي، ولها بي عنده بعثها[٨]، على ما أنا به مبعوثه، في حقيقتي بحقيقتي، {فاتبعوني يحببكم الله}[٩]. ولو نظركم الله بقيامي،

فهو في دوام ناظري ومشهدي، وأنا في دائم منظوره بدائمي، إن رآكم، ولن يراكم، إلا يوم تكونون في متابعتي وقد كففتم عن مجانبتي يوم تبرأون من وجودكم إلى وجودي، يوم تتبرأون من خلقيتكم إلى خلقيتي، يوم تفتقرون إلى نور الله معي، وماء الحياة في أحواض، بقائمي في يومكم بذاتي، غريبا عليكم وبعيدا عنكم بصفاتي، فما عرفني غير ربي، يوم تستيقظون لأمري، ولن تستيقظوا لأمري، قبل أن تستيقظوا لأمركم، فتعلمون أن الشيطان يجري منكم مجرى الدم وأن عليكم أن تغيروا ما بأنفسكم ليغير الله ما بكم، وأنكم الفقراء إلى الله وهو عنكم المستغني ولكم الغني، وهو في معرفتكم، وهو في عقائدكم، وهو لكم يوم تكونون به له فتقومون به الغني الحميد.

فهل تابعتموني حتى يراكم؟ وهل أحسنتم العمل حتى يرضاكم؟ وهل آثرتم على أنفسكم، وأنكرتم على وجودكم، فاختاركم، فاصطفاكم؟

أنا رحمة مهداة، أنا نعمة مزجاة، أنا حقيقة مبداة، أنا اسم الله لكل من عناه، أنا وجه الله لكل من ناداه، أنا رعاية الله لكل من تولاه، أنا مثالية الله لكل من اصطفاه، أنا قديم الله لكل من جدد نفسه بالله، في الله، أنا قادم الله لكل من تواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر حتى يلقاه، أنا قائم الله لمن قرّب الله، ولمن قارب الله، ولكل من قام منكرا على غير الله، رائيا في كل ما رأى، ما ليس غير الله، أينما تولوا فثم وجه الله.

كيف تطلبون الله، بعيدا عن مبناه، وهو أقرب إليكم من حبل الوريد، بيوتا يذكر فيها اسمه، بيوتا مظلمة بمعانيكم لأنفسكم، تشرق بنوره لبعثكم بالحق لقائم نفسه؟ كيف تنتظرون الله، وهو معكم أينما كنتم؟ كيف تبعدون الله، قديما، قيوما عن جديد الله بكم، لكم قائما، وبقديم الله وقيومه لسابقه يحيا جديد الله لقائمه، وبقائم الله بكم يبقى جديد الله، يتكاثركم لدائمه؟ فما كان الوجود يحتويكم وتحتوونه إلا وجود الله، إلا ذات الله، وما كانت الحياة للوجود بحياة موجوداته إلا روح الله، وما كانت الروح في وحدة ازدواجها بمنظورها بالذات عبدا وبحياتها بالروح ربا إلا قائم وقيوم الله.

هكذا قدّم الله، نفسه لله، قديما لجديد، في قائم بوجود، برسول الله في دائم رسالته، تنزه الله عن القدم والجدة في صمد وجوده، إنما كان ذلك فيه، للإنسان له، يوم يصطفيه، فيعلم عن ربه في علمه عن نفسه، ويعلم عن قائم عبوديته في علمه عن قيوم ألوهيته في قائم الله بالوجود، لقيوم الله على وجوه بالموحد لمعناه في مطلق لانهائي الله، الناس في الله بأئمتهم وحدات حياة، لآحاد الحياة في الوجود المنفرد بأعلامه لما نسميه الله ونحن اسمه وأسماؤه.

لقد كان رسول الله رسول الله، في قديم الله. وقام رسول الله رسول الله، في قائم الله، وسيبقى رسولُ الله رسولَ الله، في قادم الله، لن يتغير رسولُ الله في الله عن وصف رسول الله، وتنزه الله عن الإرسال وعن الاستقبال. فما كان الرسول والمرسل والمستقبل إلا الإنسان فيه. وإن الكون عبدا لله، ومرسَلا إليه من الله، إنما جاءه رسولُ الله، ليعلمه ويعرّفه أن الله معه، وأن الله فيه، وأن الله له، وأن الله قريب منه، وأن الله محيط به، حتى لا وجود للكون ولا للوجود، حتى يراه من يرى في مرآة نفسه يراه قائم الله في القيام وفي الشهود.

إن الله في وصف عظمته، وفي قائم سعته، لا يحاط به، ولا يدرك عنه، لأن الإدراك إحاطة بالمدرك، صادرة قائمة بالمدرِك، فكيف يقوم الله بعبده؟ وكيف يقوم عبده بغيره؟ إن عبده يعرف عنه، يوم يكون له عبدا من صنع نفسه فيصير ربانيا بأمره وربا باصطفائه واختياره وخلافته قياما بحقيقته لقائم حقه على موجود كونه لوجوده.

في هذا قامت بشراكم، وبالتفريط فيه قام تحذيركم كما قام إنظاركم. هذا هو دين الإسلام، يوم تدخلونه كتابا أنتم فيه فطرة، فمن دخله من باب إمامته مرة، ففي معراجه لكمالاته يدخله مرات، ومن ذاقه بمجاهدته ونعمته مرة، يعرجه مذاقات وعطاءات، ومن أحاط به مرة، أحاط وأحاط وأحاط يوم عرفه محاطا ومحاطا، فقام أمرا وسطا محاطا محيطا ومحيطا محاطا في دوام على ما هدي، وتوحد مع الأمر الوسط، على ما أهدى، استرحم فرحم، واستعطى فأعطى، وجاهد فجزي.

هذا هو الإسلام، دين الفطرة طريقا وكتابا، ما شاده مشاد، إلا غلبه، إن الإسلام ما جاء إلا رحمة بالكافرين، وجمعا للشاردين، وإيقاظا للغافلين، وبعثا للراكدين، وقدرة للعاجزين، ونورا للمظلومين، وروحا ولطيفا للماديين، ومادة وتجسيما للمتروحنين.

رسالة السماء للأرض عن قائمهما لله، ورسالة الأرض إلى السماوات عما بعد السماوات والأرض لقائم الله لهما، {يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات}[١٠]، يوم تشرق الأرض بنور ربها، (وتنشق الأمة عن سيدها)[١١]، فبه تعرف الأرض والسماء الأعلى لهما، يوم يصطفيه، وولدا منهما لهما لنفسه يجتبيه، وإلى أحضانه يرده ويحتويه، ووجها له، وكلمة الله يبديه.

وهذا من الله للأرض والسماء عطاؤهما، وهذا من الله جزاؤهما، وهذا ما يفعل الله، لابن الأرض، وابن السماء، يوم هو لنفسه يبتليه ويلهمه فيهديه، ولنفسه يرتضيه، فيظهره من كنزيته يوم يصطفيه، فخليفة على الأرض يظهره ويبديه، وللسماوات يشهده ويعطيه، وقائم الأمر على الأرض يعليه، عبدا له في أخوة السماء لنفسها ترتضيه.

هذا هو الإنسان لله الذي جاءكم بمحمد الله جاءكم بنبي الله جاءكم برسول الله ظهر ابنا من بيت أبيه، وأبا من أمر متجليه، وروحا من حقه معه فيه، فكان بقائمه ومعناه، وظاهره لغيبه، ومخلوقه لخالقه، وعبده لربه، كان البيت وما يحتويه، وكان الغيط وما ينبت فيه، كان الجنة بجناها، بأشجارها وفردوس معناها.

كان الجنة والبستان، وكان بهمته، وكان بعمله، وكان بنفسه، نار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، مباركة وما حولها، مشعلة ولا ضرّ لها إنما هي نار الدفء، نار الحياة، نار الطاقة، نار القدرة، نار الإرادة تتحرك بإرادة مشعلها، وتقوم بسر متجليها، رحلة الصيف.

{إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله، فيقتلون ويقتلون}[١٢]، إن هذا الدين، الذي يرعاه الله ولا راعي له غيره، هيأ لمن دخله وقامه سبيل الصلاح فيه، على ما تقتضيه نواميس الحياة المادية {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض}[١٣].. رحلة الشتاء.

والناس في حقيقة أمرهم جميعهم في قيامة، كل مولود يولد على الفطرة، وأبواه يخرجانه منها، يوم هم يمجسانه أو ينصرانه أو يهودانه، فالناس في دين الفطرة بمولدهم، مسلمون بفطرتهم، لا تفرق، في فطرتهم، بينهم الأسماء أو الألوان أو الأجسام، أو الأوطان.

الناس في دين الفطرة، أمة واحدة، لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وإن الله لا ينظر إلى صوركم وأقوالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.

تمت برسول الله لرسول الله كلمة الله لقيومه على قائمه، لقديمه بجديده، في قائمه بمحمد لآدمه، فتمت نعمة الله، بكلمة الله للناس، مبعوثا بها كافة للناس، فقام الحق به رحمة للعالمين. فما يكون الإنباء للإنسان؟ وما يكون الأوادم بعد الحق وقيامه؟ لقد كان الإنباء برسالاتهم بشرى عن قائم الحق وقادمه، وها هو الحق جاء فزهق الباطل. {ورضيت لكم الإسلام دينا}[١٤] كلمة الله تمت به قدوة وهدية لكافة الناس.

لو ظن المسلمون الآن وقبل الآن أنهم المسلمون على أساس من الأسماء والألفاظ، وأن غيرهم من أهل الاستقامة الفطرية ليس كذلك، فليسوا بالمسلمين ولا إسلام لهم، وهذا ما يقول به فريق من أدعياء الإسلام في زمانكم، في مباعدة بين الناس والإسلام، مباعدة، قامت بعد رسول الله، بعد أن قضى عليها رسول الله في قائمه بقيامه، رسولا من أنفسهم، يقوم ويتقلب في الساجدين، نور الله الساري ووحي الله العامل، وحيا يوحى، للعقول يوم تشرق، وللقلوب يوم تحيا، وللنفوس يوم تجزى، وللقوالب

يوم تبعث. ومازال الرسول من بعد بدئه بسفوره بكماله لظاهره يتناقص في الناس بعد الذي جاءهم به من العلم، ويتجمع بنوره في قليل من بينهم قائم القيمة عليهم، ويتقلص بحقه وحكمته عن الكثير منهم أمة مذنبة. (خير القرون قرني ثم الذي يليه ثم الذي يليه)[١٥].. (ويأتي على أمتي زمان، القابض فيه على دينه، كالقابض على الجمر)[١٦].

ولكن يا من يؤمنون بالله ورسوله يرونهم في الناس قلة مستضعفة في قائم الطاغوت الظالم بجمعه، لا تخشوا على إيمانكم وعلى أنفسكم، (لا تزال طائفة من أُمتي قائمون على الحق، لا يضرهم من خالفهم إلى أن تقوم الساعة)[١٧].. (الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة)[١٨]، اطمئنوا اطمئنوا لا تجزعوا، (تركت فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي)[١٩]. ولأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها.

وكلما بلغ الظلام مداه، تجلى الإسلام بحقيقته ومعناه، ففي الأمس القريب، بلغ الظلام مداه، بين من حملوا لواء الله، فتحت لهم الدنيا، فتنافسوها، فأكلتهم كما أكلت من قبلهم، فزحف الفطريون من الشرق، قاموا في الفطرة، لا يرددون اسم الله ولا يعرفون رسوله، ولا يعرفون لله اسما، ولا يعرفون له بينهم رسولا لا قياما ولا لفظا غير أميرهم عادلا، هم في طاعته جميعا رجلا عاملا.

زحف الغزاة من الشرق بجحافلهم وأصبحت دولة العرب في عصر العباسيين -ولا أقول دولة الإسلام- تحت أقدامهم، سجدت صاغرة، وإن رددت اسم الله ورسوله بهما كافرة، فإذا بالمسلمين ادعاءً ينهزمون، وإذا الإسلام فطرة ينتصر، إذا الغزاة وأمتهم وأقوامهم يدخلون في الإسلام أفواجا، هؤلاء الذين هزموا أهله، يشهرون إسلامهم أمما، فيعتز الإسلام بفعله، وبقدرته، من فعل الله وقدرة الله، ولا يعتز بمن استكبروا بعروبتهم، كأن الله أخطأ إذ أبرز نبيا عربيا! هل اعتز النبي بعروبته، أم كانت عزته في بعثه بالحق برسالته؟ إنها كانت عزة العرب به، إن النبي كان حظا من الله صادفهم.

ولكن العرب، ما رأوا فيه لهم أصلا، وما رأوا له عليهم قبلا، وما عرفوا له فيهم في قائمه وقائمهم به عليهم فضلا، وما عرفوا له بعد قيامهم له، وقيامه بهم بينهم بقاء، به يبقون يوم يبقون، وبتخليهم عنه يهلكون يوم يهلكون. إنه الحب المحيي، ومعه البغض المفني.

(أبي يهزأون، أم عليّ يجترئون، بي حلفت، لأثيرن عليهم فتنة تصير الحليم فيهم غضبانا)[٢٠].. وها هو في زمانكم يفعل، ما أشبه الليلة بالبارحة، لا جديد في الحق، ولا جديد في نواميس الله في الخلق، ها هي القصة تتكرر، قصة الدنيا والدين، قصة الدين للدنيا، ها أنتم تُقَدّمون طُعما للممسك بغابة السنارة يُلقي بها في بحر الخلق، يلتقطها الحوت، كما التقط أخ له طعما من قبل، والممسك بيد الأمور، والمدبر والمخطط بقضائه وبلائه، وابتلائه وجزائه، وعدله ورضائه، وغضبه ورحمته، يمسك بسنارته، بغابته، بمصيدته

مستويا على بحر الحياة، وعما قريب، وها هي العوامة تغمز، مشيرة إلى أن السنارة بُلعت، مختفية في الطعم، وأن النصر قريب، وأن الإسلام، لا يعتز بالناس، ولكن الإسلام يعتز بنفسه، بالله ورسوله.

إن القرآن لا يعتز بقارئيه، ولكن القرآن عزيز بمليه، إن القرآن نبوءة الحياة، وأهله سفينة النجاة، وطريق الخلاص، وأحواض الإخلاص، لمن لمس قلبه بروحه، لمن لمس نوره، لمن لمسه في العقل نوره، لمن لمس من القلوب ولمن لمسه من العقول نورا وروحا، إن القرآن، ليس ورقا، وليس ألفاظا، وليس حروفا، وليس رسوما، ولكن القرآن حياة، ونور الحياة، وحركة الحياة، ودائب الحياة، ودأب الحياة لمن دأب، وسفين النجاة لمن ركب وطريق العلم لمن طلب، وباب الخلاص لمن طرق، وسبيل الوصول لمن سلك.

إن القرآن ما كان إلا رسول الله ولا أقول ما كان رسول الله إلا القرآن، فما كان القرآن إلا جانبا من جوانب رسول الله، إن رسول الله أكبر من القرآن، وأوسع من القرآن، وأبدع من القرآن، وأعجز من القرآن، {إنه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين}[٢١].

إن رسول الله أم الكتاب، القرآن كتاب من كتب فيه. (قومه أناجيلهم صدورهم) [٢٢]، إنه الوحي يوحى، تصدر عنه كتب السماء، {إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى}[٢٣]، إن القرآن لمعنى رسول الله، ورسول الله لمعنى القرآن، إنما هو الصحف قبل الصحف لإبراهيم وموسى، إنه الأسماء قبل الأسماء تَعلّمها آدم، إنه الإنسان قبل الإنسان، إنه كان آدم والإنسان من قبل أن يقوم آدم، لمعنى الإنسان، إنه العنوان للعنوان لأصل الأصول لكل عنوان، إنه إنسان الرحمن، إنه الإنسان فيه الحقان وسمهما ربين، أو سمهما عبدين أزواجا في وحدان، وأحديات لأحد في القيام والعنوان، إنه أحد من آحاد، وواحدية لأحد، بين واحديات لآحاد، به عرف الله، وبه قُدِّر الله، وبه ظهرت عظمة الله، يوم ظهرت عظمة الإنسان للإنسان للعيان.

إن يوم الفصل كان ميقاتا، للطاغين مآبا، لابثين فيه أحقابا، يوم يبعثك الله مقاما محمودا، وحقا قائما مشهودا، لأهل الحق في العيان، ولأهل الذل في الهوان، يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له فلا تسمع إلا همسا وخشعت الأصوات للرحمن.

ها هي الأمور تتهيأ، وها هو الزمان يدور دورته، وها نحن أولاء نحيا، مخضرمين، بين نهاية لزمان لمعروف إنسان بعنوان، وبداية لزمان لإنسان يعرف في إنسان.. بين تمام لإنسان، وبين بداية لإنسان في قائم ودائم الإنسان عبدا للرحمن بين آدم يصطفى ويجتبى، وإلى ربه يؤوب، وبين آدم لرحمة إلى

الأرض يعود، بيتا يوضع مرة أخرى لبيوت رفعت وحقا يشهد، ونصبا يطاف، ومدينة تؤوى، وقبلة ترتضى، تُشهد في قبلة القلوب، بعيون العقول في شعلة النفوس، لهياكل الوجود.

به يظهر الحق ربا للعالمين، ووجها للمحسنين، وحقا للمتحققين. ذلك حقا يوم الدين، يوم نعرف مالك يوم الدين، فلا نراه إلا الرسول الأمين، أنكرنا عليه كلما بدا، وفرطنا في أمرنا معه كلما قارب ودعا، فتثاقلنا إلى الأرض معنا ربا لنا، ما صدّقنا بوعي، وما كسبنا لسعد، وما وردنا أحواض شهد، أنهار من عسل، أنهار من لبن، أنهار من خمر، أنهار من رضا، أنهار من يقظة، أنهار من حياة، أنهار من وجود، أنهار من سكينة، أنهار من طمأنينة، ولكننا جمدنا التعبير، وأغفلنا المعاني، وتجمدنا مع المباني، فلا لحق شهدنا، قائما لشهودنا، بيننا وفي وجودنا، وفينا وفي موجودنا.

هل عرفنانا فينا، فعبّدنا جمعنا بمفرداتنا، قيام جمعنا في فردنا معلما وبيتا وأبا وأما وأخا لنا فشهدنا أرض قلوبنا، أرضا لعالمنا، على مثال من شهودنا لعالِمنا، في عالَمنا؟

هل اهتزت القلوب طربا فربت؟ هل لماء الحياة من سماوات العقول استقبلت فارتوت، فأنبتت، فبجديد بعثت، ومن قديم انبعثت، في قائم به قامت وشهدت؟

(موتوا قبل أن تموتوا)[٢٤].. هل قبلنا؟ بعثت بالحق وبه تبعثون فهلا بعثتم قبل أن تبعثوا.. هل عملنا؟ هل غيرتم ما بأنفسكم.. من الوعي، من الفهم، ومن الإدراك.. ولم يغير الله ما بكم وجودا وشهودا؟ هل صدقنا وجاهدنا؟ ولمن فعل هل تابعنا؟

أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، هل عادينا؟ ويحذركم الله نفسه، هل راعينا؟ ومن خدعتها وفتنتها هل حرصنا؟ هلا أخذنا بيدها لسلامة طريقها، بما جعل الله لنا من عقل ومن وعي ومن إدراك ومن علم، جعله نورا ساريا فينا، لنار قائمة بنا، في ذات من الأرض ومن التراب لهيكلنا.

أنت جماع الوجود بوجودك، فهل تواجدت؟ أنت عين الحق لشهودك يوم شهودك، فهل إلى نفسك، اتجهت، لتنظر فنظرت، فما وجدت وما شهدت؟ إنك لم تفعل، إن الإنسان لربه في نفسه لكنود! هل قدّرتك إنسانا كنودا؟ قتل الإنسان ما أكفره! هل قدّرتك كافرا يطلب الإيمان؟ إن الإيمان يزيد وينقص، هل قدّرتك مؤمنا يفتقر إلى الإحسان؟ هل قدّرتك محسنا يفتقر إلى اليقين؟ هل قدّرتك موقنا يفتقر إلى الوجود؟ هل قدّرتك موجودا يفتقر إلى المزيد في الوجود، والسعة في الموجود؟

هلا صدقته وهو يقول لك، وما من كمال إلا وعند الله أكمل منه، عطاء غير مجذوذ، إن قدّرتك مؤمنا فلمَ توقفت؟ إن توقفت وركب الوجود يسير بالوجود، إلى مزيد في الشهود، فأنت المتخلف، أنت

الرجعي، وأنت المتناقص، وأنت الواقف، وأنت الساري إلى الخلف، يوم لا تساير ركب الحياة في الوجود، إلى الأمام.

أنت في عصر اختلط فيه النور بالظلام، والحق بالباطل، حتى أن العاقل أصبح لا يدري، ما هذا الذي يدور من حوله، {أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا}[٢٥].

الناس في أمرهم في هذا العصر، في حيرة، في قلق، في اضطراب، في فقدان للأمان، في فقد للسلام، لا يعرفون كيف يتجهون إلى ما به من قائمهم يتخلصون، يتجاهلون ويجهلون أنهم ظلموا أنفسهم، والأمر أبسط مما يقدرون، إنهم عن البساطة يخرفون، {وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه، يا بني لا تشرك بالله، إن الشرك لظلم عظيم}[٢٦]، ظلم يلحق بك، ويعود عليك أثره. (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)[٢٧].

{ولو شاء ربك ما فعلوه}[٢٨].. {وما هم بضارين به من أحد، إلا بإذن الله}[٢٩]، من عرف الله، وخرج من الامتراء[٣٠]، فوحد الله، ودخل في وحدانية الله، اتحادا مع رسول الله، باتحاد مع ظلال رسول الله، طوافا حول نصب الله بعترة رسول الله، بآل رسول الله، خلاصا من مركبه من الأرض والمادة، لجوءا إلى سفن ركب رسول الله، بآل بيت رسول الله، (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)[٣١]، ما كان ابن مريم إلا معناها، وكان السفينة مشهودة في معناها ومبناها، قلبا واسعا وعبدا صادقا، دنيا نجاه، وجنة مولاه. (لا دينونة الآن على من دخل في قلب يسوع)[٣٢]، كلما بدا، وكلما تجدد بيننا، (أنا هو الطريق والحق والحياة)[٣٣]، (أنا هو القيامة والحياة)[٣٤]، (دع الموتى يدفنون موتاهم وابق مع الحياة)[٣٥]، {ولما ضرب ابن مريم مثلا، إذا قومك منه يصدون}[٣٦].. (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم)[٣٧].. في الدنيا والآخرة. (لا مهدي إلا عيسى)[٣٨].. (بينا أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم، قلت مَن، قيل ابن مريم[٣٩].. والله ليس بأعور[٤٠]).

عيسى كلمة الله وروح منه، مثله عند الله كمثل آدم، كلاهما لله كلمة، وكلاهما روح منه، وما كان الروح منه لهما، إلا روح القدس، ورسول الله، والأمر الوسط بين آدم أبا، وابنه آدما، فما حمل مراد الله لكلمات الله إلى آدم إلا رسول الله وروح الله. وما حمل إرادة آدم، إنسانا لله وإرادة لله، إلى أبنائه إلا رسول الله. وما قام آدم وابن آدم في روح الله إلا قياما في رسول الله. وما قام بهما بيننا إلا قائم رسول الله، والنور الذي أنزلنا معه، جعلناه نورا نهدي به من نشاء.. جعلنا لك نورا تمشي به فيمن تشاء.. هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٤١]، وما كان آدم إلا أول العابدين، وما كان كلمة الله به إلا اليوم الآخر، إلا يوم الدين. وما حمل إلى رسول الله في قائمه الآدم إلا سبق لآدم وما استقبل منه يقينا إلا لحاق لآدم، فكان في دوام آدم الوسط وبه اقتدى لعين معناه سبقه ولحاقه من الأوادم وبذلك، كان رسول الله دائما وأبدا رسول الله.

على هذا النمط، يجب أن يقوم فقه الدين، ولا يستطيع مثلي، أو أستطيع أنا، أن أقدم لكم فقه الدين في حديث، لا.. ولا في حياة كاملة مما تشهدون، ولكن هذه المعرفة، جاءتكم بشرية الأرض، في عصور متميزة، سلّم عصر عصرا، برسالة متميزة، سلّمت رسالة رسالة، برسل في عدة من صور بأسماء ومسميات، سلّم رسول رسولا، حتى عصركم هذا، فيه يقوم الروح لرب العالمين، في ركبه يبعث سائر المرسلين، وفي ركبه يقوم جماع النبيين، وفي ركبه يسجد من في السماوات ومن في الأرض لإنسان الله، لسيد الوجود، لسيد الأولين والآخرين، إنسان الله وعلمه، اسم الله، وجماع كلمه.

إن قيام رسالة الروح إنما هو يوم الفصل في أمر الإنسان في الله، للإنسان في الله، من الإنسان في الله، عند الإنسان بالله، هذا يوم الفصل الذي تنبأ به الكتاب، يكشف عنه الحجاب، ويشهد لكل عقل، ويطلب لكل مفتقر، وتسعد به كل نفس، ويتحرر به الروح من جلبابه من المادة، والعقل من قائمه في التقيد ويشرق به ظلام النفس في الوجود، حتى يقوم الله في أنفسكم بنوره، عيانا بيانا للشهود، هذه هي الرسالة التي تشهدون عصرها، وتقومون بيومكم وأمركم في يومها وأمرها. نسأل الله أن يجعل لنا نصيبا فيها، واهتداء بها. ها نحن في المعاد والموعد والميعاد، تشد الأنظار في جميع بقاع الأرض إلى أرض الموعد، ويوم المشهد، حيث مضاجع الكلمات في القبور، يوم يبعث فيه الله من في القبور، في رسالة الروح، (ها هم الموتى يتكلمون)[٤٢].

اللهم يا من جعلت الإيمان بالروح إيمانا بك، وجعلت الموت للذات بعثا لك، وجعلت الإنكار على موصوف الخلق لنا، هو الإيمان بموصوف الحق لك، وجعلت اليقين بوجودك لقائم موقوتنا في دائم قيامك يقين اللقاء لك.

اللهم يا من جعلت من محمد روح قدسك، وأشهدت به إنسان حقك، وأعليت به كلمة أمرك، وجددت به آدم خلقك، وأبرزت به من كنزيتك مشهود حقك، اللهم به فابعثنا، وبه فينا فالقنا، ومعه بك فلاقنا.

اللهم حققنا بنا له، وبه لك حتى نراه بك لنا، أحدية حقائقك لواحدية حقك في وجودنا، اللهم ألف بين قلوبنا بقدرتك، لفيض رحمتك، ولبعث عزتك، ولشهود قدرتك، ولمطالعة كتابك، ولسقوط حجابك، وللسير في طريق ركبك، إلى لانهائي أمرك، ببعث سرك في إنسانك لجهرك استعلاء جهرك بسرك طلبا لك، في لانهائي وجودك، بلا إله إلا الله، والله أكبر بقائم محمد رسول الله، يقوم ويتقلب في الساجدين، في كل من آمن به وشهد له.

اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا، اللهم به فادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم، اللهم به فارحمنا، اللهم به فاغفر لنا، اللهم به فتولَنا، اللهم به فأنزل السكينة على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وألف اللهم بين قلوبنا وعقولنا ونفوسنا، ووحد جمعنا، ويسر فيك أمرنا، وخذ بنواصينا إلى الخير حكاما ومحكومين أئمة ومتابعين، مجاهدين ومجتهدين.

لا إله إلا أنت سبحانك، إنا كنا من الظالمين.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة لقمان - ١٣ ، سورة لقمان - ١٦

٢ من الإنجيل: "لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا. لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ" (مت١٩:١٧)

٣ سورة النساء - ١١

٤ سورة النساء - ٤٨

٥ سورة البقرة - ١١٥

٦ سورة النساء - ٨٢

٧ شعر للشيخ محيي الدين بن عربي في كتاب التجليات الإلهية:إذا تجلى الحبيب باي عينٍ تراه؟ . . . بعينه لا بعيني فما يراه سواه.

٨ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.

٩ سورة آل عمران - ٣١

١٠ سورة إبراهيم - ٤٨

١١ استلهاما من الحديث الشريف: (مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّهَا). رواه البخاري.

١٢ سورة التوبة - الآية ١١١

١٣ سورة البقرة - ٢٥١

١٤ سورة المائدة -٣

١٥ حديث شريف ذات صلة: "خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم." صحيح البخاري.

١٦ حديث شريف: "يأتي على النَّاسِ زمان الصابر فِيهِم على دينه كالقابض على الجَمْر." رواه الترمذي.

١٧ من الحديث الشريف: "لا تزالُ طائفةٌ من أمَّتي على الدِّينِ ظاهرينَ، لعدوِّهم قاهرينَ، لا يضرُّهم مَن خالفَهُم، إلَّا ما أصابَهُم مِن لأواءَ حتَّى يأتيَهُم أمرُ اللَّهِ وَهُم كذلِكَ. قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، وأينَ هُم؟ قالَ: ببيتِ المقدسِ وأكْنافِ بيتِ المقدسِ". أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة. وعبارة "حتى تقوم الساعة"، من الحديث الشريف: "لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة." أخرجه الحاكم.

١٨ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

١٩ إشارة إلى حديثين شريفين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي:

٢٠ حديث شريف ذات صلة: "يخرج في آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوب الذئاب; يقول الله عز وجل: أبي يغترون؟ أم علي يجترئون؟ فبي حلفت، لأبعثن على أولئك فتنة، تدع الحليم حيرانا" رواه الترمذي. ويوصف بأنه ضعيف.

٢١ سورة التكوير ١٩:٢٠

٢٢ من حديث شريف: "صِفَتِي أحمدُ المتوكّلُ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، يجزي بالحسنةِ الحسنةَ، ولا يكافئُ بالسيئةِ، مولدُه بمكةَ، ومُهاجرُه طَيبةُ، وأُمَّتُه الحمَّادون، يأتزِرون على أنصافِهم، ويوُضّؤون أطرافَهم، أناجيلُهم في صدورِهم، يَصفّون للصلاةِ كما يصفُّون للقتالِ، قربانُهم الذي يتقرَّبون به إليَّ دعاؤُهم، رُهبانٌ باللَّيلِ لُيوثٌ بالنَّهارِ". أخرجه الطبراني.

٢٣ سورة الأعلى - ١٨:١٩

٢٤ حديث شريف. المحدث: الزرقاني، ولكن لم يثبت سنده، ويوافق الحديث الشريف: "كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ وعُدَّ نفسَك في الموتَى". أخرجه البخاري.

٢٥ سورة الجن - ١٠

٢٦ سورة لقمان - ٣

٢٧ من حديث قدسي: ".. يا عبادي! إنَّما هي أعمالُكم تُرَدُّ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمَدْني ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلَّا نفسَه." الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح. أيضا الحديث: " يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه." صحيح مسلم.

٢٨ سورة الأنعام - ١١٢

٢٩ سورة البقرة - ١٠٢

٣٠ الامتراء هو الشك والارتياب.

٣١ إشارة إلى الحديث شريف: "مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق." أخرجه الحاكم في المستدرك.

٣٢ "إِذًا لَا شَيْءَ مِنَ ٱلدَّيْنُونَةِ ٱلْآنَ عَلَى ٱلَّذِينَ هُمْ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ، ٱلسَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ ٱلْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ ٱلرُّوحِ. لِأَنَّ نَامُوسَ رُوحِ ٱلْحَيَاةِ فِي ٱلْمَسِيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَنِي مِنْ نَامُوسِ ٱلْخَطِيَّةِ وَٱلْمَوْتِ". رُومِيَةَ ٨:١-٢

٣٣ (أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي.) (يو ١٤: ٦)

٣٤ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا" (يو ١١: ٢٥)

٣٥ "فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللهِ»." (لو ٩: ٦٠).

٣٦ سورة الزخرف - ٥٧

٣٧ من حديث شريف: " أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بعيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ قالوا: كيفَ؟ يا رَسُولَ اللهِ، قالَ: الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِن عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فليسَ بيْنَنَا نَبِيٌّ." صحيح مسلم.

٣٨ حديث شريف رواه ابن ماجه.

٣٩ من الحديث الشريف: "بيْنَما أنا نائِمٌ رأيتُنِي أطُوفُ بالكعبةِ، فإذا رَجلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعْرِ، بيْنَ رجُلَيْنِ يَنطُفُ رأسُهُ ماءً، فقُلتُ: مَنْ هذا؟ قالُوا: هذا ابنُ مَرْيَمَ، ثمَّ ذهبتُ ألْتَفِتُ، فإذا رجُلٌ أحمَرُ جَسيمٌ، جَعْدُ الرأسِ، أعْورُ العيْنِ، كأنَّ عيْنَهُ عِنبةٌ طافِيةٌ، قُلتُ: مَنْ هذا؟ قالُوا: الدَّجالُ، أقْربُ الناسِ بهِ شبَهًا ابنُ قطَنٍ". أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير.

٤٠ حديث شريف: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ الدَّجَّالَ بَيْنَ ظَهْرَانِي النَّاس فَقَالَ: إِنَّ اللَّه لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلاَ إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ. متفقٌ عليه.

٤١ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

٤٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

(١٦)

الحق المتواصل بموالد لا تنفصل في بيت الذكر، لقائم الأقدس لا يحتجب أمة الله ورسوله، بقائم دائم، بين سبق ولاحق واقعية الرسالة والرسول في واقع الحياة

حديث الجمعة

١٥ ربيع الأول ١٣٨٧ هـ - ٢٣ يونيو ١٩٦٧ م

{النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}[١].

هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٢].

{وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم}[٣].

يا أمة الله ورسوله، لا تفرقوا بين الله ورسوله، ولا تفرقوا بين الرسول وأهل البصيرة من عترته، ولا تفرقوا بين المؤمنين وأئمتهم من العترة.

{أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات، ليس بخارج منها}[٤].

اذكر ربك في نفسك، يوم تراك وقد سرى نور الله من الرسول إليك، فيكون فيك لمعناك روح مبناك. لا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله، فهو لكم فيكم معلوم الرب لمعناكم به، والمربوب بمبناكم منه، بنوره للسماوات والأرض يمشي به أمامكم فيكم، {النور الذي أنزل معه}[٥]، ولم يرفع من بعده، قائما فيمن يدعون بدعوته، على عين بصيرته، من أهله وعترته، دائم البسملة بأمته.

{فلا وربك، لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت، ويسلموا تسليما}[٦]، أمر بين الناس في دوام قيام، يؤدي عمله، ويقوم في رسالته، نصب الصلاة، وقبلة الحياة، وكتاب الإيمان، مملكة القلوب وسيادتها للقوالب.

{ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم، جاؤوك، فاستغفروا الله، واستغفر لهم الرسول، لوجدوا الله توابا رحيما}[٧]. فهل تعطل إعمال هذه الأحكام الفطرية؟

الرسول بينهم ببصائره قطب الرحى لأمنهم وسلامهم ورحمتهم، ووسيلتهم يوم تستقيم الأمور لجمعهم، {واعلموا أن فيكم رسول الله}[٨].. لا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله.

الرسول ورب الرسول والمؤمنون بالله ورسوله جمع واحد وأمر واحد وحق واحد، وقيام متعالٍ واحد في الله الواسع العليم لمطلقه ولانهائيه، هذه هي حقائق أو أقانيم الفطرة في دين الإسلام.

ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، وما جعلناك أبترا، وما جعلناك فردا، بل أقمناك كوثرا وأمة، حقا لله وملئه وظلا له، لدائم عباد الله وحقائقه مزوية لك الأرض ممهدة لك عوالم السماوات. {ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم}[٩].

السمو بلا حد والسماوات بلا عد قبلة الرجاء والدعاء، والملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه، والرفيق الأعلى لا يَشهد ولا يُشهد، إلا معية المؤمن للمؤمن. (المؤمن مرآة المؤمن)[١٠].

في مثل هذه الأيام من كل عام، نحتفل بما نسميه مولد رسول الله، وما جعلنا له في الحياة، دائمة متجددة، مولدا دائما متجددا، وما جعلنا له في الوجود لموجودنا واقعا، وما جعلنا له في مجتمعنا متجددا متصلا، وجودا متجددا متواصلا، وما جعلنا له في أنفسنا قائمة، أثرا قائما، ولا عند عقولنا، متقيدة أو متحررة، خبرا مرددا، وهو الذي أبرزه الله رحمة، بكنودنا لله قطعناها، وجعله لنا كافة حقيقة قائمة، بجهلنا أنكرناها.

وجعله بدائمه لنا بيننا قدوة وأسوة، بكبريائنا أغفلناها، ووعدنا لمآلنا، بحاله وأمره في عالم لنا من إنشائنا عطاء ورحمة، حقيقة كفرناها، وجعل لنا في متابعته واقتدائه، فناء عنا وبقاء به جزاء لنا، حقيقة كلما أسفرت، جفوناها. وعرفنا أنا بذلك، إن وقع منا مع الرسول به، إسلاما، كان منا لله ولاء، ومنه عطاء، وقد جعل الله في الرسول للباطل فناء، وللحق بقاء، ولنا سلاما، فوجهنا ولاءنا للمردة والشياطين، باسم الله والرحامين.

مرج فينا لوجودنا البحرين يلتقيان، بموجودنا من الظلام، وبموجودنا من النور، لموجودنا من الحق، في موجودنا من الباطل، بموجودنا من الدوام، في موجودنا من التوقيت، بموجودنا من الآخرة، في

موجودنا من الأولى، بموجودنا من الحقيقة، في موجودنا من الخليقة، بموجودنا من الإنس، في موجودنا من الجن، بموجودنا من الطبيعة، في موجودنا من الحقيقة.

وهدانا، إلى نفسه في أنفسنا، شاكرة أو كافرة، وإلى ربنا في موجودنا، مباركين، وإلى الله في معيتنا، مؤمنين، وإلى قدرة الله في رعايتنا مجاهدين، وإلى عزته في مظاهرتنا، متوكلين، وإلى معرفته في مشهودنا مبصرين.

وهدانا إلى النجاة في طلب تواجده في وجوده، في موجودنا متطورين، منا متحررين من بلائه متخلصين، إليه بنا، بعطائه فائزين، في أئمتنا أمة، بتوحيده متوحدين، في اتحاد قلوبنا، وفي تآلف نفوسنا، وفي تزاوج عقولنا، وفي تراص مبانينا، تواصيا بمعانينا، في اجتماعنا من شتاتنا، إلى أحدية أشتاتنا، حول نصب من أنفسنا، ميسرة لنا في كل مكان، وفي كل زمان، كما هدانا إلينا متعطلين، على مكانتنا ممسوخين، حتى نكشفنا ونرانا مبلسين، مردة وشياطين.

المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا، المؤمنون كأعضاء الجسد الواحد، هذا الجسد الواحد، متصلا لدوام، هو رسول الله، المتجدد في القيام، قامه محمد الله وعبد الله ورسول الله والذين معه كوثرا لدوام، لا أبتر، ولا إلى انعدام.

هذا البنيان، وهذا البيت، كان حق الله، بيت يذكر فيه اسم الله، تطوف حوله العقول، وتعكف في ساحته النفوس، وتسلم في وصلته الذوات، موضوعا لمرفوع، يرفع لموضوع، بحر الحياة، وسفن الخلاص والنجاة، وطريق الاستقامة، ودار السلامة، وهو ما طمره الناس بموهوم أمته ومزعوم شيعته. وأغفله فحرمه الناس بالتفرقة بين صوره بالأنبياء لقائم ودائم رسالة الله بالحكماء.

هذا الذي نحتفل بما نسميه مولده، وهو المولود به في ميلاد كل وليد، وهو المتجدد في البشرية، ما تجددت البشرية بجديد، بيت قبلتها وعرفات اجتماعها، وهو ثمرة الحق لها، ما أثمرت شجرتها، كلمة لله بوليد، وما بعث فيها أمر لله بجديد، بكهل مجرب رشيد، أو موعود ينتظر بقلب واسع ودود، رجل متوفى بعقل متحرر سديد، أو قائد وإمام لا عوج له، ذي بصر حديد، أو حكيم يبعث حوض ماء للحياة للورود ميسر، لا آسن ولا متوقف عن الفيض المديد، بل نهر عذب جارٍ، يغذي جداول سارية، تملأ كل فراغ لكل آنية، يوم لا يمنع الناس الماعون، عن الامتلاء بنور الله، وماء الحياة، من صامد بحارها، لإنسانها رحمة للعالمين، لا أبترا، ولا فردا، ولكن كوثرا يتفجر من الأرض عيونا، ويتصاعد من الأرض سحبا، ويعود إليها أمطارا وأنهارا، (حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم)[١١] .. (الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم القيامة)[١٢].. (أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر)[١٣].

فماذا كان من الناس؟ إنهم فيهم أماتوه! ونور الله به فيهم أطفأوه! وبقوا بأنفسهم مظلمة وبأشلائهم متعفنة، وما أماتوهم، لمعاني موته، فبعثوه لمعاني حياتهم، ولكنه أبتر وصفوه، وفردا منفردا ذكروه، لا رحمة للعالمين، ولا أصلا لظلال النبيين، ولا أمة من العباد الصالحين، ولا قيما من نور الله للعالمين.

لا، ولا عرفوه بحرا زاخرا، بالناس هادرا، ولا أرضا بَكَّت ماءها تتصاعد منه سحب الحقيقة بهم، لا تتثاقل إلى الأرض، لتتخلص من أملاحها في عالم الاختبار والبلاء سبحا إلى أجواز الفضاء، بالثمرة والعطاء، جُعل بظاهره مثل الحياة الدنيا في طبيعتها، تعبيرا من المبدع لها، عن حقيقة الحياة في جوهرها، بمخبرها.

يرد إلى الأرض بأحواض الحياة، بمائها العذب، بكلمات الله وجنوده على متن السحاب، بحقائق الله للإنسان في الإياب، آوية للرحامين، إلى أبنية الابتلاء، جيئة اسم الله وملائكته، في ظلل من الغمام، بناموس {يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين}[١٤].

فيداني باسم الرب، لمعنى الإنسان، وتداني الكلمات هو في معيتها لمعنى وجوه ورسالات الرحمن، بقانون لا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله، خطابا إلى أرض البشرية، هاؤم اقرؤوا كتابي، عودا إلى أرض البداية، إلى قائم حق، لحق النهاية، إلى أرض الخلافة ودار الضيافة. قائم وقيوم الأب والآب للناس أجمعين.

وذلك في دورات قائمة في دوام، تسفر في دورتها بأيام، هي أيام الله، لخلقة الزمان، قرونا وعشراتها، وآلافا ومضاعفاتها، عطاء من الحق إلى الخلق غير مجذوذ، وحقا متجددا بلا تعدد، وخلقا جديدا بلا توقف، بلا بدء يدرك، وبلا انتهاء يرتقب، في اللانهائي الصمد، لبدايات لنهايات به فيه بالإنسان للإنسان في الإنسان.

هذا ما جاء به رسول الله حقا، أصبحنا ولا واقع له عندنا، ولا ظلال له بيننا، اللهم إلا بكل شيطان مريد. يأتينا مع فقهائه، من حوله، ملائكة له متابعين، يتكلمون عنه مزوي النعم، وجماع الكلم، فقهاء ومستوزرين، معبودا منهم، على أنهم عنه عن الله يتكلمون، بموهوم علم وبهتان مبين يزعمونهم باسم الهدي يقومون، وكتابا لله يتلون.

تأملوهم يحتفلون بما يسمونه مولدا لرسول الله، فلا يطيب لهم الحديث عنه، ولكنهم يتحدثون عن غيره الذي يتعشقون، وإذا تحدث أحدهم عنه، تحدث عنه في احتفال مولده، متفها له ولمولده، منكرا على ما أكبره بعض أهل السبق به، يوم عرف السبق شيئا عنه.

(من رآني فقد رآني حقا) [١٥]، من منهم حاملين أمانة الدين بزعمهم؟ قال إنه الحق رآه.. وإنه الوجه لله.. وإنه الأمر لله لمعنى مولاه.. وإنه الخالق له بيده، والمجدد لخلقته بنظرته، والماحي لباطله بنوره، والباعث له، إلى حقيقته بحقه وروحه من أمره.

من قال منهم إنه شعار لا إله إلا الله وعلمها؟ من عرف منهم أنه حصن لا إله إلا الله وقيامها؟ من أدرك منهم أنه مقيم لا إله إلا الله، فيمن دخل لا إله إلا الله، حصنا لله وقيامها؟ من عرفه منهم بيت الله طافه؟ من عرفه منهم ساحة الله اعتكافه؟ من دخله منهم اسم الله وجهه وهيكله، وحق الله عينه وجوهره؟ من عرفه بمشهوده لموجوده؟ إنه حق من حقائق الله، مطلقا في حقيقته لا حد له، يوم يقوم بحقائق الله قائم، قائم عبد الله ورسوله، فطلبه لنفسه، وعمل في طلبه، فطابت له الحياة به. {كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون}[١٦].. {أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون}[١٧].. {وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير}[١٨].

إنسان الرحمة للعالمين.. إنسان القدوة للطالبين.. إنسان الطريق للسالكين.. إنسان الله للمؤمنين.. إنسان الكتاب للحكماء العالمين.. إنسان الحياة لمن كانوا للحياة مفتقرين.. إنسان النجاة للمتخلصين من عثرات الطريق إلى الحياة.

محمد رسول الله.. محمد عبد الله.. محمد وجه الله.. محمد يد الله.. محمد قدم سعي الله.. محمد مطية الله عند مطاياه.. محمد نفس الله بين نفوس خلقها الله لنفس الله.. محمد الله، لكل طالب لله بالله، ولكل متحدث بالله، عن الله، عند الله، {وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا}[١٩].. {وأما بنعمة ربك فحدث}[٢٠].

محمد الله كائن أصلحه الله لنفسه، فصار من خلقه إلى حقه مضافا إلى الله عند الله، ثم جاء حقا من الله إلى خلق الله مضافا إلى خلق الله رسولا من أنفسهم، ثم رجع من عالم خلق الله إلى عالم عليّ الله، محمد الله، بين قديم الله، وقادم الله، بقائم الله حقا واحدا في الله لله. هذه هي أقانيم الإسلام.. هذه هي حقائق الإسلام.. وهذا هو شفع وتعديد الإسلام، عند العقل ليدرك وتر الإسلام، عند القلب ليشرق.

الشفع والوتر في الإسلام.. التوحيد والتعديد في الإسلام.. والوحدانية والواحد والأحد، والوجود لا شريك له، والموجود لا غيبة له، والمعبود لا عجز له، قضايا في الإسلام، وأمور تناولها البلاغ، وأقامتها وحققتها الطريق، وكشفها البيان، وقامها الصادق من الناس بالإنسان.

من صلح أصلحنا له، من صلح من آبائه، ومن صلح من ذرياته، ومن صلح من مخالليه وأزواجه، ألم يصلح رسول الله لله، فيصلح الله له من صلح من آبائه ومخالليه وأزواجه، وذرياته؟ فبذلك كانت وبه

تدوم رسالته، وعملت وتعمل بيننا عترته، فينتشره فينا كتابه، ويحققنا نوره، ويمحي بالله منا على ما أمحى منه ظلامنا وظلامه، مغفورا لنا ما تقدم وما تأخر من ظلامنا، كما فعل الله له في قديمه وقادمه بظلاله، فنبعث بالحق فينا، وفيمن حولنا، لقيامنا وقيامه، قائم الله لا شريك له، شهداء على الناس، الرسول علينا الشهيد، مبعوث القديم، وقدوة القادم، ورحمة القائم، الأمر الوسط وجوامع الكلم.

إن رسول الله بصلاحيته لله، باجتماع قديمه لمعنى ربه، على قائمه وقادمه لمعنى عبده وحقه، ذكر لذكر، وأمر لأمر، وإنسان لإنسان، رب لرب، وعبد لعبد، عَلما على المعلوم لهما، والقائم بيننا بهما، والمقيم لنا قياما لهما، كان بإبرازه، أن أبرز الله رحمته. وبطريقه أبدية، أبَّد الله نبوته. وبالروح أزلية قوَّم الله رسالته. فكانت به النبوة للشهادة هي الطريق، والروحية لها بها الرسالة والصديق، والقيام بهما كتاب وإمام رفيق.

{ففهمناها سليمان}[٢١].. {إنه من سليمان وإنه باسم الله الرحمن الرحيم}[٢٢].. {وكل شيء أحصيناه في إمام مبين}[٢٣]، في كتاب أمين، في إنسان ثمين.

كل شيء أحصيناه في كتاب مبين.. في كتاب خالد.. في كتاب وجود قائم.. في إنسان الزمان. (إن الزمان قد استدار على هيئته كيوم خلق الله السموات والأرض)[٢٤] بمولد محمد، أول عباد لأول عابدين، وأول عابدين لأول عباد. {وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر، يأتين من كل فج عميق}[٢٥]، صرهن ثم أدعهن إليك يأتينك سعيا، هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين}[٢٦].

{أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم}[٢٧]، ما كانت السماوات والأرض لشهودكم، إلا إنسانا بظاهره قائما لوجودكم، أو دارا له إن شئتم، أو هيكلا ونفسا له إن أدركتم، {لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون}[٢٨]، عن أمرهم من مطلق الله.

سبحان الله وتعالى عما يصفون، {وما قدروا الله حق قدره}[٢٩]، سبحان من جعل نهاية المعرفة عنه، في إدراك العجز عن المعرفة عنه، سبحان من جعل معرفة الإنسان عنه، في معرفة الإنسان عنه، {ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء}[٣٠].

{اقرأ كتابك، كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا}[٣١].. {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[٣٢]، إنكم مقابر الموتى على الأرض تدبون، لِمَ لا تحيون قلوبكم فتشهدون؟ لِمَ لا تطلبون الحياة حتى أنكم في قلوبكم بالحق تبعثون، وأنفسكم خلقية، عنكم وعن معانيكم تسقطون، فبالله ولله تقومون، وبالله ولله تتعارفون؟!

تعرفون من يعلوكم، فيمن هم دونكم، منكم بهم تحيطون وهم بالله يبعثون، فأنتم بين يدي رحمته تقومون، يوم أنكم أنفسكم لله تُعبِّدون، فيد الله تقلكم بمن دونكم لها تشهدون، {وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون}[٣٣]، فتشهدون من عليكم يعلون، يدا لله لكم يظلون فيمن دونكم لكم بالله يتواضعون، فبين يدي رحمته من فضله تقومون، أمرا وسطا تبعثون وتشَهَدون وتشهِدون.

هكذا علمكم الأمين رسولا لله تعرفون وتلاقون، فهل تعلمتم أو تتعلمون؟ وهكذا في دائم معكم يعلمكم رسول لله لرسول الله، ألا تذكرون؟ رسول الله لكم، هو أنتم بحقائقكم، بحقكم في أنفسكم، ظلالا له تتواجدون، ووجودا بعد وجود تقومون، بكرات تشهدون، وبقيامات تبعثون، وببدايات في الفطرة تعادون وتُغفَرون.

كلما أسأتم إلى أنفسكم، عفا عنكم، وإلى حق بدئه، معه في دورته تعودون، لتعملوا غير الذي كنتم تعملون، وتغيروا ما بأنفسكم إليه وجها لله من أنفسكم له تشهدون، ولكنكم يا حسرة على العباد، فيما كنتم فيه به له تواصلون، وما بأنفسكم لا تغيرون، {إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون}[٣٤]. أفإن كان آباؤكم لا يفقهون شيئا ولا يعقلون! تتخذونهم لكم الهادين، وهم لكم الضالون المضلون! وبضلالهم تضلون، وباقتفاء آثارهم تُضلون، وللضلال تُجددون، وكلما جاءكم من الله أمر بهدي تخاصمون، فعلى مكانتكم تمسخون وتبلسون، وبرحمته في إبلاسكم تنظرون، ومن السماء تردون، بعد سكرة الموت بالحق تجابهون، ولكنكم على هذا الدين المتين، متجددا مع القرون، فيه تبعثون يشاهد معلوم أنتم على الفطرة تنكرون، ومولدكم على الفطرة يتجدد بكراتكم على الأرض تجحدون.

سيروا في الأرض فانظروا ماذا كانت عاقبة من كان قبلكم من المكذبين، فمن عليها كانوا، وعلى مثالكم عليها كانوا، يدبون، امَّحت آثارهم، ومُحي ذكرهم، إلا من كان وجها لله، فوجوها لله يُذكرون، واسما لله يعملون، وإليكم في ظلل من الغمام في دوام يعودون، وعلى متن السحاب دوما يرجعون، ونور الله في قلوبكم يَسْرُون، وبكم بجديد أمر لهم يبعثون.

ها هي ذي رسالة الروح، يقوم بها الروح لرب العالمين، هلا فتحتم صدوركم للقادمين.. هلا هيأتم قلوبكم للزائرين.. هلا أعددتم عقولكم لاستقبال المالكين.. هلا عرفتموكم في دائم في يوم الدين.

وهل هناك يوم للدين، ويوم لغير الدين؟ وهل قمتم أنتم وآباؤكم وأبناؤكم إلا في يوم الدين، يوم هو القرون، بل هو آلاف السنين؟ إنكم تنتظرون يوم الفصل، وأي فصل تنتظرون؟ إنكم تنتظرون يوم الفصل فيما كنتم به تكذبون، وسكرة الموت في دوام به آتية لو تعلمون، لو أنكم لكلام الله تسمعون، {وجاءت سكرة الموت بالحق}[٣٥]، ذلك ما كنتم منه تحيدون، والرسول يبينه لعقولكم فإلامَ تنتظرون؟ وحتامَ تكذبون؟

(القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)[٣٦].. (من مات فقد قامت قيامته)[٣٧]، فأي يوم للدين تنتظرون؟ (لكل منكم ساعة)[٣٨]، (لكل منكم قيامة)[٣٩] أفلا تتأملون؟

إنه لكم هو يومكم، يوم أنكم في قائمكم تموتون، وللحق معكم تكشفون وتكسبون، قبل أنكم بانقطاع عملكم له تفقدون، وعن ربكم في أنفسكم تنفصلون، وبظلالكم بظلامكم تبعثون، موتى تُشهدون، والموتى فيكم لكم تَشْهَدون.

{والذين كفروا، أعمالهم كسراب بقيعة، يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، ووجد الله عنده}[٤٠]، وهو الذي كفر به من قبل، وهو معيته، وهو ما زال معه، وهو الحياة، وهو قيوم الحياة وقائمها، أشرك بالحياة، كفر بالحياة، ففقد الحياة، وجدها كانت له وكانت عنده.

جاءت سكرة الموت بالحق.. أي موت وأي حق!؟ وهل أنتم إلا موتى!!

(دع الموتى يدفنون موتاهم وابق مع الحياة)[٤١]، مع كلمة الحياة، مع حوض الحياة، مع وجه الحياة.. مع إنسان الحياة.. وهل كان إنسان الحياة إنسان الشيطان؟ إنسان البهتان؟ إنسان الكفران؟ شياطين الجن والإنس يوحي بعضهم لبعض زخرف القول وزورا.

ليس الشأن أن تكون محل وحي، يُوحى إليك، أو يُوحى منك، ولكن الشأن، أن تعرف من يكون هذا الوحي، هل هو من الشيطان وللشيطان بك؟ أم هل هو من الرحمن وللرحمن لك؟ هل هو إبليس اللعين؟ أم هل هو الروح الأمين؟ هل هو إنسان الحق؟ هل هو رسول الله؟ فإذا أوحيت، وكنت وحيا، به أوحيت، فبك أوحى الله، بك أوحى الروح، بك أوحى الأمين، هذا ما كان رسول الله، وحيا إليه، أو وحيا منه، أو وحيا عنه، أو وحيا به، وما زال به على ما كان وحيا يوحى.

هل عرفت أمته من كان وحيه؟ وهل عرفته وحيا؟ وهل عرفت من كان محلا لوحيه وإيحائه من عترته وظلاله وأبنائه وعشيرته وأصحابه وأنصاره وأمته؟ إنها تحتفل بما تسميه مولد رسول الله، مولدًا فيه قَبرته، ما جددته، وما ولدته، وما دخلت بيته، وما كانت به له ولدًا أو والدًا أو أخًا أو جديدا، وما عرفت فيه له والدًا أو سبقا أو قديما، وما كانت له جسدا، وما عرفت له بين الأجداث قَلبا أو قالبا، تجددت الأجساد لها ولم يتجدد بينها.. سبحان الله، هل يؤاخذ الناس على مخالفة من لا وجود له بينهم؟ هل يُطلَب إلى الناس أن يقصدوا لقبلتهم من لا كيان له في شهودهم بوجودهم؟

لو أنهم جاءوا الرسول.. أين هو الرسول اليوم يجيئونه؟ أعند قبره ينادونه؟ ولو أنهم في أنفسهم يطلبونه، مع معلم أو رائد أو إمام يلاقونه لوجدوه واجتمعوه ولا يكونون بعيدين عنه دونه.

ألم يُطلَب إليهم أن يَصلُوه، وأن يُصَلّوا عليه، وأن يروا القبلة المنسكية المشروعة، ما هي إلا رمز له بيتا وضع للناس؟ هو لهم بها وفيها الحق والحقيقة، والناس من حولها له ظلاله، ومظاهره لموجوده بهم بالخليقة، فالناس به بحقه لمن فيها بحقيقته، مع من يستقبلونها، يتواجهون في الله وجها لوجه، وجوه ناضرة لوجوه لربها ناظرة.. ملأ لملأ، الملأ الأعلى، والملأ الأدنى، يجتمعان في صعيد واحد، الله من ورائهم الظهير، وهو بهم الظاهر، وهم في أدناهم، على ما هم في أعلاهم، ينشدونه ويطلبونه، يوم أنهم يقدرونه ويعلونه، فكلما أعلوه يتواجدونه، وكلما تواجدوه يعرفونه ويؤمنونه، بما أحاطوا عن أنفسهم له به يحيطونه، فكتابه يقرأونه، ووجهه يطالعونه، وأمره يقومونه، وحقه يشهدونه، وأسماءه وصفاته يجتمعونه. (المؤمنون كأعضاء الجسد الواحد)[٤٢]، يتعالى ويعلونه، {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه}[٤٣]، ويرتفعونه، وفي البيت المرفوع وحوله، على ما هم في البيت الموضوع وحوله، يتجددونه.

هذا ما عَلَّمنا رسول الله، فماذا تَعلَّمنا مما عَلَّمنا رسول الله؟ لا شيء! إلا متابعة الشاردين، وخشية الماردين، والسجود للطاغين، والاستماع للضالين، ومتابعة المضلين، بالضلال معهم وعنهم متحدثين باسم الدين، ووصف المتوكلين، ولاؤنا لمانح الخير، ومزديه[٤٤]! ولي النعم ومؤمنيه! خازن المال ومفتونيه، نفوس متأكسدة في كنودها للأرواح بينهم متجسدة، بالوسطاء والرواد قائمة متجددة.

يتخذون بعضهم بعضا أربابا من دون الله، وهو بهم ومعهم جميعا بما كسبوا، وهذا هو الناموس، الناس بعضهم لبعض، رب ومربوب في أنفسهم، وفي اللاهوت، وفي الطاغوت، في مطلق الله هم بمعانيهم لقائم العبد والرب فيهم، الله هو الحق المعبود، وهو الحق المقصود، يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، ويفتن بالسلطان من به تسلط، ومن عليه سُلط، فلا طاعة لمخلوق قام في سلطان، على مخلوق تابع لسلطانه، ما قام صاحب السلطان في البهتان، وما عنون عن الله في الله عن الله النسيان. (فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[٤٥]، ولا عزة لمن اعتز بعزة بعيدة عن عزة الله. ومن اعتز بعزة الله، لا عزة له على عباد الله إلا بما يرضي الله، قياما في طاعة الله لنفاذ أمر الله.

{أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، وأولي الأمر منكم}[٤٦].. طاعة لا تتعدد ولا تنفصل، ولكنها طاعة متصلة. طاعة أولي الأمر هي طاعة الرسول. وطاعة الرسول هي طاعة الله. وطاعة الله في طاعة الرسول. وطاعة الرسول في طاعة أولي الأمر.. أولي أمر الله... وليسوا أولي أمر الطاغوت، {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها}[٤٧].

وما كان أولو الأمر إلا {عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما}[٤٨]. ألم يأمر الله.. هو {الرحمن فاسأل به خبيرا}[٤٩]؟ ألم يُعلِّم ويهدي الله {ومن يؤتَ الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا}[٥٠]؟ فما كان المراد بأولي الأمر إلا من أوتوا الحكمة.. من أوتوا المعرفة.. من أوتوا

العلم.. من أتوا أحواض الحياة.. من أوتوا أنوار الوجود.. من كانوا مصابيح الله.. من كانوا نصب الله على الأرض.. من كانوا أوتاد الأرض، أن تميد بالناس.. من كانوا سرج الحياة ووهيجها، يُشهدون في القلوب للقلوب، ويُشهدون في العقول للعقول، يتواصى الناس حولهم بالحق، ويتواصون بينهم معهم لأمرهم فيهم منهم بالصبر، {ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا}[٥١].

(المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخالل)[٥٢]، (والمؤمن مرآة المؤمن) [٥٣]، فلينظر أيكم من اختار له من بين مجتمعه مرآة، يشهد فيها نفسه وجها لما وراءه من قائم مولاه، {واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة}[٥٤].

لا تجهر بصلاتك، ولا تجاهر بصلتك، ولا تخافت بها، ولا تمنع الحكمة أهلها، إن وجدت سائلا فأجبه، وإن وجدت مستعينا فأعنه، وإن وجدت مفتقرا فأغنه، وإن وجدت ضالا فخذ بيده، وقل له في نفسه قولا بليغا، مما عرفت وبنعمة ربك شهدت، ولها أخذت، وبها قمت، فلها عليها أحطت، وعلى ما عَرفت عَرَّفت لمن تُعرِّف، يوم أنك للظن به أحسنت، {وقل لهم، في أنفسهم قولا بليغا}[٥٥]، تحدثوا عن الله، ولا تتحدثوا عن أنفسكم، تعرفون يوم يعرف الله.

لا تجعل حديثك عن نفسك، ولكن اجعل حديثك لهم عن أنفسهم، من الله وفي الله على ما عَلِمتَ الله لك. بِشّرهم بالله لهم، بنعمة ربك، حدثهم عنهم محلا لنعمته التي عرفت.

هذا مما جاءكم به هذا الإنسان، الذي في أنفسكم أمتموه وقتلتموه، وفي تراب الأرض ذكرتموه، وفي قبره سجنتموه، وفي مُتَصَوَّر من ذات يوما حصرتموه، وفي مبنى من تراب أرض زرتموه، حرما سميتموه، وروضة أسميتموه، إليها منتهيا قدرتموه، لا مثيل له متجددًا واهمين أكبرتموه، جهلة به علمتموه، كنودين له بوصف المؤمنين به تابعتموه، لا ربا من ربكم عرفتموه، ولا إلها لقدسكم طلبتموه، ولا عبدًا لعليكم قمتموه، ولا نورا في أنفسكم استقبلتموه، بل أغلقتم دونه أبوابكم، وبظلامكم، لأنفسكم زعمتموه، وببهتانكم تصدرتم فقمتموه، وبعيدا عن إنسانكم بالحق قدرتموه، ثم قدوة خيالية بكلام تصدرتم فقدتموه.

أين هي هذه القدوة تقوم؟ وأين هو هذا الباب يُطرق؟ وأين هو هذا السراج يستضاء به؟ أين هم نصب الحق يُسجد له، ويُؤمَن به، ويُعرف في النفس؟ يوم نعرف أن الله أقرب إلينا من حبل الوريد، وأن الله معنا حيثما كنا، وكيفما كنا، ومتى كنا، يوم نعرف أننا في الله قمنا، وأن الله فينا يقوم.

يوم نعرف أنه ما بين الله فينا قائم، وما بين الله علينا قيوم، تقوم أسوار أبداننا، بمادي وجودنا، بتراب هياكلنا، وأنه يوم تسقط هذه الأسوار يجتمع من فيها، على من هو عليها قائم، يجتمع من في الدار، بمن

حول الدار، يوم تسقط الأسوار، وتوضع الأوزار، ويزول الجدار. (حائط المبكى) والبكاء في الحج عند الأستار، وأمام باب الدار.

أما اليوم ونحن في أسوار أبداننا، فإن الله قريب، يجيب نداءنا، ويلبي دعوتنا، ويدخل بنوره في بيوته من قلوبنا، نور على نور، فيجتمع قيومه علينا، على قائمنا به بقائمه فينا، {وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون}[٥٦].

وإنهم لا يرشدون إلا يوم يعرفون أنهم الموتى، وأنت بينهم بماديك من أنفسهم ميت، وهم ميتون، وإنك مت عن موتك، وإنهم يوم هم عن موتهم يموتون، بك يبعثون، تقوم وتتقلب في الساجدين، بعثا بالحق لهم بنور الله منك، له يشهدون. {وقل جاء الحق، وزهق الباطل}[٥٧]، لو أنكم تؤمنون.. لو أنكم لحديث الصدق تصدقون.. لو أنكم بأُذن الله لكم، لفم الله بينكم، تنصتون ولا تُصمون، فصوت الله تسمعون، بأُذن الله فيكم لها تملكون، وبها تقومون، يوم أنكم بنور الله مشكاة صدوركم تنيرون، يوم أنكم لسرج قلوبكم تشعلون، ولأرواحكم تضيئون، ولعقولكم تحررون، فالطريق تسلكون، والاستقامة تقومون وتعنونون، وحول رسول الله بينكم تطوفون، وقبلة لكم إلى قلوبكم تتخذون، يوم أنكم في حصن لا إله إلا الله، تدخلون، فبمحمد رسول الله، تبعثون، وله تشهدون، ويوم أنكم به تقومون، نور الله تنتشرون.

اللهم بمن جعلته لنا وللعالمين، رحمة ويوما للدين.. اللهم به فارحمنا وبه فابعثنا، وقياما له ألحقنا، وظلالا له شرفنا، ووجودا له حققنا، حتى نكون لك، بمن كان لك، فنكون بك، يوم أنَّا به نكون.

هذه هي أقانيم الإسلام، أنت والرسول وربه، حق واحد، وإله واحد، ورب واحد، وعبد واحد، وحقيقة واحدة، وإنسان واحد، وبيت واحد، في مطلق الله.

من الذي يرفض ذلك، يوم يعرف أن له ذلك! وأن آباءه من الصالحين كانوا كذلك، وإنه للصالحين ولد، وللمصلحين سَند، وإنه بصلاحه للحق وجد، وإنه في أبنائه يتواجد، فعلمت نفس ما قدمت وأخرت، وعلمت نفس ممن وُلدت، وكيف ولدت وتوالدت. إنسانية صالحة، بعضها من بعض.

آباؤهم الأبناء والأحفاد، وأحفادهم الآباء والأجداد، أُمة واحدة، ارتفعت فوق المكان، بكينونتها لله، وارتفعت فوق الزمان بقائمها لله.

سعدت في وجودها برسالتها قيومة على الوجود، لقائمها قيوما على قائم الوجود لها، مسقطة وجودها الخلقي إلى وجودها الحقي، أُمة وسطا وخير الأُمم، تأمر بالمعروف وهو الله، وتنهي عن المنكر، وهو وهم ما سواه.

أمة تبذل الخير، الله عندها هو الخير.. أمة الخير.. أمة الرسالة.. يوم هي أمة الرسول.. وأمة الله يوم هي بالله، ظهير الرسول، وظهيرها الرسول، قائم الرسول، ويد الرسول، ولسان الرسول.. أمة واحدة، هي فرد الرسول، وفرد واحد هو أمة الله ورسوله.. هذا ما جاءنا به دين الفطرة، وما قام به بيننا رسول الله، وقامته بيننا أسرته وعترته وبيته وصحبته وأنصاره، يوم كانوا في صحبته، ويوم قاموا في نصرته.

بذلك كان الرسول للناس جميعا أُبوة الروح وأُبوة الدم.. أول العابدين آدما، وأول الحق كلمة، وأول الكائنات وجودا، جعله الله للكل قدوة، وجعل فيه للجميع بالله أسوة، وأدامه بين الناس عترة، وجعله للناس غاية آلًا وأمة، وجعله للحق لهم في أنفسهم مآلا وحقيقة، وجعل من خلقيته ونصبه بينهم، للقيام وللعمل، مثالا وحقية، وفي متابعته والتخلق بخلقه، نظاما وقياما وشريعة.

جعل ذكره قرين ذكره، وجعل أمره قرين أمره، وحقه قرين حقه، وبعثه بالحق قرين بعث الحق به، لا يرى غيره، ولا يشهد إلا إياه، يوم هو نورًا له في القلوب يراه.

تحيا به القلوب، نورا على نور، وعطاءً على عطاء، وجزاء على جزاء، ورحمة على رحمة، وهدية على هدية، ونعمة على نعمة، عطاء غير مجذوذ، فنعلمه الله أكبر، ونقومه لا إله إلا الله، ونتعالى فيه إلى أكبر فأكبر، يوم نستخلف من علمنا بعملنا لنا فينا، بلا إله إلا الله، خليفة وخليفة، وخليفة، بعثا لمخلفٍ، ومخلف، ومخلف، يوم نصلح لله، فيصلح لنا من صلح من آبائنا، ومن ذرياتنا، ومن أزواجنا.

هذه قدوة من تحتفلون باسم مولده، على أن له مولدا، وهو حق لم يولد، ولم يلد، ولم يتوالد. ولكنه حق قديم بمظهره يعرف به يتجدد، ويتجدد، ويتجدد، وهو بقديمه وجديده لا يتعدد، هو الحق الواحد. هو الإنسان الواحد.. هو الأمر الواحد.. هو الرسول الواحد، والمرسل الواحد، والمُرسَل إليه الواحد. وهو الواحد بالمرسل والرسول والمرسل إليه، لمعاني الحق الواحد.

لا إله إلا الله، لا شريك له، محمد رسول الله، لا غيبة له. هو الأب وسر الأبوة، وهو الابن وسر البنوة، وهو الأخ وسر الأخوة، وهو البيت بالآباء والأبناء، هو عبد الله، لا جديد له، كلنا فيه يتواجد، وكلنا إليه يعود، وكلنا يه يقوم، في قائمه لا إله إلا الله، وقائم الحق من الله، لموصوف العبد له.

اللهم به فاكشف الغمة عن الأرض.. اللهم به فاكشف الغمة عن بلاد المسلمين، اللهم به فاكشف الغمة عن بلاد المؤمنين بكل بدين.. اللهم به فأيقظ أُمم الغافلين.. اللهم به فارحم الساهين والضالين، واهد المضلين.. اللهم به فانشر السلام في العالمين.. اللهم به فوحد القلوب، وحرر الأرواح، وأنر العقول، وأشعل النفوس، وقوم الجوارح.

لا إله غيرك ولا معبود سواك.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الأحزاب - ٦

٢ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

٣ سورة الأنفال - ٣٣

٤ سورة الأنعام - ١٢٢.

٥ سورة الأعراف - ١٥٧

٦ سورة النساء - ٦٥

٧ سورة النساء - ٦٤

٨ سورة الحجرات - ٧

٩ سورة الرعد -١٥

١٠ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفَّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

١١ من حديث شريف: "حياتي خيرٌ لكم تُحدِّثونَ ويُحدَّثُ لكم ووفاتي خيرٌ لكم، تُعرَضُ عليَّ أعمالُكم فما رأَيْتُ من خيرٍ حمِدْتُ اللهَ عليه، وما رأَيْتُ من شرٍّ استغفَرْتُ اللهَ لكم". أخرجه النسائي والطبراني.

١٢ حديث شريف تقول معظم كتب الأحاديث إنه لم يثبت عن الرسول ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.

١٣ من حديث شريف: "عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير." رياض الجنان: مخطوط. بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.

١٤ سورة يس - ٢٦-٢٧

١٥ حديث شريف: مَن رآني فقَدْ رَأَى الحَقَّ؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَكَوَّنُنِي." صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَن رآنِي في المَنامِ فقَدْ رآنِي، فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَشبه بي". صحيح ابن حبان.

١٦ سورة آل عمران - ٧٩

١٧ سورة البقرة - ٤٤

١٨ سورة آل عمران - ١٤٦

١٩ سورة النساء - ٦٣

٢٠ سورة الضحى - ١١

٢١ سورة الأنبياء - ٧٩

٢٢ سورة النمل -٣٠

٢٣ سورة يس - ١٢

٢٤ حديث شريف: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض." أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود.

٢٥ سورة الحج -٢٧

٢٦ سورة الشعراء - ٢١٨-٢١٩

٢٧ سورة يس -٨١

٢٨ سورة غافر - ٥٧

٢٩ سورة الأنعام -٩١

٣٠ سورة البقرة - ٢٥٥

٣١ سورة الإسراء - ١٤

٣٢ سورة الذاريات - ٢١

٣٣ سورة يس - ٤٢:٤١

٣٤ سورة الزخرف - ٢٢

٣٥ سورة ق - ١٩

٣٦ حديث شريف: "القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار." أخرجه الترمذي والطبراني.

٣٧ حديث شريف: "إذا مات أحدُكم، فقد قامتْ قيامتُه، فاعبدوا اللهَ كأنكم ترَوْنَه، واستغفِروه كُلَّ ساعةٍ". أخرجه الديلمي في الفردوس، ورواه العسكري في الأمثال، وأبو نعيم في (حلية الأولياء)، وغيرهم.

٣٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٣٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٤٠ سورة النور - ٣٩

٤١ "فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللهِ»." (لو ٩: ٦٠).

٤٢ حديث شريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى." صحيح مسلم.

٤٣ سورة فاطر-١٠

٤٤ أزدى تعني صنع معروفا. والمزدي هو صانع المعروف.

٤٥ من حديث شريف، أخرجه الحاكم والطبراني واللفظ لهما وأحمد مختصرا.

٤٦ سورة النساء - ٥٩

٤٧ سورة البقرة - ٢٥٦

٤٨ سورة الفرقان - ٦٣

٤٩ سورة الفرقان - ٥٩

٥٠ سورة البقرة - ٢٦٩

٥١ سورة الكهف - ١٧

٥٢ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.

٥٣ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه.". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني

٥٤ سورة الأعراف - ٢٠٥

٥٥ سورة النساء - ٦٣

٥٦ سورة البقرة - ١٨٦

٥٧ سورة الإسراء -٨١